# المجاهد الصامت

# الشيخ محمد الأشمر

## سيرته وجهاده

إعداد

لجنة الدراسات التاريخية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

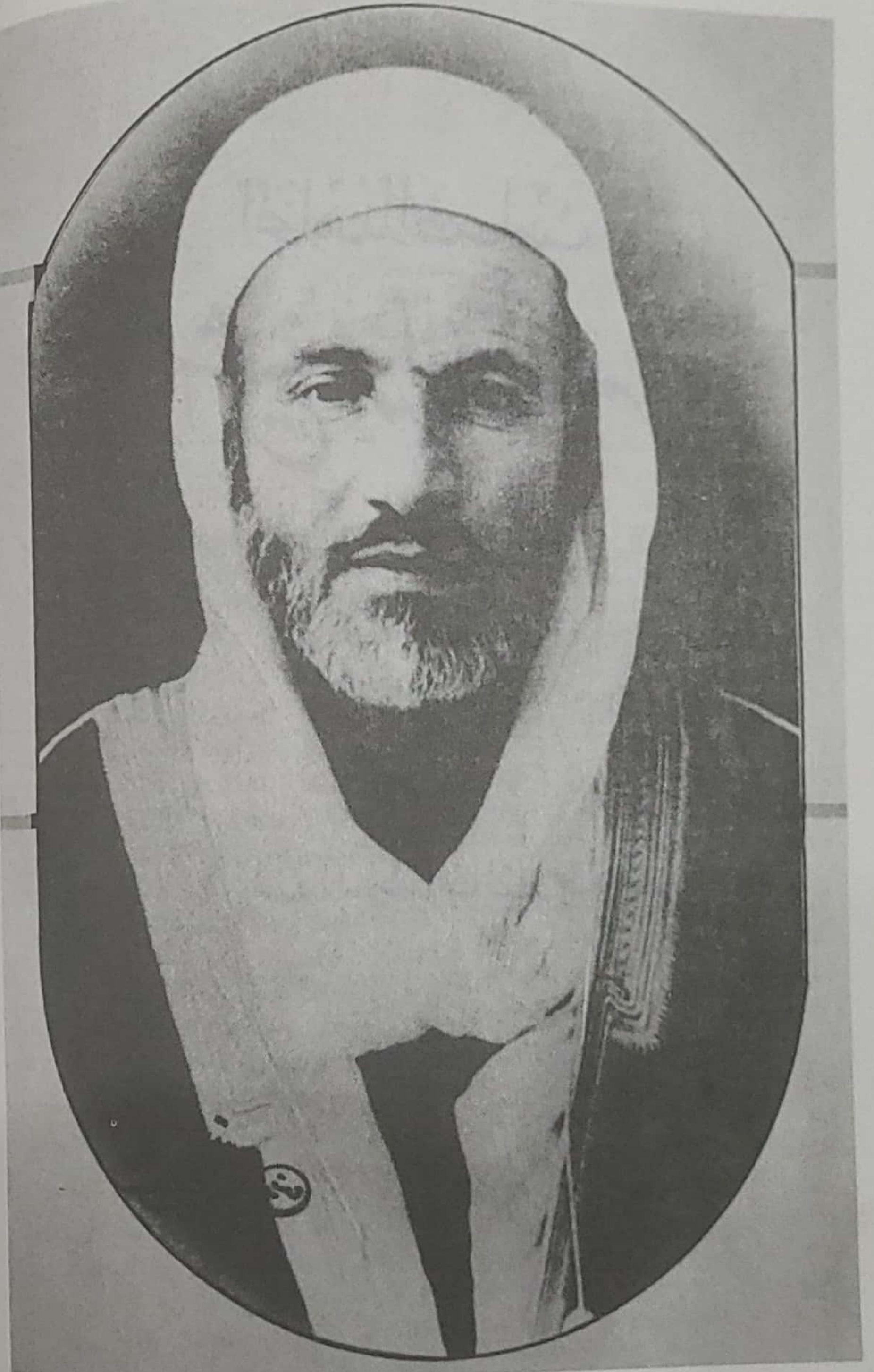
المجاهد الصامت

# الشيخ محمد الأشمر

## سيرته وجهاده

إعداد
لجنة الدراسات التاريخية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



الشيخ الأشمر



# كلماتُ التقديم



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## كلمة آل الأشمر

بقلم: محمد بن محمد الأشمر

كان والدي الشيخ محمد بن طه الأشمر من أكبر مجاهدي القرن العشرين، بل ورجالاته المعدودين، لا في محاربته فرنسا ثم إنكلترا، وتصديه لمقاومة الغزو الصهيوني فقط!!، بل لأنه كان أولاً وقبل كل شيء الإنسان الأقرب للكمال في جميع مراحل حياته؛ في طفولته، وشبابه، وشيخوخته، وفي ورعه وتقواه؛ حيث نجّاه الله من الكثيرين الذين أرادوا إيذاءه مباشرة، أو بواسطة أعوان لهم من أهل الشرور.

وما حصلنا عليه من سيرته قليلٌ جداً، ليس فيه كلمة واحدة منه عن نفسه، لأنه لم يكتب أو يحدث عن أعماله بشيء، بل لم يكن يُطْلِع أحداً على أحواله من أصحاب الصحف والمجلّات.

ويذكر الشيخ زهير الشاويش، أنه عندما جاء للوالد ـ وهو على صحبة معه ـ ومعه الأستاذ محمد الصباغ لدعوته لرعاية حفل رياضي كبير يقام في «نادي الميدان الرياضي».

وقام الأستاذ الصباغ بتوجيه الأسئلة للوالد عن تاريخ حياته، وجهاده، وأعماله، ومختلف شؤون حياته... إلخ، لتكون الأجوبة على هذه الأسئلة محور الكلمة التي ستلقى في ذلك الحفل الكبير تحت رعايته.

فإنه لم يكن من الوالد سوى الترحيب بهما، والاعتذار عن الإفاضة في الإجابة عن الأسئلة مكتفياً بكلمات موجزة، نشر ما حفظ منها في الصفحة (٢١٣) من هذا الكتاب.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأذكر أن الأستاذ الصباغ أراد أن تختتم تلك الكلمة بما فهم منه الوالد المدح له، فظهرت عليه بوادر الغضب، مما دعا الشيخ الشاويش أن يقول: بل يكفي ما قاله شيخنا:

أصلح الله البلاد والعباد، والله ولي التوفيق.

وهكذا كان؛ وأُلقيت الكلمة نيابة عنه في ذاك الحفل الكبير الذي حضره رئيس مجلس الوزراء يومها، والمراقب العام للجماعة، ونائب رئيس المجلس النيابي، وعدد كبير من العلماء والنواب، ورجالات البلاد من المجاهدين والدعاة.

واقتصرت كلمته هذه على الثناء على الرياضة التي هي إعداد للجهاد، وتربية الأجسام على القوة في الجسم والعقل والروح.. متمنياً لشباب شعبة الميدان التي يتبع لها النادي أن يكونوا مستقبلاً كما كانوا سابقاً من المجاهدين المدافعين عن بلادهم، وكما شاركوه سنة ١٩٤٥ وكما شاهدهم في سنة ١٩٤٨، والدعاء لهم بالخير والصلاح.



وقد حاولنا تَذَكُّر مواقفه، ولم يجتمع لدينا سوى القليل منها نعرضه، مع علمنا أنه نهر صغير في بحر الشيخ الأشمر.

والذي جمعناه ممن بقي على قيد الحياة من خيرة إخوانه المجاهدين كذلك، لم يبلغ ـ مع الأسف ـ شيئاً مجزياً نافعاً...

والسبب في ذلك أن الجمع حصل بعد أن أصبح إخوانه في سن متقدمة، وقد تجاوز بعضهم الثمانين من عمره أو قاربها، وقدراتهم على التذكر والتركيز كانت أقل من أن تسرد حكاية ما، من غير نقص أو تكرار، أو تداخل الحوادث بعضها في بعض ـ أطال الله أعمارهم بالخير ـ.

وقد أحببنا أن لا يخلو عملنا من نقل عن الكتب التي سجلت



وقائع الثورة وحوادثها، من أعمال تفصيلية عن الأشمر، فلم نجد شيئاً وافياً من التفاصيل، لأنه لم يكن يحب الشهرة، ولأن المؤرخين لحوادث الثورة ووقائعها لم يأخذوا منه شيئاً، فلم نجد فيما كتبوا ما يكفي، ولذلك فإننا نشكر بالغ الشكر كل الذين كتبوا عنه وندعوا الله أن يجزيهم بالخير.

هذا مع الإجماع على شجاعة الأشمر، وإقدامه، وحسن تصرفه في الحرب، وفي الإعداد للحرب، وفي عفته عن أخذ الأموال، حتى ولو كانت ضرورية للعمل، بل نزه يده عن ذلك كله.

وهذا عذرنا في تقديم هذه النبذة عن والدنا الشيخ محمد الأشمر تغمده الله برحمته.

لابد لنا من شكر كل الذين كتبوا عنه حفظهم الله وأطال أعمارهم، ورحم من سبقنا منهم إلى دار كرامته جل شأنه.

وإذا كان لابد من التنويه بمن له يد على إخراج هذا الكتاب، لدنيا المطبوعات بعد بذل الجهد الكبير، فإنه للإخوة الأفاضل المجاهدين:

الشيخ زهير الشاويش، والأستاذ ممدوح رحمون، والأستاذ صياح المعراوي حفظهم الله، فقد تطوعوا ونظروا في الأوراق التي جمعناها، وقاموا بتعديل ما أمكن منها وقدموها، وطبعوها وعلَّقوا عليها بما جعلها أقرب لشخصية الشيخ محمد الأشمر، تغمده الله برحمته.

والحمد لله رب العالمين.

**محمد ابن الشيخ محمد الأشمر**





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## مواقف مع الشيخ الأشمر

### من ذكريات: زهير الشاويش

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من الشهداء المجاهدين، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد نشأت وأبناء جيلي الذين ولدوا أيام الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ وما قبلها أو بعدها.

ووجدنا أحاديث الثورة هي التي تدور بين أهلنا، والبيوت المهدمة ما زالت أمام أنظارنا، وذكريات من أقام تحت الهدم طوال الثورة، وأخبار القلة ممن رحل منّا إلى بيروت، وقرى لبنان نتداولها، ونتلقط أخبار وأحوال من هاجروا إلى الأردن صباح مساء.

وكنا نستمع إلى بطولات النساء في تصدِّيهن لحواجز الجنود على الطرقات، والشجاعة التي أظهرتها الأمهات، والعمات، والخالات، والأخوات، ولقد كانت هذه الأحاديث السَّمَرُ الدائم في البيوت.

وهكذا كانت أحاديث الكبار من رجالنا، تركز أكثر ما يمكن على الوسائل التي اتبعها الثوار ـ وعلى رأسهم الشيخ الأشمر ـ في مقاتلة الجيش الفرنسي المتعدد الفرق والأجناس، وما يحمل من أسلحة متنوعة.

وكنا نتناقل تفاصيل معركة باب المصلى وسيدي صهيب، وطريق جامع الرفاعي، وكيف تمكّن بعض الذين جنّدتهم فرنسا من الفرق



المختلطة من الصعود إلى مآذن المساجد، ليطلقوا النار على البيوت، وقد وجدت بعد ذلك (وعمري عشرون سنة) الكثير من الطلقات ما تزال آثارها في الغرف العليا من بيتنا.

وكذلك كانت معركة بوابة الله، وامتدادها إلى قناة الحجر الأسود، جنوب دمشق، وكيف كان اتساعها حتى وصلت إلى المَنْزَل وبستان المزرعة، شرقي الميدان، وبستان باكير، وأرض قرية يلدا، وإلى بلدة عقربا، وكنا نذهب ونشاهد أشجار السرو في مسجدها والتي قصفتها المدفعية من قلعة المزة، ونتأمل الباقي من القناديل في حائط المسجد.

هكذا كانت حياتنا، وهذه هي الأحاديث التي كانت تملأ أسماعنا ونحن صبية صغار.

وما إن كبرنا قليلاً، حتى هبت البلاد في مقاومة المستعمر سنة ١٩٣٦، فكان الإضراب العام الذي دام ستين يوماً، وكنا ـ على صغرنا ـ نشارك الشباب في المظاهرات، وكانت صيحاتنا تدوي بكلمات ثلاث:

الاستقلال، وعودة فخري البارودي، وعاش الشيخ الأشمر.

وبعد تأليف الحكومة الوطنية برئاسة هاشم بك الأتاسي وإرسال وفدها إلى فرنسا لعقد معاهدة الاستقلال تركنا هتاف المطالبة بالاستقلال، وبرجوع البارودي من منفاه في القامشلي ماراً بتدمر؛ واستقباله الكبير في دمشق، ذهب النداء بعودة فخري البارودي.

ولكن النداء الذي بقي على أفواهنا هو: عاش الشيخ محمد الأشمر.



ولم يمض أكثر من سنة، ونحن في مدرسة «خالد بن الوليد» حتى رأينا مظاهرة كبرى تأتي من حي السلطاني وبوابة الله، يقودها الشيخ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأشمر، وفيها العلامة محمد كامل القصاب، وشيخنا محمد بهجة البيطار.

فانضممنا إليها يقودنا أستاذنا علي الطنطاوي، ومعنا طلاب مدرسة «وقاية الأبناء»، والمدارس الصغرى الأخرى، ومنها: «المدرسة المحمدية» للشيخ محمد الفقيه المصري، و«المدرسة الأموية» للشيخ محمد سعيد الحافظ، وخرج العلماء والطلاب من مدرسة جامع منجك، وعلى رأسهم الشيخ حسن حبنكة، وسار الجميع ينادون:

**ديننا، ديننا، لا نرضى به بديلاً**

وسارت المظاهرة التي بلغ المشاركون فيها عدة آلاف حتى بلغنا منطقة باب المصلّى، وهناك خرج وجهاء الحي، ومنهم زكي آغا سكر، وصبحي آغا حباب إلى الطريق مرحبين بهذه الجموع الكبيرة، وراجين عدم متابعة السير إلى قلب المدينة.

ووقف زكي آغا سكر على كرسيٍّ مخاطباً العلماء والجمهور ليبرر لنا ذلك قائلاً:

«اتصل بي جميل مردم بك، وقال: رجعت الحكومة عن تنفيذ قانون الطوائف (ساعتها عرفت لماذا التظاهر) فأرجوكم تفريق المظاهرة، مخافة الاصطدام مع الفرنسيين، لأن المفوض السامي سيمر من هنا بعد قليل، والحكومة وضعت قوة كبيرة في مخفر الشيخ حسن!.

فرد عليه الشيخ القصاب: «على جميل مردم أن يحضر إلى هنا، ويعلن أمام العلماء والناس الرجوع عن هذا القانون الجائر الكافر، والذي أرادت فرنسا فرضه منذ دخول الجنرال غورو للشام، وعجزت عن ذلك حتى اليوم، كما حاولت فرضه باسم (الظهير البربري) في بلاد المغرب».



وتكلم العلماء مثل ذلك. . .

وما هي إلا دقائق حتى جاء جميل مردم، وأعلن رجوع الحكومة عن نظام الطوائف، وكان ذلك أمام جامع باب المصلّى، وتفرقت المظاهرة.

وركب الأشمر وحبنكة في عربة، ورجع القصاب بعربة عن طريق الشاغور. وعاد من جاء للمظاهرة من وسط المدينة مشياً على الأقدام منفردين، عن طريق حي قصر الحجاج، لأن التِّرَام كان قد أوقف بسبب المظاهرة.



وكنت مع أهلي وأخوالي آل رحمون على صلة بالشيخ الأشمر، نتداول معه بكل شأن، ومن ذلك قضية فلسطين. ففي تلك المدة جاء إلى حي الميدان العدد الكبير من أهالي شمالي فلسطين، واتخذوا من حاراتنا موطناً لهم وكل ذلك بالتعاون مع أهل الميدان، بقيادة الشيخ الأشمر.

وكان حي الميدان يومها مركز تموين الثورة الفلسطينية، وتأمين السلاح والذخيرة، وتجميع ما أمكن من بقايا السلاح، مما أخفي في الحفر والآبار، وجرى إصلاحه لهم، مع ما يُهرَّب إليهم من تركيا والعراق والسعودية، ومن لبنان بالبحر.

وكان الميدان مركز التداوي لكل جريح، في البيوت سراً عن عيون جواسيس بريطانية، وحتى عن عيون الفرنسيين (ظاهراً).

وممن بقي في الميدان، من كبار رجالات الثورة الفلسطينية، الرجل العظيم الشيخ عطية أحمد، ومعه أخوه محمود. . .، وأبو إبراهيم الكبير، وأبو إبراهيم الصغير ـ توفيق إبراهيم ـ، وأبو العبد الذي قتل



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حاكم الناصرة الإنكليزي، والشاعر فرحان سلام، وجمع من آل دلال من عكا، وأبو إسعاف أبو لبن وغيرهم. وهؤلاء وغيرهم كانوا يذهبون للقتال في فلسطين، ويرجع بعضهم للإعداد والتزود أو التداوي.

وفي تلك الفترة ذهب الشيخ الأشمر إلى فلسطين مقاتلاً، وأعرف ممن كانوا معه عدداً من أهل الميدان أذكر منهم الآن: الشهيد حوري الحلاق، والسادة حسني عزيزية، وخالي عز الدين رحمون، وأحمد الرجال، ومن إربد الشيخ أحمد محمد الخطيب، ومن حي القنوات الشيخ عربي الخيمي أبو عرب وغيرهم، حيث كانوا يقيمون في إربد ويتسللون للقتال داخل فلسطين.



وسنة ١٩٤١ دخلت فرنسا الحرة مع الإنكليز والحلفاء إلى سورية من الأردن، بعد معارك مع دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) ودولة فيشي المتعاونة معهم.

ولما بدأت المعارك بدخولهم درعا، قبل وصولهم دمشق (التي أعلن أنها مدينة مفتوحة، ولكن جرت معارك طاحنة في ضواحيها الجنوبية قرب بيوتنا). أرسل الشيخ الأشمر أخباراً إلى كل الأحياء، طالباً إليهم تجميع ما أمكن من السلاح والعتاد الحربي، ليوم المعركة مع فرنسا وإنكلترا.

وكنت ممن جمع كمية من الذخيرة، وبندقيتين فرنسيتين، واحدة طويلة، يتسع مخزنها لثلاث خرطوشات، تطلق قنابل صغيرة توضع في أعلاها تسمى (سلبند)، وتنفجر على طريقة مدافع الهاون، واستعملناها لمقاومة فرنسا، بأمر الأشمر سنة ١٩٤٥.



وفي شهر أيار قامت في مختلف أنحاء سورية معارك واضطرابات



ضد فرنسا، وختمت في ١٩٤٥/٥/٢٩ بالعدوان على دمشق، وضرب المجلس النيابي، والقلعة بالمدفعية من المزة، وبالطيران والقنابل المدمرة.

وكان بعض أبناء حينا ـ وكنت منهم ـ قد قطعوا طريق الميدان على قوات الفرنسيين من أن تعبر من المزة إلى محطة القطار الفرنسية قرب مطحنة (جلاد ومهايني)، ومنعنا مرورهم إلى حوران وإلى جبل الدروز.

وقمنا بسحب قضبان سكة الحديد من منطقة دوار المجتهد، بمساعدة رجال منا يعملون في النجارة والحدادة، وجر المياه للبيوت.

وقمنا على حراسة الطريق بين باب المصلّى والطويلة، وطرقات البساتين ومراقبة سكة الحديد.

وفي يوم جاء الشيخ محمد الأشمر ماشياً يراقب الطريق ـ عصراً ـ ومعه خمسة مسلحين، وما أن شاهدنا مسلحين ونحمي الطريق أيضاً حتى فرح بنا، وسألنا هل شاهدتم خيالة تأتي من المزة عن طريق ساحة بستان البندقة، وبستان المكركب، وبستان الوادي؟ وطريق الحيايا (الحيات).

فقلنا: «لا».

قال: «وصلني خبر أنهم سيأتون بعد المغرب من هذا الطريق، فإذا جاءوا قاوموهم، ونحن ننتظرهم عند نهر عيشة»، وسوف نأتي إليكم! إذا سمعنا النار تطلق عليهم.

وأعطانا ثلاثة بنادق، وطلب منا واحداً يذهب معه لإحضار قنابل السلبند، مع بندقية ولأختها التي معنا، وكمية من الخرطوش.

وبذلك أصبح المسلحون منا أكثر، ولحق بنا عدد من الناس.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقمنا بتحصين مراكز لنا عند ساحة بستان البندقة، ووراء دكوك (حيطان) بستان الوادي، وحولنا ماء نهر القنواتي من الشمال، ونهر الصوف من الجنوب إلى ساحة البندقة، ووضعنا حجارة كبيرة في الطريق وأزلنا الجسر الصغير الذي على النهر بحيث لا يتمكن أحد أن يمر إلا بعد أن يخوض في الماء والوحل ويتعثر بالحجارة.

وجاءت الحملة الفرنسية كما توقع الأشمر، وكانت مؤلفة من عدد من الخيالة ومتطوعين من الفرق الأخرى!، ومعهم عدد من البغال محملة مؤن وذخيرة لإيصالها إلى محطة الفرنسيين في بوابة الله.

وبادرنا بإطلاق النار عليهم من ثلاثة أماكن كنا مختفين وراءها في البساتين، فقتل منهم عدد، وهرب الباقون، فسقط عدد منهم قتلى، وتمكن الباقون من الابتعاد.

وبدأ الليل يرخي سدوله فسعينا إلى من وقع منهم وتأكدنا من مقتلهم، وأخذنا ما تركوا من البنادق، وبعض الأسلحة وقتلنا الخيل لأنها مصابة وتركوا ثلاثة بغال بما عليها من حمولة أخذها الفلاحون.

والذي حصل هو أنهم رجعوا فقط ليحملوا قتلاهم ويغادروا إلى المزة، ثم اشتدت المعارك عليهم في عدد من المناطق.

وقمنا في اليوم الثاني بزيارة الشيخ الأشمر، وحملنا له ثلاثة بنادق من الغنيمة، أعطاها لمجاهدين عنده، وعرفنا منه أن جماعته جاؤوا لنصرتنا، ولكنهم وجدوا أن المعركة انتهت بسرعة، ولم يجدوا أحداً مِنّا ومن الفرنسيين.

وفي هذه المدة، جاءت وفود كثيرة تزور الشيخ الأشمر، وكان يطلب إليّ أحياناً أن أتكلم نيابة عنه فيهم، ويُسَرُّ بما أقول، وذلك بفضل الله.



## إصلاحه بين الناس:

وكان الشيخ الأشمر ـ دائماً ـ يصلح بين الناس، فقد قُتِلَ أحد جيرانه من أهل القاعة من بيت رمضان غِيلَةً في جبل الدروز، ونهبت دكانه من غير ذنب سوى الغدر والسلب والنهب واضطراب الأحوال الأمنية في البلاد!

وقام بعض أهل القتيل بقطع الطريق على قوافل الدروز القادمة إلى دمشق، والراجعة إلى قراهم في جبل العرب[1].

وتوسط الشيخ الأشمر بين الطرفين، فلذلك جاء وفد من وجوه محافظة السويداء للاعتذار، مرسل من قبل سلطان باشا الأطرش إلى مضافة الشيخ الأشمر، الذي قَبِلَ منهم اعتذارهم، وجمعهم مع أهل القتيل، وأحضر عدداً من أهل الميدان، وشرفني إذ كنت منهم، وقدم الوفد الدِّية الشرعية، ووعدوا بإعادة المنهوبات أو قيمتها، وانتهت القضية.



وفي تلك الفترة، قام خلاف بين جوار لنا من بيت القرة، وبيت دلول، وهما من الكرام، ولكن قدّر الله أن قتل أحد من إحدى العائلتين، وبدأ التربص من أهل القتيل لأهل القاتل.

ولكن فوجئنا بالشيخ الأشمر ومعه عدد من أهل الفضل يزور الحي، ويتوجه إلى بيت الوجيه أبو عبده رسلان نقاوة للصلح بين العائلتين، وفعلاً أرسل من يدعو الحاج عثمان آغا النوري، ومحمد

(١) هو جبل حوران وكان يسمى تبعاً لسكانه من الدروز، الذين أقاموا فيه بعد خلافات فيما بينهم في لبنان قبل ثلاثة قرون، ولكن سماه الزعيم فخري البارودي (جبل العرب) ويسمى محافظة السويداء.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جمال الدين أبو فهد، وسعيد آغا الياسين، والحاج أبو خليل إبراهيم الحرستاني مع بعض الأشخاص، ويدعوني معهم، وأنا كنت أصغرهم سناً، ولكن بعد حادثة بستان البندقة والطويلة، وأهازيج بعد مقتل رمضان، أصبحت عنده كبيراً.

وفعلاً تم الصلح وعقدت الراية، وتكفل بتأمين الدية عثمان النوري وإبراهيم الحرستاني.



وفي سنة ١٩٤٧ كانت معركة الانتخابات، ودخلت «رابطة العلماء» وجمعية العلماء فيها، ومعهما مجموعتنا في الميدان، وكنّا نؤيد الأربعة من رابطة العلماء، والشيخ كامل القصاب، ونحارب قائمة الحكومة، وأفراداً من المرشحين، مما أحدث بعض المصادمات.

وبسبب ذلك قام أنصار أحد المرشحين بحرق شعبتنا في جامع الدقاق، وجرت الانتخابات، وقامت الحكومة بالتزوير المعروف، وأصدرت أمراً بإيقاف أعمال الجماعة وجمعية الغراء.

وإذا بشخص من قبل الشيخ الأشمر يطلبني لزيارته بعد عصر اليوم الثالث في المضافة، مع الأستاذ أديب حسني آغا المهايني، والشيخ مسلم الغنيمي - رحمهما الله -، وكانا من كبار إخواننا. وكلنا لا يعرف لماذا دعانا الشيخ، ولما أفرغ القاعة من الناس الآخرين، قال:

«أنا علمت بحرق الشعبة التي تدعون فيها إلى الله، ودعوتُكم إلى العفو عنهم. والله يوصي بالجار، وهم من أبناء الحي».

فقال الشيخ مسلم: «عفونا عنهم».

فقال الشيخ الأشمر: «هذا ما كنت متيقناً منه عندكم».

فَشَكَرَنَا وأثنى علينا.



وبعد ذلك رجعنا وفتحنا الشعبة، وكان أول زائر لنا الشيخ الأشمر، ومعه المرشَّحَيْن اللذين كانا على صلة بالذين هاجموا الشعبة، ورجالات من كبار الميدان، ومنهم عدد من آل المهايني وآل الحكيم وآل شموط، وأبو سعيد بكري الحايك، وأبو محمد حسين أبو حبيب - وكلهم من كرام عوائل الميدان رحم الله الجميع.



وفي سنة ١٩٤٧ بدأت التجمعات للذهاب إلى فلسطين، وعلى الأخص بعد قرار التقسيم الذي كان لنا ضده مواقف حاسمة، وعلى الأخص مع من أيّد التقسيم من أحد الأحزاب.

وجاء إلى دمشق الأستاذ عبد الحكيم عابدين من مصر، ومعه المراقب العام للجماعة في الأردن الأستاذ عبد اللطيف أبو قورة، والأستاذ أحمد الخطيب وغيرهم للتنسيق مع كتائب الجماعة في مصر والأردن والشام، والاتفاق على التفاصيل عند الدخول لفلسطين الذي كان قريباً.

وهنا جاء لدمشق القائد فوزي القاوقجي - بعد أن عيّن من قبل الجامعة العربية، لقيادة جيش الإنقاذ، وطه باشا الهاشمي -، وتوسعت الاجتماعات مع الشيخ محمد الأشمر ومع القاوقجي في مراكز الجماعة، وفي مضافة الشيخ الأشمر، وفي دار أبو صلاح العرجا، وفي بيتنا.

وفي اجتماع بيت العرجا، قام بعض الناس يطالبون بالإفراج عن المساجين قبل الذهاب إلى فلسطين، ولم يقبل المجاهد الأستاذ نزيه المؤيد العظم ذلك، حيث فهم من هذا أنه يعني الإفراج عن قتلة صهره الزعيم عبد الرحمٰن الشهبندر، ووافقه الشيخ الأشمر، الذي قال للمتكلم عن هؤلاء ما أسكته.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تكلم الأستاذ محمد خير الجلاد عن الجماعة، وتكلمت أنا عن حي الميدان بطلب من الشيخ الأشمر. وتكلّم عن المتطوعين الأستاذ محمد خير العرقسوسي.

والصورة المرفقة رقم: (١٢) و(١٤) تبين بعض أخبار تلك الاجتماعات.

كما عقد اجتماع في أحد بيوت آل المهايني في الميدان، وهي دار واسعة جداً، وتكلم فيه الأستاذ أديب المهايني، وتكلمت أنا، وعدد من الخطباء، وكان مضمون الخطب كلها الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله.

وكانت النية أن نذهب إلى فلسطين مع الشيخ الأشمر، ولكن منعت الحكومات العربية ذهاب أحد للجهاد اعتماداً منها على إرسال الجيوش العربية، وجيش الإنقاذ، ولم يذهب منا سوى كتيبة واحدة:

الأولى قُبَيْلَ استشهاد القائد عبد القادر الحسيني، وكنت في عدادها بقيادة الملازم عبد الرحمٰن الملوحي الحمصي، ومنها عدد من إخوان الميدان منهم الأستاذ كامل حتاحت والأخ عدنان الدبس.

والثانية بعدها بعشرين يوماً بقيادة الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله.

وكان الشيخ الأشمر يستعد للذهاب، غير أنه مرض مرضاً شديداً أصابه وأقعده، وما إن تعافى حتى كانت الهدنة الأولى.

**تواضعه وعدم كلامه عن نفسه:**

سنة ١٩٥١ كان لنا نادٍ رياضي تابع للشعبة، وله مكان واسع في الحقلة، ويمتد إلى ساحة الزفتية (التي صارت الآن حي الزاهرة)، وقررنا إقامة حفل رياضي كبير، وجعلناه تحت رعاية المجاهد الشيخ محمد الأشمر، وقد تكرَّم بالموافقة على ذلك.



ولما ذهبت إليه ومعي الأستاذ محمد لطفي الصباغ، وجعلنا نسأله عن حياته، وأعماله، وتاريخه، ومواقفه ليكون ذلك في الكلمة التي ستلقى عنه، وفي التعريف به... إلخ، فإنه لم يتكلم بأكثر من كلمات قليلة وصرفنا بلطف إلى الحديث عن الرياضة والتربية البدنية، والاستعداد لمقاومة الاستعمار، وعما شاهده منا في مقاومة فرنسا سنة ١٩٤٥، وبعدها في فلسطين سنة ١٩٤٨، وعن تربيتنا للأفراد الذين يجدهم في المساجد متعبدين، وعن معاني هتافاتنا... إلخ (انظر الكلمة في الصفحة (٢١٣)).

وختم كلامه بقول: «كتب الله الخير للبلاد والعباد، والله ولي التوفيق».

فكرر أخي محمد الصباغ السؤالات بشكل لطيف وأسلوب آخر؟

ولكن الشيخ تنبه إلى ذلك، بما كان عليه من وعي!، وبدت عليه بوادر الغضب، فتدخلت بسرعة وقلت: «ما قاله شيخنا يكفي، والله ولي التوفيق» فضحك.



وسنة ١٩٥٣ ذهبت للشيخ أدعوه للمشاركة في المؤتمر الإسلامي العام في القدس...، فاعتذر لمرضه، وسأل من معي من الشام؟ فقلت: «الشيخ علي الطنطاوي، والأستاذ عصام العطار، والشيخ أديب صالح». فأثنى عليهم جميعاً، وقال:

«لا توافقوا إلا على فتح المعركة مع اليهود».

ولمّا رجعنا كان معنا الزعيم الإيراني السيد نواب صفوي، فبادر الشيخ الأشمر إلى زيارته في بيتنا (حيث ينزل متكرماً)، وسأله عدداً من الأسئلة عن إعدادهم للجهاد في فلسطين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولمّا أراد الخروج سحب نواب صفوي يد الشيخ وقبّلها، رغم أن الأشمر لم يكن يعطي يده للتقبيل[1].

❀ ❀ ❀

وبعد سفري إلى قطر سنة ١٩٥٥ كان رحمه الله يكاتبني دائماً، وكنت أرسل إليه من يزوره، ومنهم صهر البيت الحاكم السيد علي المسند.

وعندما جاء وزير المعارف الوجيه الشيخ قاسم الدرويش للعلاج في مياه الحمة، أخبرت شيخنا بذلك، فتكرم وحضر مع عدد من إخوانه لزيارته، وكان أن دعاه للميدان، وكانت النية الإجابة، لولا أن صحة الضيف لم تساعده على ذلك، وحضر لوداعه في بيتي.

وهكذا بقيت حياتنا مرتبطة بالشيخ الأشمر حتى وفاته تغمده الله برحمته، وعوّض المسلمين عنه خيراً.

❀ ❀ ❀

(١) انظر الصورة (رقم ١٢) نواب صفوي مع الشيخ زهير الشاويش، والأستاذ ممدوح رحمون في الصورة (رقم ٦).



## الأشمر ثائر من بلادي

**بقلم: ممدوح رحمون**

في خضم الحدث، نتعرف على الرجال، وتبدو الصورة واضحة، باختلاف التقييم للحدث بين مجموعة من الناس، فيبرز القائد من خلال شجاعته في المعركة، وحسن إدارته لها، والسهر على المقاتلين، وتدبير الخطط الحكيمة لتخفيف الخسائر ودرء المخاطر، وخوض المعركة في الظروف التي تتراءى له، تجنباً للمعركة التي تفرض عليه، ولكن عندما تفرض عليه تظهر حنكته للمشاركين معه، ومدى تحكمه بأساليب القتال، حتى بلوغ النصر.

ومن خلال هذه الظروف، نرى رجلاً من عامة الناس، وُلِدَ مسكيناً، وعاش فقيراً، ومات عظيماً لأنه أغمض عينيه عن مباهج الدنيا، فلم يتعرف عليها، ولم تتعرف عليه.

نشأ على أرض حوران وجبل العرب، بعد مولده في حيِّنا الميدان، وعاش بين السهول الخصبة، والفيافي الجرداء، والصخور السوداء، فكان قطعة من هذه الأرض المعطاء بلا حدود، وصخرة من صخورها الصماء، وكأنه اقتطع منها، فقد طبع بطباع أهلها، فكان كريماً معطاء، على قلة ما يملك، وكان شجاعاً عزيز النفس بما يعتمل في صدره من حب المكرمات.

في حي الميدان بدمشق كانت بداياته، وهو حي مليء بالعائلات العريقة والعائلات الغنية، وكذلك بفقراء المال أعزاء النفوس، بين هؤلاء

جميعاً اتخذ موقعه، وفتح بيته، الذي كان يسمى (مضافة الأشمر)...
كثيرة هي المضافات في هذا الحي، التي تقدم الطعام والشراب والمأوى لكل عابر سبيل، ولكن مضافة الأشمر تجاوزت الجميع، حيث كنت ترى فيها زعماء الأحياء من مختلف الطبقات، يجتمعون بالمناسبات الدينية والوطنية والقومية دائماً يواكبون الحدث، أياً يكن موقعه وفي أي بلد عربي أو إسلامي.

فعندما هاجم الفرنسيون سورية في العشرينات، ثم نشبت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، أخذ الشيخ الأشمر يحيط به ثوار الميدان مواقعهم وانطلقوا يقاتلون الفرنسيين، ويشعلون النار تحت أقدامهم في ضواحي دمشق والغوطة وجبل العرب، وفي أزقة الحي، وكانت لهم بطولات عزَّ نظيرها، مما دعا الفرنسيين لإحراق قسم كبير من هذا الحي وقصفه بالمدفعية والطيران على رؤوس ساكنيه، فما لانت لهم عزيمة، واستمروا في خط النار حتى آخر أيام الثورة السورية.

وعندما اندلعت الثورة على أرض فلسطين في الثلاثينات، كان لهؤلاء الأبطال صولات وجولات، يعرفها كل من عايشها، فأذاقوا الإنكليز مع أخيهم الشيخ عز الدين القسام كل أنواع الذل والخذلان.

فكان لشباب حي الميدان ورجالاته بقيادة الشيخ محمد الأشمر القدح المعلّى في مختلف المعارك على أرض فلسطين، وعرفت منهم بعض أقاربي وجوار بيتي، وفي المعارك الطاحنة بين أبناء الشعب السوري، والمحتلين الفرنسيين، مما أجبرهم على الجلاء عن سورية في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦.

وأذكر حادثة واحدة شَهِدْتُهَا قبيل ضرب دمشق من الفرنسيين في شهر أيار ١٩٤٥ حيث جرى قطع طريق الميدان على الفرنسيين في منطقة الطويلة، وجرت معركة في منطقة قرب بستان البندقة ـ شارك فيها شباب



من الحي ومنهم ابن عمتي الشيخ زهير الشاويش.

هذه باختصار محطات تاريخية، لا بد من التوقف عندها، كلما حاولنا استقراء الماضي القريب لفترة عايشنا معظمها، وورثنا بعضاً منها، من آبائنا مشاركين وفاعلين.

وباستعراض لتاريخ هذا الإنسان البسيط المتواضع، الذي قدم نفسه للمجتمع، من خلال الأعمال التي أصبحت واضحة للعيان نتبين:

١ ـ الجهاد في سبيل الله.

٢ ـ نصرة المظلوم، وكأنه اقتفى أثر ـ حلف الفضول ـ الذي نشأ قبل الإسلام، واستمر بعده، والذي قال فيه الرسول الكريم صلوات الله عليه.

«شهدت مع أعمامي في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو أنني دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت»[1].

٣ ـ محاربة الظالم: أيا كانت صفته ومركزه، وعندي في هذا المجال تجارب كثيرة رأيناها رأي العين، وشاركنا في معظمها. مما جعله الإنسان القدوة، والزعيم الشعبي بلا منازع، فعقد الصداقات مع العديد من رجال الدولة، والبلاد العربية، وعلى مستوى العالم.

كان صديقاً لجميع رجالات الاستقلال، كيف لا وقد قاتلوا معاً، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تحرير الأرض من رجس الغاصبين، واختلف مع بعضهم أحياناً، فكان الخلاف خلاف الرجال مع الرجال،

(١) هي في خبر عن النبي ﷺ يوم أن كان عمره أربعة عشر عاماً. انظر كتاب «بهجة المحافل وبغية الأماثل» تأليف الشيخ عماد الدين العامري، طبع المكتب الإسلامي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دون حقد أو ضغينة، وغاية الجميع أن يكون الوطن على المستوى الذي ينشدون...

وذاع صيته خارج أرض الوطن، فاندفعت بعض الشخصيات العالمية للاتصال معه من مشارق الأرض ومغاربها، فعقد صداقات مع بعضها وزار بعضها الآخر، وحمل أوسمة عدد من الدول، وصداقات العديد من الشخصيات العالمية من بلاد المسلمين والصين والاتحاد السوفياتي وأوربا...

فكان صديقاً وصدوقاً مع الجميع، وبنزعة أخلاقية صوفية تعبدية زاهدة، ندر أن تجد مثيلها بين الرجال، لأننا أمام رجل تقي ورع، لا يحيد عن جادة الصواب، ويعمل وفق معتقداته الإسلامية، ولا يتنازل عنها قيد أنملة.

ولقد كان لي معه تجارب شخصية في هذا المجال، إذ عندما كنت طالباً في الجامعة السورية، اختلفنا مع بعض الزملاء. كما يحصل عادة في كل الجامعات، وتطور الخلاف إلى مشاكل كبيرة، حيث كان الفريق الآخر مقرباً من الحكم في تلك الفترة، فلم يقبلوا بالحلول التي فرضت علينا وعليهم، واعتبروا أنفسهم خاسرين، فأعدوا العدة وأحضروا الكثيرين من محازبيهم من خارج الحياة الطالبية، للانتقام منا والاعتداء علينا، ونحن لا نعلم شيئاً مما يدور حولنا، وعند وصولي إلى البيت مساء، وإذا بالهاتف يرن، وكان الشيخ الأشمر على الخط، يطلب إليّ الحضور لفنجان قهوة، فامتثلت وذهبت لزيارته، فما كان منه إلا أن عاتبني قائلاً: «كيف تفعلون كذا وكذا، وتسكتون على ما يجري معكم؟..»

فقلت له: إنها حوادث تحصل عادة بين الطلاب ولا تتعدى نطاق الجامعة!.



فقال: البارحة وصل من المحافظات بعض (فتوات الأحياء) والتقوا هنا مع جماعتنا، وعرفوا منهم أنهم حضروا ( لتأديب) بعض طلاب الجامعة؟.. لذلك سيكون شبابنا غداً قريبين من الجامعة، وسيعملون بإمرتكم.

فقلت: يا شيخي المعذرة، نحن لا نحب أن نصعّد المشكلة، ولا أن نوصلها لهذا المستوى.

فأجاب: عندما يرى الفريق الآخر شبابنا هناك، فإنهم سيحسبون للموضوع ألف حساب وترى أنهم سيراجعون أنفسهم وينسحبون، وهكذا كان فعلاً.

وأضاف: يا عزيزي، عندما تتعادل الكفتان، فلن يكون هناك خصام، وما نقوم به، هو للحؤول دون قيام ما يعكر صفو الجامعة، وينغص حياة طلابها، ويمكنكم الآن، أن تكملوا طريقكم على المستوى الطالبي، وهكذا كان...

فكان ذا نظرة بعيدة، ويأبى الظلم من أي جهة أتى.

وقد دعاني لمرافقته برحلته إلى الاتحاد السوفياتي والصين، فاعتذرت باعتباري موظفاً في جهاز الإعلام السوري، مما يشكل إحراجاً لي وله، فاستعاض بشاب غيري، وعند عودته قال: تمنيت أن تكون معنا...

وكان مثالاً للزعامة الشعبية، احترمه الحكام لأنه كان يحترم نفسه، واحترمه الجميع لأنه كان يسير أمامهم في الملمات، فما تجاوز حدوده في أي مناسبة، ولكنه كان سباقاً في المكرمات، وأهلاً لكل خير.

تغمده الله برحمته، وأوسع له في فسيح جناته.





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## صفحة من تاريخ الشام

## الشيخ محمد الأشمر

بقلم: الدكتور محمد مامون المهايني[1]

منذ بدء الخليقة والناس في صراع مرير بين الطيبين منهم والأشرار، بين المظلومين والظالمين، بين العبيد والأسياد، بين المستضعفين في الأرض والجبارين، بين من يناضلون من أجل استرداد حقوقهم الإنسانية والغاصبين لها. وفي غمرة هذا الصراع تبرز أسماء الأبطال كما تتكشف للعيان أسماء الخونة والجواسيس وبائعي الضمائر والذين استعاضوا بدنياهم عن الآخرة، لكن تبقى أسماء من الطرفين مغمورة، ولا يهمنا أسماء الأشرار منها لأنه على المدى الطويل فإن كل الأشرار يصبحون نسياً منسياً إذا ما علا صوت الحق وانتصر، أما أسماء الأبطال المغمورين فتبقى معروفة مشهورة في الأوساط المحلية وقد تنقلب على مدى الزمان إلى شخصيات أسطورية تحوطها هالة من القدسية ـ والولاية كما هو الحال في سيدنا البدوي في طنطا ـ مصر أو السروجي في الشاغور ـ دمشق الشام، وكلاهما اشتهر كبطل أمني شعبي إبان الحروب الصليبية وحروب التتار المغول.

من هذه الشخصيات اللامعة كشهاب في سماء النضال الشامي ضد الإفرنسيين الشيخ محمد الأشمر الدمشقي الميداني ولد في عام ١٨٩٤م

(١) نشرت في جريدة «الأنباء» الكويتية بتاريخ ١٩٧٩/٨/٣. وأعاد النظر فيها الأخ الأستاذ صباح المعراوي ـ جزاه الله خيراً ـ محمد الأشمر.



ابناً لرجل كادح صنعته جمّال وبيطار، شب عن الطوق في قرية الغارية الشرقية من محافظة حوران السورية وتعلم في كتاتيبها.

«والكتاب هو المدرسة غير النظامية التي يشرف عليها أستاذ يعلم تلامذته الصغار كل ما يعرفه مستعيناً بعصاً يؤدب بها المشاغب منهم والكسول».

ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره كان قد تمرس على الفروسية وركوب الخيل نتيجة معاشرته للبدو والحضر في حوران وجبل الدروز وكان يعتاش من محل بقالة افتتحه في قرية «ناحتة» من قضاء أزرع في محافظة حوران.

وكان في شبابه الأول يتزيّى بزيّ أهل البادية، فشعره طويل له ذؤابتان وعيناه سوداوتان فيهما الكحل الإثمدي يتطاير منهما الشرر، وكان شجاعاً لا يهاب الموت، يتقن الرماية وركوب الخيل.

كان في قرية خربة الغزالة وهي محطة للسكة الحديدية تبعد ٢٠كم شمالي درعا عاصمة محافظة حوران رجل كردي يتعهد مزرعة بطيخ، وكان تقياً صالحاً، فحدث أن صادقه الأشمر ومعه رجلان من حي الميدان أحدهما من آل الشرقطلي والآخر من آل المهايني واستمعوا إليه يحدثهم عن شيخه النقشبندي المعتكف في صومعته في جبل الأربعين وهو جزء من جبل قاسيون المشرف على دمشق الشام، وأطنب الكردي في مدح شيخه والثناء عليه والتحدث عن الطريقة الصوفية النقشبندية، فتفتحت نفوسهم إلى حديثه، وتاقت إلى الاجتماع بالشيخ النقشبندي، وهبط الثلاثة إلى زاوية الشيخ ليسمعوا منه عسى أن يهديهم الله إلى طريق الحق.

أما الشابان المهايني والشرقطلي فلم يستطيعا صبراً على حياة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزهد والانقطاع عن ملذات الدنيا من طعام وشراب فغادرا الزاوية، لكن الشيخ محمد الأشمر بقي مقيماً فيها أربعين يوماً طعامه التمر وشرابه الماء وشغله الشاغل العبادة والتأمل، ثم زاد على خلوته هذه أربعين يوماً أخريات، ويقال إن والدته زارته أثناء انقطاعه، وكان شيخه قد بشّره بولادة غلام له وطلب منه أن يسميه محمداً، فلما رآها بادرها بقوله: سمّيه محمداً، ولعله بفراسته علم أن سبب زيارة أمه له لا يتعدى أن تخبره بأنه رزق ولداً ذكراً فبادرها بأن طلب منها أن تسميه بالاسم الذي اختاره له شيخه، إذ لا بد وأن شيخه استطلعه عن أحواله الشخصية فأجابه إنه متزوج وأن امرأته حامل فطلب منه أن يسميه محمداً لما جاء في الأثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد»[1]، لكن العامة تنسب هذا الأمر إلى الكشف الروحاني الصوفي الذي يعرف ما سيأتي به المستقبل وهو كما نعلم غير صحيح لأن علم الغيب خصّ الله نفسه به وحده، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ صدق الله العظيم.

ويقال: إن الأشمر قبل أن يلتحق بالزاوية النقشبندية في جبل الأربعين، سأل أحد المشايخ في حوران عما إذا كان الله يغفر ذنوبه وهي جسيمة وعددها له. فقال له: لو عبدت الله طيلة حياتك لما غفر الله لك ما أسلفت من عمل سيئ، لكنه لما سأل الشيخ أمين سويد وهو من علماء دمشق البارزين قال له: اذهب يا بني واستغفر الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

(١) هذا الحديث ضعيف، والأحسن في الأسماء التعبد لله جلّ شأنه.



وسؤال الأشمر للشخصين يدل عل يقظة روحية لم يستطع بعدها أن يطمئن إلا بالسؤال فلما اطمأنت نفسه إلى مغفرة الله التحق بالزاوية النقشبندية وراض نفسه رياضة روحية خرج منها طاهر القلب صافي النفس شديد العزم على أن يلحق الطريق السوي: أن يعبد الله ولا يعصي أوامره وأن يخدم الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يتجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولما ألبسه شيخه النقشبندي الثوب الأبيض والعمامة البيضاء القصيرة قال له: هاك ثوبك الأبيض كنفسك البيضاء إن شئت وسخته وإن شئت أبقيت عليه أبيض نظيفاً، وبقي الثوب أبيض وبقيت النفس بيضاء من غير سوء.

وقد سمعت من ولده نقلاً عن والدته أن الأشمر لما خرج من الزاوية جمع ملابسه الحريرية وأحرقها وبقي على ملابسه القطنية طيلة حياته فكأنه قطع ما بينه وبين الدنيا وزينتها رحمه الله رحمة واسعة.

كان الأشمر في شبابه الأول جاهلاً لا يعرف من علوم الدين شيئاً، فأراد أن يتفقه في دينه ليكون إيمانه كاملاً وإسلامه إسلام علم ومعرفة لا إسلام تقليد، فدرس على الشيخ عبد القادر شموط[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ورفيق صِبَاه الشيخ محمد أبو لبادة الرفاعي أمدّ الله في حياته اثنتي عشرة سنة، ثم لازم محدث الشام الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني[2] رحمة الله عليه ودرس عليه.

وقد حدثني أحد الثقاة نقلاً عن الشيخ فخر الدين الحسني حفيد الشيخ بدر الدين الحسني الذي كان في حضرة جده مع صديقه

(١) وكان يلقب بالأشهب، وهو عالم يقظ.

(٢) رحمه الله وكانت وفاته سنة ١٩٣٧، وأهلهم بالغرب لهم منزلة كبيرة، وصار ابنه في سورية رئيساً للجمهورية.

عبد الرحمن الطباع[1] «وزير الأوقاف الإسلامية ونائب دمشق في المجلس النيابي سابقاً» وعادل جمال الدين (أبو صياح) «أحد وجهاء حي الميدان»: أن الشيخ بدر الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يودع أحداً خارج غرفته في دار الحديث؛ إلا الشيخ الأشمر، وهذا يدل على مكانة الأخير عند المحدث الأكبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا أظن أن السبب هو غزارة علم الأشمر، فهناك في حلقة الشيخ بدر الدين من هو أعلم منه لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفرس في هذا الشاب الذي اهتدى إلى طريق الحق ووجد أن فيه معدن المجاهدين الأولين الذين نذروا حياتهم لله تعالى عملاً وعبادة لا عبادة فقط: «فرسان في النهار رهبان في الليل».

واقتربت عقارب الساعة في عام ١٩٢٥م لتدق ساعة الصفر وإعلان الجهاد ضد فرنسا المستعمرة، ونحن نعلم من مذكرات حسن الحكيم والشهبندر[2] «قطبان من أقطاب الثورة السورية» ومن مؤلفات جميل العلواني، ومنير الريس، وأمين سعيد:

إن اتصالات مستمرة كانت تجري بين الدكتور عبد الرحمن الشهبندر أبو الحركة الوطنية بعد احتلال الإفرنسيين لمدينة دمشق في ٢٤ تموز ١٩٢٠م وبين قائد الثورة السورية سلطان باشا الأطرش فيما بعد لتوقيت إعلان الثورة في دمشق والجبل الدرزي، وكان لا بد للدكتور الشهبندر أن يدرس قوة الوجدان الديني الإسلامي في نفوس الشعب وأن ينشد معونة المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني

(١) الأستاذ الطباع المدير العام للأوقاف، وهو أول وزير للأوقاف في سورية ولم يكن نائباً في المجلس النيابي.

(٢) الحكيم صار رئيساً للوزارة، والدكتور عبد الرحمٰن الشهبندر من أكبر زعماء سورية، وكان وزير خارجية الحكومة الفيصلية بدمشق، قتل غيلة سنة ١٩٤١.



وهو في وقته كان القائد الروحي الوحيد في سورية.

وأذكر وأنا طفل أني رافقت والدي لاستقباله في مصيف دمر الذي يبعد سبع كيلومترات عن دمشق، وقد خرجت دمشق برجالاتها وشبابها لاستقباله بعد أن أتم رحلته التي زار فيها أمهات المدن السورية، واتضح بعد ذلك إنها كانت في سبيل تعبئة الجماهير روحياً ونفسياً لما سيحدث بعد سنين قليلة من انتفاضة جبارة مؤمنة ضد المستعمر الغاشم وضد الظلم والظالمين، فليس كالثورة الروحية المبنية على عقيدة الإسلام ثورة ترهب فرنسا، وقد تحقق أن الشيخ بدر الدين الحسني كان له اليد الطولى في تأجيج أوارها، ولعل هذا ما دعا فرنسا بعد انتهاء الثورة السورية ووعدها في إقامة نظام نيابي يضع أسس الدولة السورية إلى تنصيب الشيخ تاج الدين الحسني ابن المحدث الأكبر في عام ١٩٢٨م رئيساً لمجلس الوزراء ومرشح دمشق في قائمتي الحكومة والكتلة الوطنية ظناً من فرنسا ومفوضها السامي الكونت هنري دو جوفنيل أن وجود الشيخ تاج الدين على رأس الحكم سيهدئ من نقمة الشعب ويجعله طيعاً في يدي رئيسه الشيخ تاج الدين، وما درت فرنسا أن يقظة الشعب السوري ووعيه السياسي سيحبطان خططها.

ولم يجد الشيخ بدر الدين الحسني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسولاً إلى سلطان باشا الأطرش خيراً من الأشمر فهو شاب مؤمن ومؤتمن يتحمل مشاق السفر براً ولا يثير شكوك الإفرنسيين ولذلك نراه، وقد كلّفه أن يحمل رسالته إلى سلطان باشا الأطرش فصدع بالأمر وعاد إليه يحمل الجواب وهو لا يعلم مضمون الرسالتين، لكن بوادر الثورة في جبل الدروز كانت ظهرت للعيان وكان ما كان من أمرها مما تحدثت عنه في مقالات سابقة، ولما انتقلت الثورة إلى غوطة دمشق وأحيائها القديمة في شمالها وجنوبها



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشرقها[1] أمر الشيخ بدر الدين رحمه الله تلميذه البار أن يلتحق بالثورة فانصاع لأمره وانضم إليه جماعة من حي الميدان: أذكر بعض الأسماء على سبيل المثال لا على سبيل الحصر: توفيق أبو سليمان «وهذا الأخير ابن السابعة عشرة من عمره استشهد في قرية القسطل من جبل تلمود [عبر قسطل فلسطين] في المعركة التي طوق بها الإفرنسيون القائد فوزي القاوقجي ورجاله» ورسمي المهايني، محمود عرار، الحاج قاسم الأمعري، حسني الحلاق «ابن أخت علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله» عيسى حنين، رمضان دربازة، أبو عجاج هلال، أبو صلاح العرجا، عبد الغني الشيخ وغيرهم.

وكان المرحوم الشهيد حسن الخراط قد سبق الأشمر في الثورة على الإفرنسيين وأذاق جنود المستعمر الأمرين، حتى أصبح حسن الخراط وهو الأمي ابن الشعب الذي كان يعمل حارساً ليلياً في الأسواق رمز النضال الشعبي الجماهيري وقد استشهد رحمه الله في بساتين الشاغور أحد أحياء دمشق المناضلة.

كان الشيخ محمد الأشمر عفّ اللسان واليد، وقد اشتهر بمناوئته للثائرين الذين كانت تضطرهم ظروفهم المادية إلى إكراه الناس على دفع الأموال لهم ولرجالهم، وله في هذا الموضوع قصص عديدة جعلته يصطدم أحياناً معهم.

وهذه النقطة بالذات أي: غصب الناس وإكراههم على دفع الأتاوات لبعض الثوار، كانت من أسباب نفور بعض طبقات الشعب من بعض الثائرين وبالتالي إلى إضعاف الثورة. فكل ثورة شعبية تقوم على الفوضى وتعدد الزعامات وجمع الأتاوات بالإكراه نهايتها الفشل. ذلك

(١) انظر رسالتيه المنشورتين في الصفحة (٢٢٩) وما بعدها للأستاذ نديم ظبيان.



أن الثورة وهي حرب غير نظامية توجب أن تكون منظمة تنظيماً دقيقاً بقيادة موحدة وبيت مال واحد لتأمين المؤن والذخائر إلى المجاهدين في جبهات القتال وأن يكون نشاطها العسكري منسّقاً بين فصائلها حتى لا تتبعثر الجهود المتفرقة في مقارعة الخصم المنظم، ولذلك وجدنا أن الثورة نشبت في المناطق السورية دون توقيت دقيق ودون سند مالي ثابت يدعمها، فسهُل على الإفرنسيين القضاء عليها منطقة بعد منطقة رغم بسالة وشجاعة وتضحية المجاهدين، ورغم تحمل المدنيين وخاصة في القرى والريف قسوة الانتقام الإفرنسي من تدمير البيوت وإعدام الأبرياء ونهب الأموال والماشية.

أما معارك الشيخ محمد الأشمر ضد الإفرنسيين في الثورة السورية، فهي جزء من تاريخها أسهب في وصفها المجاهد منير الريس في كتابه الذهبي، والمجاهد جميل العلواني، والكاتب أدهم الجندي، الذي أضاف إلى كتابه صور بعض المجاهدين البارزين وكتاب الأستاذ أمين سعيد الذي يعد كتاباً وثائقياً هاماً، فهذه الكتب الأربعة - في رأيي - تعطي صورة صادقة عن أحداث الثورة السورية لذلك لا أرى لزوماً لتفصيلها، ومن أراد الاستزادة في معرفتها فعليه أن يرجع إلى هذه المصادر الهامة.

بقي الأشمر في غوطة دمشق طيلة سني الثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٧م ثم استطاع الإفرنسيون السيطرة عليها، فلجأ وجماعته إلى حوران واستقر في قرية «داعل»، لكن جواسيس الإفرنسيين علموا بوجوده هناك فوجهوا إلى قرية «داعل» حملة عسكرية تؤيّدها الطائرات حاصرت القرية واستطاع هو كسر الطوق المحكم عليه وخرج من القرية يمتطي فرسه وطائرات الإفرنسيين تلاحقه وتقذفه بالقنابل وهو يحيد عنها يميناً وشمالاً وسلمه الله من أذاها حتى وصل إلى وادي اليرموك ووجد فيه المأمن.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحكاية حرب الأشمر من قرية داعل ممتطياً فرسه والطائرات تقذفه بالحمم أصبحت أسطورة شعبية وصلت إلى حد اعتقاد بعضهم أن الملائكة كانت تحميه من أذى الطائرات.

وقد أدى ركوبه فرسه مدة طويلة إلى هرس أصاب إحدى خصيتيه سبّب فيما بعد إصابتها بسل الخصية الذي صعد في السنين المقبلة إلى الكلية وأدى إلى اختلاطات كان لها أثر سيئ على صحته.

واستقر في الأزرق ـ شرقي الأردن ـ في عام ١٩٢٧م مع ثوار جبل الدروز وقاسى ما قاساه الثوار من شظف العيش وقلة الطعام، إذ أن الإنكليز المهيمنين على شرقي الأردن فرضوا عليهم حصاراً شديداً وألزموهم بالبقاء في صحراء الأزرق، وكان بعض أصدقاء الأشمر يرسلون إليه بعض الأغذية عن طريق أحد تجار الميدان الحاج غالب زباد.

ثم عطف الملك عبد الله على الثوار الدمشقيين وسمح لهم بالسكنى في الرمثا وجرش وعمان وتحسنت أحوال معاشهم بما كان يجمعه بعض التجار الدمشقيين من معونات لهم وعلى رأسهم حسن أبو صلاح الشربجي، والحاج قاسم الأمعري، وأبو عبده أحمد الرجال.

ثم توجه الشيخ محمد الأشمر إلى القدس ثم إلى السعودية بمساعدة الحاج أمين الحسيني رحمه الله، وبعد ذلك استقر في قرية «ناعور» قرب مدينة عمان، وبقي فيها ثلاث سنوات إلى أن صدر العفو عنه في عام ١٩٣٢م بوساطة والدي المرحوم زكي المهايني وتوسطه لدى رئيس الحكومة السورية إذ ذاك الشيخ تاج الدين الحسني[١]، وعاد إلى دمشق وإلى حي الميدان حيث نشأ فيه وترعرع.

آوى الشيخ محمد الأشمر إلى دار متواضعة في الميدان وبدأ رفاقه

(١) الحق أن فرنسا أصدرت عفواً عاماً، فرجع للبلاد العدد الكبير من المجاهدين ومنهم: الشيخ الأشمر، والشيخ محمد كامل القصاب، وأبي عبده سكر، وغيرهم.



في السلاح أثناء الثورة السورية يلتفون حوله وجلّهم من الطبقة الشعبية وفتوات الأحياء، أو كما يسمى أمثالهم في سورية «الزكرت» فكانت داره تجمع الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان يستمع إلى خلافات بعضهم ويسعى إلى حلها بما يعيد الحق إلى صاحبه، وبلغ حب الناس له وثقتهم به إلى أن أصبحت الزوجة إذا اختلفت مع زوجها تسعى إليه لعرض شكايتها وطلب حل قضيتها بما يضمن مصلحتها وكرامتها إن كانت هي المظلومة، فكان الشيخ لا يتردد فيرسل إلى زوجها يحاوره حتى يقضي على أسباب الخلاف بينه وبين زوجته.

وفي ذلك الوقت، كان الصدام بين القوى الوطنية والإفرنسيين وحلفائهم من الحكام المحليين على أشدّه فكانت داره تستقبل الوفود الشعبية وتهيئ الخطط لمتابعة النضال.

ثم اندلعت نيران الثورة الفلسطينية ثورة عام ١٩٣٦م، وأضرب عرب فلسطين ستة أشهر، وتحركت في نفس الشيخ الأشمر دواعي الجهاد فاشترك في الثورة الفلسطينية وحضر معركة «بلما» من قضاء نابلس، وأذكر أنه كلّفني بكتابة تقريره عن هذه المعركة لرفعه إلى الحاج أمين الحسيني قائد الثورة الفلسطينية في ذلك الوقت. والظاهر أن أمانة الأشمر وتمسكه بالصدق والوفاء وعدم الغدر أثّرت في الحاج أمين الحسيني إلى درجة أنه شهد بصفاته الإسلامية على ملأ من الناس وخاصة عندما أرجع الأشمر للحاج أمين الحسيني ١٥٢ بندقية كانت في حوزته بعد انتهاء ثورة عام ١٩٣٦م وقبل ابتداء ثورة الفلاحين المجيدة[١] عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩م.

(١) الحق أنها لم تكن ثورة الفلاحين فقط بل اشترك فيها كل مدن فلسطين وجميع القرى، وكانت امتداداً لثورة الشيخ عز الدين القسام رحمه الله الذي توفي سنة ١٩٣٥، وانظر رسالة «النقد والبيان في رد أوهام خزيران» التي ألفها الشيخ عز الدين القسام مع الشيخ محمد كامل القصاب، وقمت على تحقيقها وطبعها سنة ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١، وهي من مطبوعات المكتب الإسلامي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبقيت دار الأشمر في حي الميدان مركزاً لتجمع المجاهدين الفلسطينيين وتهريب الأسلحة من سورية إلى فلسطين وكنت كثير التردد عليه في ذلك الوقت واجتمعت بعدد من المجاهدين مثل أبو إبراهيم الكبير، وأبو إبراهيم الصغير، وفخري النشاشيبي.

وبقي على هذه الحال حتى أعلنت الحرب العالمية الثانية وتوقفت الثورة الفلسطينية منتظرة ماذا يفعل ملوك ورؤساء العرب، وكما نعلم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً أمام دهاء الإنكليز وخبث المنظمات اليهودية وسيطرتها على الرأي العام العالمي.

اشتدّت مكانة الشيخ محمد الأشمر محلياً وعربياً حتى أصبح مرجع كل ذي شكاة ومظلمة. حدثني بعض رفاقه أن بعض المجاهدين الفلسطينيين حجزوا ابن أخ اليهودي اللبناني نسيم الطيار فجاءه يستنجد به فكتب إلى الزعيم المجاهد الشيخ أبو درة يطلب منه السعي لإطلاق سراح الشاب اليهودي وعاد الشاب المحتجز إلى أهله، وجاء نسيم الطيار إلى دمشق وطلب من أحد معارفه الميادنة واسمه عادل جمال الدين وهو في الوقت نفسه صديق مقرب من الشيخ الأشمر أن يجمعه به، فأقام السيد عادل جمال الدين لهما مأدبة غداء حضرها علية القوم ووجهاء الميدان، ولاحظ الشيخ أن اليهودي انتبذ مع السيد عادل جمال الدين مكاناً في الدار وبدءا يتهامسان، فاستدعى الشيخ صديقه يستطلعه الخبر فأجابه أن اليهودي يريد أن يقدم للشيخ هدية مالية، فاستشاط الشيخ غضباً وترك الحفل رغم توسلات صاحب الدار واعتبر الشيخ أن صاحب الدار واليهودي تواطآ على تشويه سمعة الشيخ في أن يكون مسعاه لإنقاذ الشاب اليهودي طمعاً في الحصول على المال. ولم يعد الشيخ إلى الحفل أبداً.

ونحن نعلم أن الاتحاد السوفياتي منح الشيخ محمد الأشمر جائزة



ستالين للسلام، وكنت أظن أن الشيخ مضى في تيار «أنصار السلام» التي كانت إنسانية المظهر شيوعية الأصل إلى أن كشف لي أحد العارفين ببواطن الأمور حقيقة القصة مستنداً إلى كتاب ألفه الصحافي البريطاني «مايكل أدامز» وهو صديق مخلص للعرب وقضاياهم استقى معلوماته من الوثائق السرية البريطانية التي سمحت وزارة الخارجية البريطانية بنشرها بمناسبة مرور ثلاثين سنة على حوادثها وتوضح هذه القصة.

أن مدير شركة شل، وهو مقيم قرب دمشق كان صديقاً لبعض معارف الشيخ الأشمر فرغب في زيارته وأصبح يتردد عليه، ثم استعرض في سياق الحديث حالة المسلمين في روسيا السوفياتية وأوحى للشيخ أن يزورهم وضمن له استعداد الحكومة السوفياتية لاستقباله.

والشيخ محمد الأشمر مسلم وجد الفرصة سانحة لتفقد أحوال إخوانه المسلمين في روسيا السوفياتية ووصل حبل الود والأخوة بينهم وبين المسلمين في سورية، فوافق على الفكرة دون أن يخالجه الشك في أن وراء الأكمة ما وراءها، ثم زاره السفير البريطاني ثلاث مرات وبدأ المسؤولون في الحزب الشيوعي السوري يترددون عليه أمثال الأساتذة مصطفى أمين، نصوح الغفري ونجاة قصاب حسن ينشدون مؤازرته في جمع التواقيع على مضابط «أنصار السلام» التي جاء ذكرها فيما مضى، حتى إذا ما اختمرت الفكرة في رأس الشيخ الأشمر ووافق على الزيارة رحب به السوفيات ترحيباً رسمياً ودعوه ليكون ضيفاً حراً في تنقلاته واتصالاته.

وقد زار الشيخ روسيا مرتين عالج في إحداهما نفسه من الأمراض التي كانت تنتابه.

كما أنه زار الصين الشعبية واجتمع مع زعيمها الراحل ماوتسي تونغ وهي زيارة متأخرة عن زياراته لروسيا يقول مايكل أدامز في كتابه:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الأميركان بعد الحرب العالمية استطاعوا أن يطردوا الإنكليز من الشرق الأوسط ليحلوا محلهم، فما كان من الإنكليز إلا أن سعوا إلى إدخال الروس إلى هذه المنطقة كي لا تبقى خالصة للأميركان.

ولم أطلع على الكتاب آنف الذكر لكني واثق من صدق من حدثني عنه ولعل أساتذة التاريخ وفي مقدمتهم أستاذنا الدكتور شاكر مصطفى رئيس قسم التاريخ في جامعة الكويت ينبئنا عن هذا الكتاب.

من جرّاء هذه الزيارات ولمكانة الشيخ محمد الأشمر النضالية الشعبية فقد منحته الحكومة السوفياتية جائزة ستالين للسلام في وقت كانت الحرب الباردة على أشدّها بين العملاقين الكبيرين: أميركا والاتحاد السوفياتي، وليس هذا بضار للشيخ الأشمر فقد جرت العادة أن تمنح الجامعات الغربية دكتوراه شرف لبعض زعماء الدول الحليفة من العالم الثالث، رغم أنهم غير مُؤَهَّلين علمياً لحمل هذه الشهادات، أما الأشمر فكان جديراً أن يحمل جائزة السلام سواء كانت باسم ستالين أو باسم روزفلت لأنه كان بحق رجل سلام ومَحَبَّة رغم الهالة النضالية التي كانت تحيط به.

كان نفوذ الشيخ الأشمر يمتد إلى أنحاء سورية وخاصة المناطق الريفية والبدوية، وقد استطاع أن يجد حلولاً لخلافات عشائرية عجزت الدولة السورية إذ ذاك عن حلها.

فقد كان الأستاذ راسم الأخرس من كبار القضاة النزيهين ينتسب رغم سكناه مدينة حمص إلى بلدة القريتين، وكما جرت العادة في الريف فإن كل قرية أو بلدة صغيرة كانت تحوي فريقين متنافسين تبدأ خصومتهما صغيرة ثم تكبر وتشتد حتى يستعصي حلها على العقلاء، وفي بلدة القريتين القريبة من حمص تنازع الفريقان الأغوات والبكوات «كذا كان يطلق عليها في البلدة» ودامت الخصومة أربع سنين كل فريق



يتربَّص بالفريق الآخر الدوائر وإزهاق الأرواح وقد حاصرت كتيبة من الجيش السوري البلدة خوفاً من اندلاع الفتن الدامية بين الفريقين.

فحدث أن كان لأحد الميادنة قضية قانونية لدى الأستاذ راسم الأخرس وهدى الأخير تفكيره إلى أن ينشد العون من الأشمر لعل توسطه ينهي الخلاف. واستجاب الشيخ الأشمر لذلك واصطحب عدداً من أنصاره الميادنة وخرج يقصد بلدة القريتين، فلما رأى قائد الكتيبة العسكرية الشيخ وجماعته وهم مسلحون وكان يعرف الشيخ وعلم بالغاية من مجيئهم أتاه مسلماً وأعانه على دخوله البلدة. وتسامع أهالي القريتين بمجيء الشيخ فجاء زعماء الفريقين يُسَلِّمون عليه واستطاع بلباقته وتفهُّمه للخلافات العشائرية أن ينشر السلام في ربوع هذه البلدة التي كان يمزِّقها خلاف أبنائها، ونجح من حيث لم تنجح الحكومة لأن أسلوب المعاملة الذي لجأ إليه يناسب عقلية المتخاصمين وعاداتهم.

لم يكن الشيخ محمد الأشمر لِيَسْلَمَ من تورطه في أمور جسيمة كادت أن تؤدي إلى فتن دامية. وقد نفته الحكومة السورية عام ١٩٤٤م إلى جزيرة أرواد وبقي فيها شهراً رغم أن رئيس الجمهورية السورية المرحوم شكري القوتلي كان صديقه.

وخلاصة الأمر، أن بعض المشايخ المنتسبين إلى الجمعية الغراء أتوه يحرِّضونه على منع حفل راقص تقرر إقامته في نادي الضباط، فدفعته غيرته الدينية إلى الإصغاء إليهم وأوعز بعقد اجتماع كبير في جامع دنكز الكائن في شارع جمال باشا أو ما يسمى شارع النصر وسط المدينة، وانعقد الاجتماع الذي كان يضم الألوف من علماء الدين والشباب المسلم المتحمِّس.

فهال الأمر الحكومة السورية وأوفد وزير الداخلية لطفي الحفار مدير الأمن العام السيد أحمد اللحام يستطلع الخبر، وطلب الشيخ منع



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقامة الحفل ووعد مدير الأمن العام بتنفيذ رغبة المجتمعين ومنعت الحفلة، لكن الحكومة السورية وجدت أنه من الضروري تحطيم شعبية الشيخ فأمرت بتوقيفه ونفيه إلى جزيرة أرواد، ووجد الشيخ أنه إن تمنّع عن تنفيذ أمر الحكومة فإن أرواحاً كثيرة ستزهق فآثر الانصياع إلى أمر الحكومة رغم نصيحة أنصاره في عدم الخضوع وسافر مع شرطي واحد في سيارة رسمية عادية حتى وصل إلى مدينة طرطوس على الساحل الغربي واستضافه نائب طرطوس وزعيمها رياض عبد الرزاق أياماً ثلاثة، ثم انتقل إلى جزيرة أرواد وبقي فيها ثلاثين يوماً. أفرجت عنه بعدها الحكومة السورية بعد أن توسط في ذلك نائب دمشق صبري العسلي «وقد أصبح رئيس مجلس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة أيام الوحدة السورية المصرية» والسيد أديب خير من المقربين لرئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي.

لكنه لم يأتِ إلى دمشق بل آثر البقاء في بلدة خربة الغزالة في محافظة حوران حيث تقاطرت عليه وفود المدن السورية ومحافظاتها أفواجاً أفواجاً وحتى النساء وعلى الهوادج، ولم تستطع الحكومة السورية منع هذه الألوف من البشر من أن تأتي لتسلم على الشيخ إلى أن أوعزت إلى نواب حوران في المجلس النيابي: محمد خير الحريري، محمد المفلح الزعبي، ويوسف أبو رومية أن تقف على مفارق الطريق المؤدّية إلى خربة الغزالة وتعيد الوافدين إلى قراهم ومدنهم.

وحسب العادة فقد بدأت بعض الجهات تسعى لاستثمار شعبية الشيخ الأشمر ومن جملتها الحكومة الإفرنسية التي أوفدت أحد جنرالاتها الكبار «ويقال إنه الجنرال أوليفا روجه بطل مجزرة ٢٩ أيار سنة ١٩٤٥م، ومندوب المفوض في سورية» إلى الشيخ الأشمر يرافقه الأمير عبد الرزاق ابن الأمير سعيد الجزائري، فعرض الجنرال الإفرنسي



على الشيخ الأشمر أن يساعده بالمال والسلاح لإسقاط الحكومة الوطنية التي ساقته إلى المنفى، ويتولى هو أي الشيخ الأشمر تسمية من يراهم أهلاً للحكم، أي أن الجنرال الإفرنسي حرض الأشمر على أن يقوم بحركة انقلاب عسكري مؤيد من فرنسا لقلب نظام الحكم.

ورد عليه الأشمر بمقالة هي خلاصة الإيمان وحب الأوطان والوفاء والإخلاص. قال له: لقد بذلنا دماءنا لنيل استقلالنا فهل نقبل أن نرجع الأجنبي إلى بلادنا بإرادتنا؟

وخاب ظن الإفرنسيين وبقيت سورية تتمتع باستقلالها خالصة من كل نفوذ أجنبي. حمى الله سورية العربية والبلاد العربية، وحمى الله الإسلام وأبناءه وحكوماته من كل سوء وبلاء، وهدى أولي الأمر إلى التبصر بعواقب الأمور.

بقي الشيخ الأشمر مخلصاً لدينه ووطنه يعمل ما في وسعه لإحلال السلام وفضّ الخصام إلى أن توفي في شهر آذار «مارس» ١٩٦٠م متأثراً من أمراضه المتعددة رحمه الله رحمة واسعة.

وإني لأشهد إنه وهو على فراش الموت وكنت في زيارته لم يتوقف عن السفر محمولاً إلى قرية الغارية الشرقية في حوران لإحلال الصلح بين فريقين متخاصمين والقرية تبعد ١٠٠كم عن دمشق.

أين نحن من هؤلاء الأبطال الصناديد الذين أخلصوا لأمّتهم ووطنهم لا يرجون مغنماً من منصب أو مال. ويا حبذا لو أن إخوان الشيخ الأشمر وخاصة المتخصصين منهم بالتاريخ يكتبون سيرته بتحقيق أشمل وتفضيل أعم، فما ذكرته في هذا المقال ليس إلا نقطة من بحر سواء لرغبتي في الاختصار أو لجهلي ببعض الأحداث. فهل من مجيب لهذا النداء؟



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد قامت الحكومة السورية بتخليد ذكرى هذا المجاهد، فأقامت نصباً حجرياً[1] في ساحة الأشمر التي أقيمت في حي الميدان، والنصب الحجري لا يحوي صورة ولا رسماً، وإنما هو رمز لصلابة الشيخ المبدئية والإسلامية.

كما أن حي الميدان يشيِّد مسجداً باسم مسجد محمد الأشمر، وهو في رأيي خير تكريم له وخير تخليد لذكراه رحمه الله الرحمة الواسعة[2].



(١) وأن مثل هذا العمل لو كان الشيخ محمد الأشمر حياً فإنه لا يقبل به ولا يرضاه، لأنه يخالف ما كان عليه الأشمر من اعتقاد.

(٢) وقد تمّ المسجد، والحمد لله.



# قِصّة الثورة والثائر من البداية حتى النهاية

## مدخل إلى فهم الثورة السورية عام ١٩٢٥

الكثيرون ممن أرّخوا للثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي بدؤوا الحديث عنها في الأيام الأولى التي أرهصت باندلاعها، سواء ما كان من ذلك في شمال سورية أو وسطها أو جنوبها.

مثل هذه البدايات في تأريخ التحركات الشعبية كإرهاصات لتحرك ثوري أمر كاف - على أية حال - إن كان الهدف من عملية التأريخ مجرد تسجيل لوقائع المواجهات فقط، إلّا أنه غير كاف للإحاطة بالعوامل الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والجغرافية التي تدفع إلى هذه المواجهة.

وثورة مثل تلك التي تفجرت عام ١٩٢٥ على شكل حركات تمرد وعصيان ومواجهة للاحتلال الفرنسي في طول البلاد وعرضها فرضت ضرورة ثورية للانضواء تحت قيادة واحدة تشرف على عمليات هذه الحركات التي لم يثبت وجود تخطيط مسبق بينها واتفاق على ساعة صفر لها - بما يعنيه تعبير (التخطيط) و(الاتفاق) - مع تزامن ظهورها بشكل تقريبي بين منطقة وأخرى تزامناً يوحي وكأن كل واحدة كانت صدى للأخرى واستجابة لندائها، أمر يلفت النظر ويقود إلى تفسير واحد هو أن العوامل الدافعة لمثل هذه التحركات الشعبية التي آلت إلى التوحُّد في ثورة مسلحة امتدت من الشمال إلى الجنوب كانت شاملة للمساحة الجغرافية والبشرية معاً، وبنفس المستوى من التأثير والإثارة.

ونحن لا نحاول التأريخ لمرحلة الثورة السورية بين عامي ١٩٢٥ -

١٩٢٧ فقد فعل ذلك آخرون كانوا من المعاصرين لها والمشاركين بشكل فعّال فيها، كالمجاهد سعيد العاص على سبيل المثال. ولكننا نسعى إلى عرض صفحة من صفحاتها لم يتح لها ما أتيح لغيرها من القراءة. ذلك لأن صاحبها ـ فيما نظن ـ كان من المجاهدين الذين آثروا الصمت وعدم الحديث كثيراً عن نفسه، حتى ليصح أن يطلق عليه لقب المجاهد الصامت؛ إلَّا أن دوره في الثورة سواء على مستوى الاشتراك في القيادة العامة أو في التخطيط للمواجهات والمعارك التي خاضها قائداً لمجموعة ثوار حي الميدان كان أكبر من أن يطوى بالصمت أو ينسى بعدم نشره.

ولطالما تحدَّث الناس وأهل حي الميدان منهم بخاصة رغم صمت القائد المجاهد نفسه، ولطالما ورد ذكر الوقائع التي خطَّط لها وخاضها في هذا الكتاب أو ذاك من الكتب التي أرّخت للثورة دون أن يسعى لذلك أو يعمل له، لأنه كان يخوض المعارك ويعرِّض نفسه للهلاك لغاية أخرى أبعد ما تكون عن مغريات التباهي وفواتن الشهرة.

ذلك هو الشيخ محمد الأشمر.

ونحن إذ نحاول عرض هذه الصفحة من صفحات الثورة بين عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ من خلال المثال الحي الذي يتجلى في حركة هذا المجاهد الصامت رحمه الله وأثابه على جهاده خير الثواب فإننا سنعرض لبعض العوامل التي أسست للحس الثوري على المستوى الشعبي الذي أدى بدوره إلى تكوين فكر الثورة لدى الطليعة التي كانت تجمع بين جذورها الشعبية ومكتسباتها الثقافية التي تحصلت لها إما من المعاهد العلمية أو من المراكز الوظيفية التي تبوّأتها سواء على مستوى الإدارة أو على مستوى الجيش، وأقرب العوامل ـ فيما نظن ـ كانت:



## أولاً: نمو التوجّه القومي الطوراني أواخر العهد العثماني:

على امتداد الدولة العثمانية سواء في المساحة الجغرافية أو المساحة البشرية كان ثمة ما يوحّد رعاياها على اختلاف جنسياتهم وأعراقهم وتباعد أوطانهم ويصهرهم في بوتقة واحدة بحيث يشعر المولود على شاطئ دجلة منهم أنه مواطن في كل المساحة الممتدة حتى بلاد الرافدين.

ولقد وحّد بين البشر على امتداد هذه المساحة الشاسعة من الأرض أنهم كانوا على إيمان بـ(أيديولوجيا) واحدة تغلغلت في نفوسهم شرعة وعقيدة وديناً، بحيث نظمت لهم شؤون حياتهم وشؤون ما بعد مماتهم فانتظموا فيها وعليها حتى أصبحوا على قلب رجل واحد.

تلك كانت أيديولوجيا الإسلام التي كانت للمسلمين ديناً وعقيدة، ولهم ولغيرهم من أتباع الديانات الأخرى تشريعاً وقانوناً. ومن هنا كانت قوة الدولة العثمانية وانتصاراتها وامتدادها في مشرق الأرض ومغربها.

لم يكن (الطورانيون) في هذه الدولة يستأثرون بالسلطة دون سواهم، وإذ كان مركز (الخلافة) فيهم وفق منهج وراثي في الحكم كان مفتياً بقبوله من فقهائهم، فإن باقي مراكز السلطة كانت متاحة لرعايا الدولة من الأجناس الأخرى دون تمييز؛ فقد كنت ترى ضابطاً دمشقياً مثل عبد القادر الترجمان يقضي زهرة عمره في أوائل سني خدمته في ولايات الدولة الأوروبية[1] باعتباره أحد أمراء الجيش العثماني، كما ترى ضابطاً عراقياً مثل محمود شوكت باشا الذي كان يقود الجيش المرابط في (الروملي)[2] يزحف إلى (إستانبول) لمحاصرة العصاة ـ وكان

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، د. أحمد قدري، منشورات وزارة الثقافة السورية ـ المقدمة ص آ.

(٢) (الروملي) تعني الولايات العثمانية في أوروبا.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منهم معظم المنتسبين إلى جمعية الإخاء العربي - وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عصيان ٣١/٣/١٩٠٩[١] دون النظر إلى هويات العصاة العرقية.

إلا أن الأمر لم يدم - نهاية العصر العثماني - على هذه الحال، حيث كانت تحاك في الخفاء الخطط والمؤامرات للإجهاز على الإمبراطورية العثمانية التي أصبحت توصف بأنها (الرجل المريض) من الخارج والداخل.

ففي الداخل كان الأمر يتجلى في تمكن الدول المعادية للإمبراطورية العثمانية من تصدير إيديولوجياتها (القومية) ذات المحتوى (العلماني) إلى الأقطار العثمانية جميعها، فتغلغلت (الثقافة القومية الأوروبية) وبخاصة ما نجم منها عن الثورة الإفرنسية إلى هذه الأقطار، فما كان من الأتراك إلا أن راحوا يتغنون بهذه الثقافة مبشرين بمبادئها، متطلّعين إلى الأخذ عنها، ولا سيما بعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨، حتى إذا ما سيطرت النعرة الطورانية على الشبيبة الاتحادية، فإن النظرة إلى العرب تغيّرت كلياً فلم يعودوا ينظرون إليهم كإخوان في الدين، بل أصبحوا ينظرون إليهم على أنهم مستعبَدين لهم مستعمَرين من قِبَلِهم[٢].

هذا التحول في نظرة الأتراك الذين سيطرت عليهم النعرة الطورانية إلى الآخرين كانت بدايةً لاستدعاء النعرات العرقية الأخرى من مراقدها كرد بدهي على ظهور (النعرة الطورانية) وتصرفها على أنها الأقوى المستعمِر والمستعبِد للآخرين، مما كان له الأثر الأعمق في دفع

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٩.
(٢) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٦.



الآخرين نحو تحسُّس قومي مضاد، حيث أن لكل إنسان قومه ولكل قوم أمجادهم وتاريخهم الذي يمنحهم ما يفخرون به إن شاؤوا، ويعطيهم مبررات التميُّز عن غيرهم إن أرادوا.

وعندما تتواجه قومية مع أخرى في المجتمع الواحد مواجهة تفاخر كل واحدة على الأخرى وازدرائها لها، فإن مآل هذه المواجهة إلى الاحتراب والاقتتال لا محالة، بحيث لا تجد القومية الأضعف مفراً من أن تثور ولا تجد القومية الأقوى مفراً من أن تبغي وتظلم وتجور.

وقد كان بدهياً أن تستدعي النعرة الطورانية ظهور الإحساس القومي لدى الآخرين من شعوب الإمبراطورية العثمانية، وبخاصة أصحاب الانتماء العربي.

وحتى لا نطيل، فإننا نترك لأحد المثقفين العرب الذين عاشوا تلك الأيام وشهدوا أحداثها وساهموا فيها هو الدكتور أحمد قدري أن يبسط لنا صورةً مما كان عليه الأمر بعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨، كما وثقه في مذكراته التي نَشَرَتْهَا له - مشكورة - وزارة الثقافة السورية.

يقول الدكتور أحمد قدري[١]:

إن أنسى لا أنسى حادثاً مر بي في الآستانة، وهو من أوثق الأدلة على الشعور العدائي الموجّه ضد العرب. فبينما كنت أسير مع زميل الدراسة عوني عبد الهادي عقب إعلان الدستور، شاهدت جمهوراً غفيراً من الأهلين أمام ضابط يدعى (سري بك) وقد قام يخطب فوق عجلة متغنياً بحسنات الدستور وأمجاده، ثم ما لبث أن انتقل إلى التحامل على

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٦.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كبار الموظفين العرب السابقين كأن يقول: الخائن عرب عزت[1]، والخائن عرب أبو الهدى[2].

وقد عجبت أيما عجب لهذا التحامل المُغْرِض، أفلم يكن بين رجال الحكم البائد طائفة كبيرة من الأتراك، فلِمَ لم يندد الخطيب بواحد منهم بمثل ما ندّد بالشخصيتين العربيتين؟ وإذا كان يندّد بهما لشخصهما فلِمَ يعمد إلى ذكر قوميتهما؟

حقاً لقد هزني شعوري القومي وتعاظمتني العزة العربية، فانطلقت إليه وصديقي عوني عبد الهادي ندفع صفوف الجماهير المزدحمة، حتى إذا ما وصلنا إليه جابهناه باستنكار مزاعمه، وفي ملامحنا الغضب الشديد وفي صوتنا نبرات في مثل النار.

ولدى معادي وزميلي إلى سكننا أخذنا نقلّب الرأي فيما سوف تتمخض عنه الأحداث بعد أن عَلُن لنا بوضوح أن رجال (جمعية تركيا الفتاة) الذين تسلموا مقاليد الحكم في العهد الجديد متعصبون أيما تعصب لقوميتهم التركية، حَاصِرُون سياستهم في تقوية هذه القومية والنهوض بها على حساب القوميات الأخرى التي كانت تنتظمها الدولة العثمانية، وقد خرجنا من هذه الحقيقة على أن نشكل جمعية عربية سرية تنهض بواجب الدفاع عن حقوق العرب ورفع مستواهم. ولم أكد أفاتح

---

(١) هو عزت باشا العابد وقد كان يشغل منصب سكرتير السلطان عبد الحميد الثاني وهو يمتد في نسبه إلى عرب الموالي. وعائلة العابد من العائلات العريقة في حي الميدان، ولا تزال بيوتهم قائمة في هذا الحي. وقد تسلّم أحدهم وهو علي العابد منصب أول رئيس للجمهورية بعد العهد الفيصلي.

(٢) هو أبو الهدى الصيادي المعراوي الرفاعي، أصله من خان شيخون في قضاء معرة النعمان وهو شيخ الطريقة الرفاعية، اشتهرت أسرته في المعرة باسم (الصيادي)، واشتهر من قدم منها إلى دمشق باسم (المعراوي) وأقاموا في حي الميدان.



الزميل محمد رستم حيدر الذي اعتمد عليه حتى حبذ الرأي، وكان هذا مبدأ تشكيل (الجمعية العربية الفتاة) على أثر إعلان الدستور العثماني بأربعة أيام[1].

هذه الصورة التي عرضها لنا الدكتور أحمد قدري نموذج لصور كثيرة مماثلة استفزت في هذا الشاب المثقف وزملائه الإحساس بالعروبة مقابل الطورانية وثوّرت فيهم دوافع الذود عن كرامة تُهْدَر، وروابط وشيجة شدّ الإسلام حبالها برباط وثيق تُقْطع وتُبْتر. وما كان الطريق أمامهم سوى اللجوء إلى التخطيط في عمل سري للدفاع عن أمتهم في أصالة انتسابها العربي فلجؤوا إلى التلاقي وتأسيس أول حركة عربية السِّمَات أطلقوا عليها - فيما بينهم - اسم (العربية الفتاة) على نحو جمعية (تركيا الفتاة) ولم تكن هذه الجمعية هي الوحيدة، بل نشأت إلى جانبها جمعيات أخرى مثل جمعية العهد والمنتدى الأدبي.

توسعت هذه الجمعية، وانتشرت إلى أن انتقل مركزها من بيروت إلى دمشق، حيث بدأت توسع من نشاطها بالاتصال بالوطنيين السوريين في مصر وغيرها.

ولعل من المفيد أن نذكر من أعضاء هذه الجمعية والجمعيات الأخرى المشابهة الأسماء التالية:

شكري القوتلي، نسيب البكري، فخري البارودي، فايز الغصين، الأمير طاهر الجزائري، الشيخ كامل القصاب، فوزي القاوقجي، د.عبد الرحمن الشهبندر، جميل مردم، رضا الركابي، محمد رستم حيدر.

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٧.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك لأن هذه الأسماء بدأت الإحساس بالثورة ضد التوجُّه الطوراني التركي لتكون في طليعة الثائرين مع أمير مكة الشريف حسين بن علي ضد العثمانيين، ولتكون أيضاً في طليعة الثائرين على الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٥ - ١٩٢٧.

وإذا كان التوجه القومي الطوراني قد دفع إلى إثارة الإحساس القومي العربي كرد فعل على نعرة الاستعلاء التي صاحبت هذا التوجُّه لدى الحركة القومية الطورانية ذات المحتوى العلماني، فإن ثمة مراكز عربية في الأرض العربية لم تكن بعيدة عمّا كان يجري، أثارتها هذه التحولات وما رافقها من استهانة بالعرب من جهة وإساءة للإسلام من جهة أخرى باعتبار أن (إلغاء الخلافة) يعتبر ضربة بليغة جداً للتكوين الاجتماعي والسياسي والديني في الأرض العربية. ذلك أن العرب الذين اختارهم الله تعالى من دون سائر الأمم لينيط بهم حمل رسالته إلى شعوب الأرض كافة كانوا يرون أن تخلي الأتراك الطورانيين عن مركز الخلافة، بل ولجوءهم إلى إلغائه يضع عبء استعادة هذا المركز على عاتقهم وحدهم دون سواهم.

ولقد كان لأمير مكة الشريف حسين بن علي - بما له من نسب عربي قرشي يمتد إلى الأسرة النبوية الشريفة - ما يبرر له الطموح لتبوّء هذا المركز، والجلوس على قمة السلطة في دولة عربية منشودة بعد انهيار الكيان العثماني وتفرق شعوبه.

ولم يكن من السهل في المفهوم السياسي الدولي نشوء مثل هذا الكيان العربي المستقل الذي سيقوم على أنقاض الإمبراطورية العثمانية إذا لم يلقَ قبولاً من الدول صاحبة المصالح في المعادلات والتوازنات الدولية التي كانت تسيطر على العالم آنذاك.

وبسبب من تحالف القيادة التركية الجديدة بعد انقلاب ١٩٠٨ مع



ألمانيا في ١٩١٤/٨/٢، فإن مصالح الدولتين الأخريين في عملية التوازن إنكلترا وفرنسا كانت تستدعي محاولة إغراء أمير مكة للتنسيق معهما للاتفاق على صورة الدولة العربية المقبلة.

وبهذا تلاقت مصالح أطراف ثلاثة:

**الطرف الأول:** هو الطليعة العربية من مثقفين وضباط وهم الذين أحسّوا الظلم والإذلال، وشهدوا تحول الطورانية عن التعامل مع القوميات الأخرى في الكيان العثماني بمنطق الإخاء والوحدة إلى التعامل معها بمنطق المستعلي المستبد المستعمر، مما دفع هذه الطليعة إلى التجمع في هيئات سرية مثل (العربية الفتاة) و(العهد) و(المنتدى الأدبي) و(الإخاء العربي) تمهيداً للتّحرك نحو فعل شيء للحفاظ على الكرامة وللتحرر من الإذلال والاستبداد الذي أصبح يطبع الطليعة القومية الطورانية بطابعه بعد استيلائها على مقاليد الحكم والسلطة.

وقد كانت مصلحة هذه الطليعة العربية - التي كانت رؤيتها للمستقبل مختلفة بين فئة تسعى للتحرر من الارتباط بالكيان العثماني الذي آل إلى كيان قومي طوراني لإنشاء كيان قومي عربي على أسس علمانية، وفئة تسعى للتحرر من هذا الارتباط سعياً وراء استرداد الخلافة الإسلامية وإقامتها مجدداً بخليفة عربي - تتجلى في حاجتها إلى عون معنوي وغطاء سياسي وزعامة توحدهم ويلتفُّون حولها، فكان أمير مكة الشريف حسين أنسب الرجال لذلك.

**الطرف الثاني:** أمير مكة نفسه الذي كان البديل المناسب لتبوّء مركز الخلافة باعتبار نسبه إلى البيت النبوي الشريف، واعتبار سلطته كأميرٍ لمكة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

**الطرف الثالث:** الدولتان الكبريان إنكلترا وفرنسا، اللتان كانتا



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تبحثان عن حليف في المنطقة تواجه به التحالف التركي - الألماني.

وقد جرت بالفعل اتصالات بين هذه الأطراف كان محورها شريف مكة الذي كان يتصل من جهة بإنكلترا عن طريق ممثلها في القاهرة السير مكماهون، ويُجْرِي معه المفاوضات لتحديد أُطر ومعالم الدولة العربية المقبلة، كما كان على صلة مستمرة بالجمعيات العربية ورجالاتها من مدنيين وعسكريين.

وفعلاً فقد تفجّرت الثورة ضد الكيان العثماني في مكة عندما أطلق أميرها الشريف حسين بن علي الرصاصة الأولى في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦م، وأعلنت الثورة العربية في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز وصدر البيان بذلك من لدن صاحب السيادة العظمى الشريف حسين بن علي.

وابتدأت الأمة العربية تتحمل مسؤولياتها بنفسها وتسعى لإنقاذ حريها واستقلالها بسلاحها وجهاد بنيها، فاستولت الحركة في الحجاز على الحاميات التركية بمكة المكرمة في أول يوم، وسقطت جدة في اليوم الثالث من الثورة، وسقطت قلعة جرول في اليوم التاسع، وحاصر الأمير عبد الله بن الحسين الطائف حيث كانت الفرقة العثمانية النظامية التي يقودها الوالي والكومندان الفريق غالب باشا، ثم بدأ مهاجمة هذه الفرقة في اليوم الحادي عشر من شعبان، وكانت البحرية البريطانية تضرب الثكنات العثمانية من البحر في جدة ضربات تخويفية[(١)].

أثناء هذه الفترة وعند سقوط الطائف بيد الأمير عبد الله بن الحسين كان يتواجد في مكة من أهل الشام كل من الشيخ كامل

(١) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، الدار المتحدة للنشر في بيروت، ص١١٦، ١١٧.



القصاب والشيخ فؤاد الخطيب والسيد محب الدين الخطيب والسيد نسيب البكري وإخوانه[(١)]. وبحضورهم وحضور عدد من اللبنانيين كآل الداعوق وعدد من الضباط العراقيين تمت مبايعة أمير مكة الحسين بن علي ملكاً على العرب لإعلان استقلال البلاد العربية كلها بعد محاولة من الشريف حسين للتمنّع عن ذلك؛ انتهت إلى القبول على أساس أن ذلك تنفيذ لرغبة الراغبين به والداعين إليه وليس على أساس الموافقة من قِبَلِهِ، وتمت مراسيم المبايعة في المسجد الحرام بمكة يوم الاثنين الأول من محرم ١٣٣٥هـ[(٢)].

**ثانياً: خداع إنكلترا وفرنسا للعرب، ومؤامرة (سايكس - بيكو) و(وعد بلفور):**

انتصرت الثورة العربية بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي وبدأ أبناؤه يزحفون نحو الشمال للحلول محل العثمانيين الذين أخذت مواقعهم تتساقط الواحدة تلو الأخرى، ولإقامة بنيان الدولة العربية على افتراض أن الدولتين الكبريين إنكلترا وفرنسا سوف تدعمانها وِفْقَ نتائج المفاوضات التي كانت قد بدأت بين الشريف حسين والإنكليز في أواخر ١٩١٥ حيث وعدوه إن هو ثار على الأتراك ووقف إلى جانبهم أن:

١ - يمدوه بكل ما يحتاج إليه.

٢ - يعترفوا باستقلال البلاد العربية.

٣ - يعترفوا بنقل الخلافة الإسلامية إلى العرب.

(١) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، ص١٢٧.

(٢) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، ص١٣٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد مشى الحسين بن علي خطوته الأولى نحو الثورة محترزاً متحفظاً لم يترك أثناء مفاوضته مع الإنكليز أية نقطة مهمة إلا وتطرق إليها وصارحهم بها محاولاً أن يؤمن حقوق العرب كاملة خاصة وأنه كان يفاوض أكبر وأقوى وأعرق حكومة استعمارية في ذلك الوقت.

كان يفاوضهم - مع كل هذا - بقلب طيب صدوق، ولذلك لم يطلب إليهم توضيح اتفاقيته ببنود معاهدة يشترك فيها باقي حلفاء الإنكليز، لأنه لم يسبق له أن فاوض حكومة أجنبية أو مارس ألاعيب السياسة وخفاياها، وكان يظن أن الدول العظمى كعظماء الرجال الشرفاء يجعلون للصدق والشرف المقام الأول في معاملاتهم مع الآخرين[1].

لكن الإنكليز الذين كانوا يفاوضون الحسين ويتفقون معه على تحقيق المطالب العربية كانوا في نفس الوقت يخططون لإجهاض كل ذلك بمُخَطَّطَيْنِ آخرين فيهما من الخسّة والتآمر والنذالة ما فيهما وهما:

١ - الاتفاق مع فرنسا بما عُرِفَ باتفاق (سايكس - بيكو) والذي يتنافى مع العهود المعطاة للشريف حسين، والذي لم يكن ليعرف لولا نشر الروس لنصه بعد انسحابهم من الحرب[2] وبداية ثورتهم الاشتراكية عام ١٩١٧.

٢ - وعد الحركة الصهيونية لمنح اليهود وطناً قومياً داخل إحدى حصصهم - فلسطين - من تركة الرجل المريض على حساب أصحابها العرب فيما عرف باسم (وعد بلفور)[3].

---

(١) لورنس، الحقيقة والأكذوبة، صبحي العمري، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ص٢٠ - ٢٢.

(٢) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٦٨.

(٣) لورنس، الحقيقة والأكذوبة، ص٢٢.



وقد تجلى ذلك التآمر وانكشف الخداع أول ما انكشف عندما تمت البيعة للحسين بن علي في الأول من محرم عام ١٣٣٥ هجرية في مكة بطلب من زعماء سوريين وعراقيين ولبنانيين وحجازيين وغيرهم. ذلك أن المُعْتَمَدَيْنِ البريطاني الكولونيل وِلْسُن والفرنسي الكولونيل بريمون طلباً في اليوم الثاني للبيعة مقابلة الأمير عبد الله بن الحسين، والذي ظن أنهما إنما قَدِمَا للتهنئة، ولكنهما بدلاً من ذلك فاجآه بعبارة تُبْطِنُ من الاحتجاج أكثر مما تُظْهِرُ من التساؤل، هذه العبارة كانت: (لِمَ فعلتم هذا الأمر قبل الرجوع إلى رأي حلفائكم؟)[1].

وفي حديث آخر بين الأمير عبد الله بن الحسين والكولونيل كاترو ممثل فرنسا في جدة بدأت الصورة تتضح أكثر، كما بدأت النوايا تنكشف من خلال دبلوماسية الحوار. ذلك أن الأمير فيصل بن الحسين كان قد طلب من اللورد أللنبي المعتمد البريطاني في جدة بعض البطاريات فأرسلت إليه أربع بطاريات مدافع ميدان وأربع بطاريات مدافع نمسوية سريعة الطلقات وقام بإرسالها إلى الشام، وفي ساعة متأخرة من الليل قام كاترو بزيارة للأمير عبد الله حيث جرى بينهما الحوار التالي:

كاترو: ما سبب إرسال هذه البطاريات إلى الشام؟

عبد الله: لا علم لي بذلك.

كاترو: ولكن قد وقع الأمر فعلاً.

عبد الله: وماذا عليكم؟ إن الجيش الإنكليزي على وشك الانسحاب وعلينا أن نواجه تركيا وحدنا، وربما كانت هذه البطاريات لهذه الناحية.

---

(١) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، ص١٣٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كاترو: يجب عليكم أن تستندوا في الشام على فرنسا وأن لا تظنوا أن هناك غير فرنسا.

عبد الله: إننا لا نحب أن نكلف فرنسا شيئاً فيما يتعلق بوطننا، ونحن لم ندع للاستقلال لنقع من يد دولة بيد دولة أخرى.

كاترو (وقد بدت على وجهه علامات العداء): إن لفرنسا من الحقوق القديمة ما لا ينبغي تناسيه.

عبد الله: ربما كانت هذه الدعوى رائجة أيام تركيا، أما اليوم فالبلاد للعرب وهم أهلها ومن الممكن إقامة الوداد على التساوي بيننا وبينكم... والآن نحن بليل وسأقابلك غداً في الساعة العاشرة بعد أن أسأل عن موضوع المدافع المطلوبة من الشام[1].

ولم يقتصر الأمر على مجرد تباين وجهات النظر وطرح رؤىً مختلفة تُبْطِنُ من الجانب الإنكليزي والفرنسي مكراً وخداعاً؛ تمهيداً لتحقيق أمر مُبيَّت وإنما صارت المواقف والخطوات تتخذ علانية لتحقيق هذا الأمر، وتجلى ذلك في الأمرين التاليين:

١ ـ عدم اعتراف الإنكليز بتنصيب السوريين للأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا، وتخليهم عنه في صراعه مع الفرنسيين[2].

٢ ـ توجيه الجنرال غورو إنذاراً للحكومة السورية الوليدة تحت الحكم الفيصلي الناشئ ومن ثم دخوله دمشق بعد معركة غير متكافئة مع السوريين في ميسلون واستشهاد البطل يوسف العظمة، وعدم اعتراض إنكلترا على ذلك، بل إن إنكلترا قَدَّمت النصح لفيصل

(١) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، ص١٥٤.
(٢) مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)، ص١٥٥.



لقبول الإنذار ـ بدلاً من مساعدته وهو حليفها ـ وذلك رغبة في التخلص من الحكومة العربية في سوريا والقضاء على نفوذ دمشق التي أصبحت معقلاً لأحرار رجالات العرب[1] من جهة ووفاء بالتزاماتها في معاهدة سايكس ـ بيكو التي تعطي النفوذ في سوريا ولبنان إلى فرنسا ووفاء لوعدها الذي أعطته لليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين، ذلك أن إعلان استقلال سوريا كان استقلالها بحدودها الطبيعية أي أنه يشمل لبنان وفلسطين.

٣ ـ العمل الحثيث على إبقاء فلسطين تحت السلطة المباشرة للإنكليز، فلئن كانت قد أقيمت في كل من سورية ولبنان حكومة خاضعة عملياً للمُفَوَّض السامي الفرنسي، وتم إرضاء فيصل بن الحسين بإعطائه ملك العراق تحت السيطرة البريطانية، فإنَّ شيئاً من هذا لم يحصل بالنسبة لفلسطين، فهي لم تعامل معاملة سورية ولبنان كما لم تعامل معاملة العراق، وإنما حكمت حكماً مباشراً من البريطانيين الذين عملوا جاهدين لفتح أبواب الهجرة لليهود إليها تنفيذاً للوعد الذي منحوه لهم والذي عُرِفَ بوعد بلفور، وقد لجؤوا إلى الأساليب كافة لإغراق فلسطين بالمهاجرين اليهود، وقد ظهر هذا جلياً في مؤتمر لندن في شباط ١٩٣٩، وذلك حين عملوا على إفشال هذا المؤتمر وعلى عرقلة التوصل إلى تحديد عدد المهاجرين حيث كانت إنكلترا اقترحت أن يكون العدد خمساً وسبعين ألف مهاجر خلال خمس سنوات تُمْنَعُ بعدها الهجرة منعاً باتاً، ولكن اليهود قرروا رفض هذه المقترحات[2] فانفضّ المؤتمر دون اتخاذ قرار مما أبقى أبواب الهجرة مفتوحة على مصراعيها دون أي تحديد.

(١) مذكرات فوزي القاوقجي، إعداد: د. خيرية قاسمية، دار القدس في بيروت، ص٦٧.
(٢) ظلام السجن، محمد علي الطاهر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ص٦٥.

## ثالثاً: الإحباط الذي أصاب السوريين إثر معركة ميسلون:

كان السوريون كغيرهم من العرب الذين التفُّوا حول الحسين بن علي في ثورتهم ضد الأتراك، إنما يأملون بالتحرر من معاملتهم معاملة التابع والمستعمَر والمستعبَد. هذه المعاملة التي تجلّت بشكل واضح كأحد إفرازات النزعة القومية الطورانية التي اتسمت بها توجهات الحكام الجدد بعد انقلاب ١٩٠٨، ولو أنَّ هؤلاء الحكام الجدد لم يتعاملوا مع الشعوب التي تنضوي تحت اللواء العثماني بمثل هذه المعاملة ذات الطابع العنصري الفوقي لما كانت هذه الشعوب وخاصة الشعب العربي ليفكروا بأكثر من المطالبة بمزيد من الإصلاحات لتطوير الإدارة وتطوير القوانين بما يساعد على إيجاد الحلول الممكنة للقضايا الاجتماعية والاقتصادية وقضايا الحريات التي كانت تشكل الهموم المشتركة بين الدولة ورَعاياها وضمن إطار الدولة الواحدة.

وقد كان العرب في هذه الدولة يسْعَوْنَ جاهدين للإبقاء على وحدة الدولة والعمل على إجراء الإصلاحات اللازمة. ومن هنا كان العون والتأييد الذي كانت تقدمه (جمعية الإخاء العربي) - وهي جمعية تأسست من ذوي المقامات الرفيعة وأهل الرأي من رجالات العرب في عهد السلطان عبد الحميد - إلى (جمعية الاتحاد والترقي)[1] التي لم تكن في الحقيقة أكثر من ساتر يختفي وراءه (الكماليون). فلقد كانت هذه الجمعية هي والكماليون - كما أثبتت الأيام فيما بعد - اسمان مختلفان لشيء واحد[2].

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة في بيروت، ج٢ ص٨٧.



وما ثار العرب - والسوريون منهم - لينتقلوا من (سلطة الطورانيين) ليقعوا تحت (سلطة الفرنسيين) أو (سلطة الإنكليز)، وإنما ثاروا ليستقلوا ويتحرروا ويحكموا أنفسهم بأنفسهم، وكانت مأساة السوريين كبيرة جداً، وكان الإحباط الذي عانوه مريراً جداً. ذلك أنهم - من بين العرب الآخرين - قد اسْتُلِبُوا حريتهم الوليدة بقوة البغي والعدوان وبالآلة العسكرية الكبيرة لدولة عظمى - إذ ذاك - هي فرنسا، وهم من بين العرب الآخرين كانوا الطليعة التي سكبت الدم غزيراً في ميسلون دفاعاً عن الدولة الناشئة الفتية، التي ما كادوا يرونها حلماً يتحقق حتى رأوها صريعة في ميسلون مضمخة بدماء أبنائها الذين آثروا مواجهة دبابات العدو وطائراته بأجسادهم عزلاً من أي سلاح يُذكَر، مؤثرين الموت أحراراً على الحياة مرة ثانية تبعاً للغير يستذلهم ويستعبدهم وِفْقَ أهوائه ومصالحه.

عاد السوريون الذين هرعوا إلى ميسلون إلى دمشق، وهم يحملون جروح الكرامة التي أنستهم الجروح في أجسادهم تاركين في أرض ميسلون فلذات أكبادهم وعلى رأسهم القائد البطل يوسف العظمة، الذي كان قائداً يتقدم الصفوف بجسده، وهو على معرفة أكيدة بأنه مُلَاقٍ حتفه لا محالة. فهكذا القائد الشريف يكون.

والذي جعل جرح الكرامة أبلغ ما يكون أن القيادة السورية الوليدة، حاولت بذل أقصى ما يمكنها للحيلولة دون دخول القوات الفرنسية إلى سورية بقوة السلاح، وذلك عن طريق الاتصال بالجنرال غورو الزاحف من لبنان إلى سوريا، وأبرقت إليه بتاريخ ٢٢ تموز طالبة إليه إيقاف أعمال الجيش الفرنسي والدخول في مفاوضات تقوم على أساس الإنذار الموجه من قِبَلِه، وأوفدت لهذه المهمة وزير المعارف ساطع الحصري.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبذل ساطع الحصري كل جهد مستطاع، وأعطى الجنرال غورو كل طلباته رغم إجحافها، لكن الجنرال الذي كان قد حزم أمره أفشل مهمة ساطع الحصري بطلب أخير لا يمكن قبوله، وهو يعطي الفرنسيين الحق في العودة للعمل العسكري بحرية مطلقة لأتفه الأسباب[1].

وكان ما خططت له فرنسا، ودخلت إلى دمشق على جثث أبناء دمشق الأشاوس الذين افترشوا أرض ميسلون وسقوها دماءهم.

بعد معركة ميسلون، ظن الفرنسيون أنهم تمكنوا من سورية وأنهم المنتصرون، لكن الأمر كان على خلاف ذلك فالجروح تستدعي الجروح والدماء تستدعي الدماء والكرامات، مهما أهينت تبقى جذورها لتنبت فروعاً غضة من جديد. وهذا ما كان حيث بدأت الحركات الشعبية ضد فرنسا تثور هنا وهناك منذ الأيام الأولى للاحتلال مشحونة بتراكمات كل العوامل التي عرضناها آنفاً.

ومع توالي النكبات على البلاد وجفاف ينابيع الحياة التي بدأت تزدهر أيام الحكم الفيصلي، عمّت الثورة حوران لما حل فيها من إرهاق، ثم كانت ثورة العلويين بقيادة الشيخ صالح العلي، ودوّت مدافع الفرنسيين في وديان الناعور وانتقلت إلى جبل الزاوية ثم اتجهت إلى البادية فكانت فجائع الموالي. ودامت هذه الثورات خمس سنين حيث كانت الثورة الكبرى عام ١٩٢٥ بعدها.

وبهذا فإن الفرنسيين الذين ظنوا بحادثة ميسلون ـ غير المتكافئة ـ أنها خاتمة المعارك، قد واجهوا المعارك الحقيقية مع الشعب السوري[2].

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص٢٥٢ وما بعدها.

(٢) مذكرات فوزي القاوقجي، ص٧٢.



والأمر الهام الذي يلفت النظر أن أكثر الأسماء التي كانت ملتفة حول الحسين بن علي في ثورته على الأتراك والتي بقيت على قيد الحياة حتى عام ١٩٢٥ كانت هي الأسماء التي برزت في الثورة السورية الكبرى بعد أن أضيفت إليها أسماء أخرى شابة. الأمر الذي يؤكد أن المعاناة كانت نفسها وقد امتدت من نهاية العهد العثماني إلى انفجار الثورة ضد الإفرنسيين.

والآن: وبعد هذا العرض السريع للحوادث منذ الانقلاب الذي وقع عام ١٩٠٨ وحتى عام ١٩٢٥ يمكن فهم الإرهاصات والدوافع الاجتماعية والسياسية الوطنية منها والقومية التي لا بد لها من أن تنفجر على شكل ثورة مسلحة طرفاها دولة كبرى معتدية تحتل أرضاً ليست لها وشعب شبه أعزل يدافع عن أرضه وكرامته وحريته.

ولقد أرّخ كثيرون لهذه الثورة وأجادوا، إلا أن صفحة من صفحاتها الرائعة المشرقة لم يتح لها أن تُعرض بالقدر اللائق بها، ذلك لأن بطل هذه الصفحة كان يؤثر الصمت وعدم الحديث عن نفسه فكانت أفعاله التي سطّر بها أبلغ مقال في ساحة النزال تنتظر من يخرجها إلى الناس صورة حية ناطقة ويتركها للأجيال الآتية مكتوبة فلا تنسى، تُحفر في الذاكرة فلا تُمحى فتكون لهذه الأجيال قدوة تتبع ودليلاً يُهتدى به إذا ما اعتدى معتد على وطن واغتصب مغتصب أرضاً وبغى باغ على أمة. إنها الصفحة التي سطّرها المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر.





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## الثورة السورية الكبرى
## بين العفوية والتخطيط

ثمة أمر يلفت نظر الباحث في الثورة السورية هو أن قاعدتها كانت شعبية جداً، بحيث أنها كانت تجمع بين العامل البسيط والعاطل عن العمل، بين المزارع المالك وبين الفلاح البسيط، بين رب العمل والأجير، بين ابن المدينة الكبيرة والقرية الصغيرة، بين البدو والحضر، وتمتد من شمال سوريا إلى أوسطها إلى جنوبها على حدود الأردن.

هذه الفئات المتعددة هي التي كانت تعاني من وطأة الاستعمار وصلف الغطرسة والقوة التي اتسمت بها تصرفات الفرنسيين جنوداً وضباطاً وموظفين وإداريين. فكان الاحتكاك اليومي للمواطن المقهور في كرامته وعنفوانه مع مظاهر التسلُّط الفرنسي على شؤون البلاد سواء على مستوى العناصر أو المؤسسات يثير السخط ويستنفر العزائم ويسبب المصادمات بين الطرفين، وفي كثير من الحالات كانت الاشتباكات وليدة يومها أو ساعتها كردة فعل على عمل يستفز النفوس ويستثير مشاعر الذود عن الكرامة بشكل عفوي غير مدروس وغير منظم.

إلا أن ذلك لم يكن كافياً لتشكيل الضغط المؤثر على قوات الاحتلال، بما يجعلها غير مستقرة وغير آمنة وسط شعب يرفض احتلالها لأراضيه وتسلطها على أموره، إذ لا بد من الاستفادة من هذه الطاقات وتوجيهها نحو الهدف المنشود بشكل أكثر فاعلية وأبلغ في استنزاف الخصم، وهذا أمر يحتاج إلى نخبة تجمع إلى التذمر والضيق والمرارة



وعياً بكيفية التعامل مع الأحداث بما يؤمّن أفضل النتائج بالعدد القليل من الرجال واليسير المتاح من العتاد والمال. لذلك كانت الضرورة ملحّة لبروز قيادات لديها من الخبرة في وسائل القتال والحنكة في إدارة المعارك ما يكفي لإعطاء المواجهات معنًى ثورياً حقيقياً يخرجها عن أن تكون مجرد تمرُّد وعصيان.

وقد كان ذلك... وفي كل المناطق.

كان الشيخ صالح العلي في جبال النصيرية والمنطقة الشمالية الغربية، وقد كانت حركة الشيخ صالح العلي أسبق الحركات، حيث بدأت في تموز ١٩١٩ وتمكن من منع القوات الفرنسية من دخول بلدة المرقب(١). وكان إبراهيم هنانو في منطقة حلب وجبل الزاوية في المنطقة الشمالية، وكان فوزي القاوقجي في حماة والمعرة وما جاورهما في المنطقة الوسطى حتى دير الزور، وكان سلطان الأطرش في جبل العرب، وكان سعيد العاص ورفاقه الذين نشطوا في أكثر من مكان منفردين أو بالتعاون والتنسيق مع الآخرين.

أما دمشق وغوطتها فكانت مركز الثقل وفيها محمد الأشمر الذي كان يقود المجاهدين من أبناء حي الميدان وحسن الخراط الذي كان يقود مجموعة المجاهدين من حي الشاغور.

ولم يكن معقولاً أن يعمل كل قائد بمفرده دون التعاون والتنسيق بين هذه المجموعات الثائرة وتوحيدها تحت قيادة واحدة. وقد كان ذلك.

كما أن نشاط الثورة لم يكن مقتصراً على الداخل فقط، بل كان

---

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص١٣٣.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمة قيادات تردف المجموعات الثائرة بوسائل العون المادي والمعنوي وكانت هذه القيادات تعمل من القاهرة ومن عمان. ذلك أن كثيراً من قادة الثورة كانت لهم انتماءاتهم السياسية والحزبية التي كانت بمثابة المرجع والمخطط لهم، وكانوا هم بمثابة الممثلين لها في القيادة الموحدة للثورة.

كان هنالك:

**١ ـ (حزب الله):**

الذي أسسه القاوقجي مع عدد قليل جداً من إخوانه مثل سعيد ترمانيني وعبد السلام الفرجي ومحمد علي وطاهر الداغستاني وعبد القادر ميسر وبعض الضباط[١].

**٢ ـ (حزب الشعب):**

وقد تم الترخيص به للدكتور عبد الرحمن شهبندر، وقد لجأ القاوقجي إلى إدخال بعض إخوانه في هذا الحزب كي يكونوا على اطلاع على نوايا القائمين عليه وندب لهذه المهمة سعيد ترمانيني وعثمان الحوراني.

**٣ ـ (حزب الاستقلال):**

الذي تشكّل ليكون المظهر الخارجي لجمعية (العربية الفتاة) السرية. وقد توسع هذا الحزب كثيراً وكان يقوم بكل ما تود (الفتاة) القيام به[٢]، وبدهي أنَّ أبرز أعضائه هم الذين كانوا أبرز أعضاء (الفتاة) مثل شكري القوتلي ونسيب البكري ونبيه العظمة والشيخ كامل القصاب

(١) مذكرات فوزي القاوقجي، ص٨٢.
(٢) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص١١٦.



والأمير عادل أرسلان، والذين كان يظاهرهم في فلسطين الحاج أمين الحسيني ويؤيدهم سلطان باشا الأطرش، وكانوا في البداية هم وجماعة حزب الشعب لاجئين في القاهرة[١] عقب دخول الفرنسيين إلى دمشق بعد معركة ميسلون ثم عاد أكثرهم إلى سورية عقب اندلاع الثورة ليشاركوا فيها. وهكذا نجد أن كثيراً من الذين التفوا حول الحسين بن علي في ثورته العربية الكبرى كانوا ما يزالون ثواراً في الثورة السورية الكبرى، كأن هذه الثورة السورية كانت امتداداً للثورة العربية أو كأنما كانت الثورة العربية الكبرى تأسيساً للفكر الثوري ضد كل من يحاول قمع الحريات والاعتداء على الوطن واحتلاله والتصرف بمقدراته.

أمام وضع كهذا الذي بسطناه من تعدد الحركات الموجودة على ساحة العمل الثَّوري وتعدُّد القادة وتعدُّد الحركات الحزبية، كان لا بد من قيادة موحدة تشرف على الجميع وتنسِّق بين الجميع وتوزع الموارد على الجميع مع الحفاظ على خصوصية كل حركة في منطقتها التي ثارت فيها ويكون تشكيلها من أبنائها.

ولتحقيق هذا الهدف جرت اتصالات ومشاورات بين القادة الفاعلين في ساحة المعركة سواء بالقتال أو بالدعم والتخطيط، فكان الاتفاق على أن تُعقد القيادة العامة للثورة إلى سلطان باشا الأطرش، كما قرر المجلس الوطني في الغوطة إسناد القيادة فيها إلى فوزي القاوقجي بموافقة نسيب البكري، وكان ذلك بمسعى من شوكت العائدي والدكتور أمين رويحة، وتم إعلام القائد العام سلطان الأطرش بذلك وطلب الموافقة عليه[٢].

(١) ظلام السجن، محمد علي الطاهر، ص٦٥٨.
(٢) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٠١.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد هذا العرض للصورة التي كانت تعكس وضع الثورة من حيث مجموعاتها الثائرة وقياداتها ومناطقها، يطرح السؤال التالي:

ما هو موقع المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر فيها؟

هل كان مرتبطاً بأحد التشكيلات الحزبية الثلاث: حزب الله، وحزب الشعب، وحزب الاستقلال. ويهدف إلى تحقيق أغراضها ومبادئها؟

أم كان ثائراً يقود مجموعة محلِّية في منطقة محدودة دون أية خلفية مبدئية لتحركه إلا أن يكون ثائراً وحسب؟

هل كان ضابطاً نشأ وتدرب في مؤسسة عسكرية، مثل فوزي القاوقجي وسعيد العاص مثلاً؟

أم كان رَجُلَ عِلْم نشأ وترعرع في المعاهد العلمية والجامعات وتخرّج منها، مثل الدكتور عبد الرحمن شهبندر والدكتور خالد الخطيب ونزيه المؤيد مثلاً؟

أم كان رجل عمل سياسي، مثل شكري القوتلي ونسيب البكري وإحسان الجابري؟

لم يكن أياً من هؤلاء، بل كان نمطاً مختلفاً ذا أصول وخلفية مبدئية مختلفة، لعلها هي التي جعلته الأكثر صمتاً حين كان الآخرون يتحدثون، والأكثر بعداً عن الاختلاف مع الآخرين والاختصام معهم حين كانت الخصومات والمنافسات ديدن البعض ممن ساهموا في الثورة بشكل أو بآخر ولسبب أو لآخر.

التعرُّف على الصورة الحية لمسيرة هذا الشيخ المجاهد بمراحلها كافة منذ ولادته وحتى وفاته هو ما ستتحدث عنه الصفحات القادمة.



## حياة الشيخ محمد الأشمر

## المرحلة الأولى ـ الإعداد التربوي وتكوين الشخصية

حياة الشيخ محمد الأشمر حافلة بالمواقف العظيمة، وهي تعكس صورة الإنسان المجاهد الصادق بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، ولكل مرحلة من مراحل حياته قصة مشرقة ومشرِّفة، وسنعرض لهذه المراحل تباعاً مبتدئين بأول هذه المراحل، لما لها من أهمية بالغة تتعلق بالأساس التربوي الذي كوّن شخصية هذا المجاهد العظيم.

### أولاً: أسرته، ومولده، وشبابه:

وخير مصدر وأصحه وأصدقه ـ فيما أعتقد ـ للتعرُّف على مولد الشيخ محمد الأشمر من حيث المكان والزمان، وكذلك التعرُّف على أسرته، هو ما كان من أعرف الناس بذلك وأقرب الناس إلى هذا الشيخ المجاهد، ألا وهو ابنه الأخ الكريم محمد محمد الأشمر.

يحدثنا الأخ محمد محمد الأشمر عن والده فيذكر لنا أن أباه هو محمد بن محمد طه الأشمر المولود في دمشق حي الميدان الفوقاني حطاب، زقاق العصا، مجاوراً إلى آل البعل وأبو أرشيد في دار عربيد، وجده لأبيه محمد كان يشرف عليه ويرعاه. فلما بلغ خمس سنوات أخذه والده إلى قرية الغارية الشرقية في محافظة درعا، وهناك وضعه في كتاتيب القرية للعلم، فتعلم القراءة والكتابة.

وأخذ يرعى مواشي والده ويوردهم إلى الماء أيام فراغه ومرافقة

أهل البلد، وكذلك تعلّم السباحة وركوب الخيل وتمرّس فيها إلى أن كبر وبلغ من العمر خمسة عشرة عاماً. فافتتح له والده محلاً للبيع في قرية (ناحتة) وهي قريبة من دار عمه مصطفى الأشمر في (قرية الحراك) من محافظة درعا، وهناك صادقه شيخ من عرب السردية في تلك المنطقة يقال له (عقلة) ثم صادقه رجل آخر من بني معروف من (آل نصار) حيث كانوا يردون إلى قرية (ناحتة) وكانوا كثيراً ما يسمون أنفسهم بـ(الفرسان) لكثرة ما كانوا يغزون مع العرب ـ أو مع بني معروف ـ أو بني حوران لكي يتفرّس الواحد منهم فيأخذ لقب فارس.

كان محمد الأشمر يذهب من (ناحتة) إلى (الغارية الشرقية) ـ ماراً في منطقة (الزيمر) وهي منطقة وعرة وكثيرة الحيوانات المفترسة ـ ليلاً ليشرب فنجان قهوة عند والده حاملاً بندقيته ومسدسه ورمحه، وكان يلبس لباس بني معروف، كما كان يطيل شعره مثلهم، وكان السبب لهذا هو التحايل على الأتراك لعدم أخذه إلى الجندية الإجبارية.

حضر الفتى محمد ـ ذات مرة ـ إلى دمشق، وبينما هو عند الحلاق جاءت دورية من شرطة الترك وأخذوه إلى تجمُّع العسكر في البرامكة حيث أركبوهم في قطار سرغايا ـ رياق، وقبل وصول القطار إلى الزبداني رمى بنفسه ولجأ إلى أحد المخابئ، وبعد أيام وصل إلى حوران واستعاد فرسه وسلاحه الذي كان أودعه عند أخيه محمود الأصغر منه سناً.

بدت على الفتى محمد الأشمر ملامح النجدة وإمارات الرغبة بإحقاق الحق والانتصار للمظلومين في هذه المرحلة المبكرة من حياته وهو ما يزال غضاً يافعاً يتنقل بين (الغاربة) و(الحراك) والقرى المجاورة، فما يسمع باعتداء على أحد إلا ويهب لنصرته ومعه صاحباه الأول شيخ عرب السردية والثاني من بني معروف من آل



نصار ينضم إليهم صديق آخر كردي من آل الأيوبي كان يعمل في زراعة البطيخ.

وصدف أنه أثناء وجوده في (طفس) ضيفاً على آل البعل وآل أبو أرشيد وهما من العائلات المعروفة في حي الميدان، أن هاجم بعض البدو قرية طفس واستاقوا مواشيها. فما كان منه إلا أن خرج من دار مضيفيه ليركب فرسه ويطارد البدو مع عدد من الحوارنة حتى أعاد المواشي ممن سلبوها إلى أهلها في طفس.

كانت هذه الحادثة سبباً وحدثاً هاماً لفت إليه نظر كبير القرية وشيخها وزعيمها طلال حريدين الذي قام بزيارة مضيفيه آل البعل وأبو أرشيد ليتعرف على هذا الفارس الشهم ويُقَدِّم له الشكر بعبارات طيبة، كما دعاه للإقامة في (طفس) وأقيمت له حفلة غذاء مكّنت أهل البلد من التعرُّف عليه، وتكررت مثل هذه المبادرات الطيبة من هذا الفتى الجريء والفارس الشجاع.

رغب والده في تزويجه، فوفّقهم الله تعالى إلى خطبة كريمة الشيخ محمد عنتر من حي القنوات زقاق البركة، وكان من جوار أحد ظرفاء دمشق المشهورين المرحوم حسني تللو. وسرعان ما اتخذت إجراءات وترتيبات العقد حيث جرى احتفال في دار والدها حضره مجموعة كبيرة من الناس على رأسهم فقيه الشام إذ ذاك الشيخ علي الدقر.

وكان من عادة الشيخ أمين سويد أن يحضر إلى (خربة الغزالة) كل يوم خميس ليقيم في اليوم الثاني صلاة الجمعة فيها. وصدف أن زارها الفتى الشاب محمد، وكان الشيخ أمين سويد موجوداً فتعرّف إليه عن طريق الشيخ محمد الرفاعي أبو لبادة الذي طلب من الشيخ أمين سويد الدعاء لهذا الفتى بالتوفيق.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد تعرُّف الأشمر على كل من الفقيه الكبير الشيخ علي الدقر والشيخ أمين سويد خلع لباسه الذي كان يرتديه والذي كان مثل لباس بني معروف وقص شعره وسعى إلى (جامع الأربعين) في حي الأكراد بصحبة كل من (أبو محمود الشرقطلي) و(أبو برو المهايني) وصديقه الكردي من آل الأيوبي، حيث قرروا الانضمام إلى مجموعة من المتصوفين في زاوية شيخ الطريقة النقشبندية وهو الشيخ أمين الزملكاني لممارسة التعبُّد في (خلوة) على كأس من الماء وثلاث تمرات يومياً بدون طعام.

لم يستطع الشرقطلي والكردي وأبو برو الاستمرار في (الخلوة) أكثر من ثلاثة أيام، مما دفعهم إلى ترك الخلوة التي استمر فيها الشاب محمد الأشمر مع أصدقاء آخرين، منهم أبو عبدة جمعة والمجاهد الشيخ سعدي ياسين، والشيخ سعيد الحافظ صاحب المدرسة الأموية في حي الميدان ـ زقاق موصلي.

دامت هذه الخلوة للعبادة لمدة أربعين يوماً وجدد أربعين يوماً أخرى، ولما انتهت بعد ثمانين يوماً قال له شيخه النقشبندي:

(يا محمد، ألبسناك ثوباً أبيض ناصعاً لا يوجد عليه أي بقعة سوداء فحافظ عليه ولا تخشى إلا الله وأنت إن شاء الله معزوز، وأنت سوف تسود وتهان وتحبس)[1].

خرج الأشمر من تجربة الخلوة متعمماً صادقاً مؤمناً فاصطحبه الشيخ محمد الرفاعي أبو لبادة إلى جامع باب المصلى حيث أقام فيه

(1) وهذا الكلام من الشيخ فراسة، وإلا فلا يعلم الغيب إلا الله، وفعلاً فإن الشخص (الشيخ أبو الورد) تعرض لمحن، والله أعلم بحقيقة أمره، والشيخ الأشمر بقي معززاً مكرماً ـ زهير ـ.



سنوات لتعلم الفقه من الشيخ عبد القادر شموط (الأشهب)، وخصصت له غرفة في هذا الجامع معروفة حتى الآن، وفي جوارها غرفة ثانية كانت مخصصة للشيخ حسن حبنكة الميداني، وكان أغلب الأيام ينام في الجامع لا في بيته حتى لا يفوته درس ولا تفوته مسألة.

ثم أخذ يتردد على مجلس الشيخ بدر الدين الحسني محدث بلاد الشام الأكبر حينذاك في دار الحديث وفي صحبته عثمان قويدر، فكان بذلك ينهل من علم الاثنين الشيخ عبد القادر شموط والشيخ بدر الدين الحسني ومن بعض علماء دمشق الآخرين وأكثرهم في دار الحديث.

وبتوجيه من الشيخ بدر الدين صار الأشمر يجلس بجواره دائماً، وكان أكثر ما لفت الأنظار إليه أن الشيخ بدر الدين كان يودعه بعد انتهاء الدروس.

**ثانياً: بدء اشتراكه في العمل الثوري:**

يظن الكثيرون أن المجاهد الصامت محمد الأشمر بدأ عمله الثوري مشتركاً في الثورة السورية الكبرى ما بين عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ لكن المصادر الموثقة التي بين أيدينا تؤكد أنه مارس هذا العمل في وقت مبكر يرجع إلى ٣٠ أيلول عام ١٩١٨ حين دخلت قوات الثورة العربية الكبرى بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن طلال إلى دمشق حيث كان المدخل الرئيسي لهذه القوات هو من الجانب الجنوبي لحي الميدان في المنطقة المسماة (بوابة الله).

عند دخول هذه القوات إلى حي الميدان من هذه المنطقة كان في استقبالها كل من الشابين الثائرين محمد الأشمر وأحمد مريود على رأس

مجموعات غفيرة من المتظاهرين فرحاً بدخول قوات الثورة العربية الكبرى إلى دمشق وتحريرها من الأتراك[1].

أما عن اشتراكه في الثورة السورية الكبرى فلهذا قصة أخرى:

قام علماء دمشق؛ الشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ علي الدقر يطوفون في المحافظات، ويدعوان الناس لجلب السلاح والتمرين عليه والاستعداد لمجابهة العدو. وكانت كلمة الشيخ بدر الدين والشيخ علي الدقر: اللص دخل داركم ليسرق مالكم وعرضكم ودينكم، استعدوا وتمرنوا على السلاح[2]. وبهذا يكون العلماء أول من دعا للثورة وحرَّض الشعب لقتال العدو.

خرج بعض المجاهدين ثائرين إلى الغوطة بقيادة أبو عبده سكر والدرخباني، وخنشور، وخيتي من دوما، وحسن الخراط وغيرهم. وطلبوا من قرى الغوطة السلاح والمال والطعام، واشتد الضغط على سكان القرى، وظهر من ضعاف النفوس من يستغل هذا الوضع، ويمارس تشليح المارة، حتى أن أبا حمدان السيد، وعزو الخجا، شُلِّحا في طريق العادلية وأخذت أموالهما وفرسيهما، وطعن الخجا عدة طعنات، ونُهِب آخرون من حي الميدان الفوقاني، فكثرت الشكاوى في الغوطة والأحياء وخاصة حي الميدان.

ساءت الأوضاع كثيراً بسبب هذه الممارسات الشاذة مما دعا أهل الغوطة للاجتماع في دار آل غبور في عقربا، وقرروا رفع شكواهم إلى

(١) لورنس، الحقيقة والأكذوبة، ص١٨٩.
(٢) ينسب مثل هذا الكلام إلى الشيخ هاشم الخطيب، إمام وخطيب جامع السنانية بدمشق.



الشيخ بدر الدين والشيخ علي الدقر ـ بما ينذر بخطر التعاون مع العدو ـ لدرء هذه الأفعال.

تشكل وفد يتقدمه آل غبور لمقابلة الشيخ بدر الدين، والشيخ علي الدقر وتم عرض الموقف وشرح أسباب الشكوى، فطلب الشيخان من قادة الثورة الحضور للاجتماع في دار الغبور والتفاهم معهم، فجرى في هذا الاجتماع تشكيل لجنة من رجال الغوطة والمجاهدين لتأمين طلبات المجاهدين بدون أن يتعرض أحد لرجال الغوطة، وأنيط بهذه اللجنة وحدها مهام جمع المال والسلاح والذخيرة وتوزيعها على قادة الثورة[1].

بعد الاجتماع الذي حصل في الغوطة بدار آل غبور، وفي دار الحديث، استدعى الشيخ بدر الدين تلميذه الشاب محمد الأشمر وسلَّمه كتاباً مغلقاً، وطلب إليه السفر إلى الجبل وتسليمه إلى سلطان الأطرش، فقام بأداء المهمة على أحسن وجه.

وعندما عاد كلّفه الشيخ بدر الدين بأن يخرج إلى الغوطة ثائراً وأن يعمل على جمع رجال الثورة فيها وتوحيد كلمتهم ووضع حد لخلافاتهم ومنع التعديات على الناس بالقوة.

وفعلاً تم عقد اجتماع في قرية الست في حوش الشعير، وتمَّت تسوية الخلاف الذي كان قائماً بين سكر والدرخباني ومن والاهما، وقد حضر الأشمر واجتمع مع الجميع وسوى الخلافات وأعطى كل إنسان حقه ومكانه، وتوزع الرجال على أربعة محاور، وقد حضر هذا الاجتماع الأمير طاهر الجزائري.

(١) انظر ما تقدم من رسالة الدكتور الشهبندر إلى الأستاذ نديم ظبيان الصفحة (٣٤).



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصل خبر اجتماع حوش الشعير إلى السلطات الفرنسية، فأرسلت حملة، تبيَّن أنها كانت متجهة نحو الحجيرة وسيدي مقداد، وكان بعض المجاهدين يغسلون ويشربون ويأكلون عند (قناية الماء) فتم تحذيرهم وطلب إليهم الالتفاف حول الجنود القادمين حيث لا يرونهم، وحصلت المعركة وانتصر فيها المجاهدون، وكانت الغنائم كبيرة وتسلَّح أكثر المجاهدين الذين لا يحملون السلاح.

وفي اليوم الثاني أو الثالث توجه الأشمر ومعه أحد عشر خيّالاً، كان منهم: أبو صلاح العرجا، الشيخ عبد الحكيم المنير، الشيخ علي الخياط، عبد الغني الشيخ الغنيمي، وبينما هم في مسيرهم نحو الجنوب، وإذ بمجموعة من الخيّالة المغاربة[1] وراءهم حتى سمعوا صهيل الخيل ورأوا الغبار المتصاعد فلم يبالوا بذلك حتى كشفت الشمس تماماً وظهرت عمائم المغاربة وخيولهم، هنا جرى تهامس بالهرب والكلام مع بعضهم بعضاً حتى صارت المسافة قريبة فراحوا يلحّون على الأشمر متسائلين كيف يتصرفون فلم يجبهم بكلمة واحدة، وما هي إلا لحظات حتى غطى الأشمر وجهه بغطاء أبيض واتجه نحو المغاربة، ورفاقه وراءه يذهبون شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً ليعودوا مجتمعين، دون أن يروا أحداً من جنود العدو.

حين رأى قائد المغاربة عطاف باشا ما جرى، اعتبره نوعاً من الكرامة فما كان منه إلا أن يذهب إلى دار الشيخ بدر الدين ليعلمه بما رأى قائلاً له: رأينا المجاهدين الأقلاء وأردنا الإحاطة بهم، وما هي إلا لحظات وإذا هذا الإنسان شاهر سيفه ومعمّم وجهه ومعه ألوف لابسين لباساً أبيض ويقولون: الله أكبر.

---

(١) كان مع الفرنسيين فرق من المغاربة والسينغال والشراكسة، حيث كانت فرنسا تستعمر تلك البلاد، كما كان عندهم فرقة أرمنية وفرقة مختلطة!.



وأبدى عطاف باشا رغبته في التعرُّف على هذا الإنسان والاتفاق معه ومساعدته في كل معركة حيث يتم تبادل إطلاق النار لمدة بسيطة ينكسر بعدها عطاف باشا وينسحب ويترك لهم الأسلحة والذخائر.

تنفيذاً لرغبة عطاف حصل اجتماع ضم الأشمر وعطاف باشا في دار الشيخ بدر الدين حيث قال عطاف: هذا هو الرجل الذي رأيته بوضوح في المعركة.

بعد تناول الإفطار على مائدة الشيخ بدر الدين أخذ عطاف باشا يذكر بالتفصيل ما رآه هو وجنوده رأي العين، وأنه هو وجنوده لم يعد يعلم بعضهم عن بعض شيئاً رغم أن هذه المعركة تمت بدون إطلاق نار، وأنهم عندما عادوا إلى الثكنات فرادى وجماعات دار الحديث مع الجنود والضباط الإفرنسيين عما رأوه من لباس أبيض وسيوف تبرق وصوت يدوي: الله أكبر.

وقال: إن هذه العبارة المدوية أدخلت الفزع في قلوبنا، مما جعل الكثير من الجنود والضباط المغاربة المسلمين يعطفون على الثوار ويرغبون بتقديم العون الممكن لهم وعلى الأخص إعلامهم بتوقيت انطلاق الحملة واتجاهها وعددها.

هذه الرواية عن هذا الاتفاق بين الأشمر وعطاف باشا موثَّقة، يعرفها وكان يرويها الأمير طاهر الجزائري وكثيرون من المغاربة المقيمين بدمشق.

وقد رواها علناً الشيخ فخر الدين الحسني حفيد الشيخ بدر الدين في دار عادل جمال الدين في حي الميدان ـ حقلة ـ وبحضور خالد عياش، وعبد الرحمن الطباع وزير الأوقاف الأسبق رحمه الله، ومحمود حباب، والشيخ أحمد غفير.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما روى الشيخ فخر الدين في نفس المجلس أمراً آخر حيث قال:

واظبت على الجلوس والخروج مع جدي طيلة حياتي، فما رأيته كرَّم إنساناً من كبير أو صغير من عالم أو مسؤول مثل ما كرَّم الشيخ الأشمر، يخرج معه حتى الباب الخارجي ويكلمه ولا نعلم بماذا يتكلمون، ولم يخرج جدي مع أحد إلى بساتين الميدان إلا مع محمد الأشمر، أو أثناء أداء سنّة صلاة الاستسقاء التي يسن أن تُؤدى خارج البلد، وهذا الموضوع يتردد دائماً في مجالس أهالي حي الميدان.

وقد روى ذلك علناً الشيخ حسين خطاب[1] رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكرى ولادة النبي ﷺ في جامع الأشمر في حي الزاهرة نقلاً عن أستاذه العلامة الشيخ حسن حبنكة الميداني.

**ثالثاً: وبعد:**

كل ما ذكرناه آنفاً كان عرضاً للبيئة التي نشأ فيها الشيخ المجاهد محمد الأشمر وللمؤثرات التي كوَّنت شخصيته.

ومن هذا العرض يمكننا أن نفهم هذه الشخصية الفذّة وأن نفسّر أسلوبه في العمل الثوري الذي مارسه في المرحلة الثانية من حياته التي تبدأ بالانخراط الكامل في المعارك الكبيرة والمواجهات الحامية التي شهدتها الثورة السورية الكبرى مع قوات الفرنسيين الكبيرة جداً من حيث العدد والإمكانيات الضخمة من حيث العتاد والتي لا يمكن مقارنتها أبداً مع العدد القليل للمجاهدين والعتاد البسيط الذي كان بين أيديهم.

شخصية الشيخ الأشمر كانت مختلفة في تكوينها عن كثير من

---

(١) كان رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء الكبار، وأصبح شيخ القراء في دمشق، وخلفه بعد وفاته زميله الشيخ محمد كريم راجح حفظه الله ـ زهير.



القادة الآخرين في هذه الثورة، وبالتالي فإن دوافعه للانخراط فيها كانت دوافع مختلفة أيضاً.

فهو لم يكن يتحرك بدافع سياسي لتحقيق مكسب سياسي، وإن تكن المكاسب السياسية التي تتحقق بالثورة أمراً يعود على الأمة بالفائدة فلا ضير منه ولا عيب فيه.

ولم يكن يتحرك بدافع لتحقيق برنامج حزبي وإن تكن المكاسب التي يحققها برنامج حزبي أمراً يعود على الناس بالخير؛ فلا ضير منه ولا عيب فيه.

ولم يكن يتحرك لتوطيد مكانة شعبية والصعود إلى زعامة مجتمع وإن تكن المكانة المرموقة والزعامة المأخوذة بجدارة طموحاً مشروعاً لا ضير منه ولا عيب فيه.

لم يكن كل ذلك منه على بالٍ.

لذلك فإنه لم ينخرط في الثورة منحازاً إلى (حزب الشعب) بزعامة الدكتور شهبندر وحسن الحكيم ورفاقهما.

ولم ينخرط فيها منحازاً إلى (حزب الاستقلال) بزعامة نسيب البكري وشكر القوتلي ورفاقهما.

ولم ينخرط فيها لتحقيق مكسب سياسي فهو بعد الثورة، أوى إلى مضافته، لم يتقدم إلى أيّ مركز نيابي أو وزاري أو إداري، ولو شاء ذلك لتحقق له.

ولم ينخرط فيها لتحقيق زعامة محلية في منطقة محددة من مدينة أو حي، ولقد أتته الزعامة طائعة دون أن يطلبها، فكان يتأخر عن إغراءاتها ويشيح بنظره عنها ويمشي بين الناس واحداً منهم حتى ليمر به المرء فلا يحس له جلبة ولا ضجيجاً. ومن هنا عُرِفَ عنه الصمت على



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفعاله وامتناعه عن الإدلاء بشيء للصحافة وأجهزة الإعلام، لأنه لم يجاهد لأجل هذا، بل لأمر آخر لا تنفع فيه صحافة ولا إذاعة.

ولأنه كان بعيداً عن كل هذا فإنه كان مؤهلاً ليبني علاقات حسنة مع كل فئات وقيادات الثورة، وكان مؤهلاً للتدخل - عند اللزوم - لحل الخلافات التي كانت تنشأ بين الفَيْنَةِ والأخرى لسبب أو لآخر بين هذه الفئة من المجاهدين وتلك، وبين هذا القائد وذاك فيعمل على توحيد الصفوف وجمع المقاتلين على هدف واحد وكأنهم تحت قيادة رجل واحد.

كان انخراط محمد الأشمر في الثورة أداء لفريضة الجهاد التي تُوصِلُ إلى الجنة، فقد تربى تربية روحية وفقهية تستمد أسسها من كتاب الله وسنّة رسوله.

فمن كتاب الله تعلَّم تجارة رابحة لا تبور بين بائع من بني البشر ومشترٍ هو الله خالق البشر، العقد فيها صريح في تحديد السلعة وبيان الثمن حيث جاء فيه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

هؤلاء البائعون الشراة هم بعض جند الله في الأرض يردع بهم أعداءه ويدفع بهم ظلم الظالمين لعباده.

كان الاحتلال الفرنسي لسورية يمثل الاعتداء الصريح على مقدَّرات أمة تؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً، ويمارس بأساليب فيها من الظلم لعباد الله والبغي عليهم ما ليس في طاقة إنسان ولا في قدرة بشر أن



يصبر عليه ويتحمله، فاستحق الوفاء بالبيع و﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج] فهبَّ الفارس محمد الأشمر للوفاء بالبيع الذي بايع لا يغريه في ذلك إلا أن يحصل على الثمن الذي باع به وهو الجنة.

ومن هنا نفهم وندرك الصورة التي تواترت عن هذا المجاهد العظيم من أنه كان - عندما يحمى وطيس معركة وتضيق الأنفس ويظن الناس أن لا مفر من الهزيمة - يرخي على وجهه غطاءً أبيض حتى لا يرى من دون الله أحداً وحتى لا يُشْغَل قلبه بغير الله أبداً، ويرمي نفسه في ساحة النزال وأُتُونِ المنازلة غير عابئ بالموت لأن الموت يكون - إذ ذاك - غايته ومطلبه، فإذا بالموازين تنقلب وصورة المعركة تتبدّل وتتغيّر فيصبح الخائف مخيفاً يبث الرعب في صفوف خصمه وإذا بالذي غرته طائراته ودباباته مهزوم منكسر.

هذا هو محمد الأشمر وهذه هي دوافعه للانخراط في الثورة قائداً يتقدم أتباعه بصدره وهكذا القائد يكون.

ورُبَّ سائل يتساءل:

ما دام شأن الأشمر هو هذا، وما دام يقاتل لله وفي سبيل الله وبإذن الله، فلماذا لم ينخرط في الثورة منحازاً إلى (حزب الله) الذي أسسه فوزي القاوقجي ورفاقه في حماه؟

والجواب على هذا التساؤل بسيط جداً وواضح جداً، ذلك أن تأسيس القاوقجي لـ(حزب الله) كان لجذب العلماء نحوه والنفوذ منهم إلى الشعب الذي هو كنز القوة، ولذلك أرخى لحيته وصار يلبس العمامة ليلاً ويظهر بشكله الجديد في معظم مساجد البلدة[1]، ولم يكن

---

(١) مذكرات فوزي القاوقجي، ص٨٢.

استجابة لعهد بين الله وبعض من عباده باعوه أنفسهم وأموالهم بالجنة.

والفرق بين الأمرين واسع جداً وكبيراً، ذلك أن القاوقجي عرف أثر الدين في النفوس فأراد استثمار هذا الأثر في إغراء العلماء والمتدينين بالقتال، فارتدى العمة وأرخى اللّحية وسيلةً لتحقيق هدفه.

بينما الأمر عند الأشمر كان في أساسه إيماناً صادقاً بعهده مع الله ورغبة ملحّة للوفاء بما عاهد الله عليه وأملاً كبيراً وطموحاً غير محدود للوصول إلى الجنة، وهذا ناشئ عن التربية الروحية التي خضع لها في خلوته التي امتدت ثمانين يوماً في مسجد جبل الأربعين على يد أستاذه وشيخه النقشبندي، هذه التربية التي تمثل منهج التصوف الحقيقي السليم من كل شائبة وذلك بتوجيه القلب نحو الله وحده وتفريغه من الأغيار، وناشئ أيضاً عن الفهم الصحيح للإسلام من خلال الفهم الصحيح لكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه، هذا الفهم الذي حَصَّله تعلُّماً من أساتذته وشيوخه الشيخ عبد القادر شموط والشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر والذي مارسه في أفعاله بتوجيه منهم وإشراف.

لذلك فلا عجب أن يكون أبرز رفاقه في الثورة هو الشيخ حسن حبنكة الميداني زميله في مسجد باب المصلى أيام الدراسة عند الشيخ عبد القادر شموط، كما أنه لا عجب في أن يكون بين رفاقه الذين كانوا يجاهدون معه في الثورة - فيما يرويه رفيقه في الجهاد الشيخ عبد الحكيم المنير - ثلاثون عالماً يقيمون شعائر الإسلام[1] وهم في خضمّ المعارك وأعمال القتال في سبيل الله.

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، دار الرشيد، دمشق ص١٦٣.



## المرحلة الثانية - في قلب المعارك

بعد أن فرغنا من محاولة استكشاف شخصية المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر في الصفحات القليلة الماضية فإننا نلج الآن إلى قلب الثورة السورية الكبرى، ونقف في ساحات المعارك التي نشبت بين الثائرين بقيادة هذا المجاهد المتفرد في أسلوبه وأهدافه ودوافعه وقوى الاحتلال الفرنسي، لنقرأ أروع الصفحات التي تتجلى فيها الشجاعة في القتال حيث يكون المطلوب هو الشجاعة، والصبر على المكاره حيث يقتضي الأمر صبراً، والتحلي بالعِفَّة والأمانة حيث يكون للمال وللدنيا بريقهما، والسياسة والحكمة حيث تكون الحكمة أفعل من البطش بالعدو وأجدى.

ونحن إذ نبدأ بعرض المعارك التي خاضها الشيخ محمد الأشمر مع رفاقه من مجاهدي حي الميدان، كما هي دون محاولة لتجميلها بزينة لم تكن عليها، أو حديث لم يرو عنها، فما ذلك إلا لأن المعارك التي خاضها هي الزينة نفسها ووقائعها على الأرض هي نفسها الحديث الذي يروى وما علينا إلا عرض صور من هذه المعارك.

### ١ - معركة فك الحصار عن ثوار الجبل في (المسيفرة) ١٧/ ٩/ ١٩٢٥ :

من أوائل المعارك الرائعة التي خاضها الشيخ محمد الأشمر وأبلى فيها مع رفاقه المجاهدين في حي الميدان البلاء الرائع، تلك المعركة التي هبَّ إليها نجدةً لثوار بني معروف الذين تمكّنت قوات الاحتلال الفرنسي من محاصرتهم أثناء حملتهم على قاعدة التموين الهامة جداً

التي أقامها الجنرال غاملان في (المسيفرة) التي تقع في منتصف الدرب الذي يصل درعا بالسويداء، وذلك لإمداد وَحَداته بعد تقدُّمِها باتجاه السويداء وخاصة بالمياه التي تفتقر إليها قرى الجبل، وقد عززت العناصر الإدارية التي تمركزت في هذه القرية بأربع كتائب مشاة لحمايتها من هجمات الثوار عليها.

وقد وزّع قائد القاعدة قواته على ستة مراكز في داخل القرية وخارجها بشكل يسيطر به كل مركز على قسم من الأرض السهلية المسهبة التي تحيط بالقرية، كما وأحاط مراكزه هذه بالتحصينات والخنادق في يومي ١٥ و١٦ أيلول مما جعلها معاقل منيعة.

وفي الساعة ٢,٤٥ من ليلة ١٧/١٦ أيلول ١٩٢٥ هُوجمت هذه القاعدة من قِبَلِ قوة تقارب الألف مجاهد تقريباً يقودهم المجاهد محمد عز الدين الحلبي، وقد أحس الفرنسيون بالهجوم قبل وقوعه، وذلك لتسرع بعض الثوار بالإطلاق وهم على مسافة تقارب ٥٠٠ متر من القرية، فأمر قائد القاعدة بإلقاء قنابل مضيئة شوهد على ضوئها الثوار وهم يتقدمون بكل جرأة باتجاه القرية، وسرعان ما أخذت رشاشات ومدافع حامية القرية تحصد المهاجمين الذين لم يجدوا صخرة أو حفرة يلوذون بها في تلك الأرض المنبسطة التي ورطوا أنفسهم بالمهاجمة فيها.

ورغم الخسائر الكبيرة التي لحقت بالثوار المهاجمين، فقد استطاع قسم كبير منهم أن يشق طريقاً إلى القرية بكل شجاعة حيث دارت في المنازل والأزقة معركة عنيفة دامت طيلة الليل، وكانت النتيجة سجالاً فقد صدّ الثوّار نجدتي سيارات حاولتا الانضمام لقوات الحامية، إلا أنهم فشلوا في الاستيلاء على أي من المعاقل [المراكز] الستة الوارد ذكرها آنفاً.



ومع إشراقة صباح ١٩٢٥/٩/١٧ مالت الكفة إلى جانب الفرنسيين وخاصة بعد تدخل طائراتهم التي قامت بسبع وعشرين غارة على الثوار وألقت (٤٧٠٠)كغ من القنابل و(٥٠٠٠) قذيفة، حتى إذا جاءت الساعة السادسة عشر من اليوم المذكور بدأ المجاهدون بالانسحاب بعد أن خسروا (٢١٠) شهداء، وأما الفرنسيون فقد سقط منهم (٥١) قتيلاً أحدهم ضابط وما يقارب (١٠٠) جريح منهم أربعة ضباط، وقد قتلت كل حيوانات الجر الموجودة في الحامية تقريباً[1].

وفي هذه المعركة وقع الثوار ضمن طوق من القوات الفرنسية حيث أصبحوا محاصرين من الأمام ومن الوراء.

ويروي الأخ محمد محمد الأشمر نقلاً عن والده المجاهد محمد الأشمر أنه وصله مرسال بطلب النجدة لفك الحصار، فهب للفور متوجهاً إلى منطقة القتال ومعه رفاقه من مجاهدي حي الميدان، وانضم إليهم عدد من أهالي حوران وتمكنوا من محاصرة القوات الفرنسية التي كانت تحاصر قوات الجبل بقيادة عز الدين الحلبي، وأصبح الفرنسيون محاصرون من الأمام بثوار الجبل ومن الخلف بمجاهدي حي الميدان بقيادة الأشمر مع بعض أهالي حوران.

وأخذ القتال يشتد ببسالة، وقد ترك الأشمر للفرنسيين مجالاً واحداً للهرب من الحصار وهو من الشرق، حيث كان يرابط كثير من المجاهدين، يتلقونه فرداً فرداً، وقد انقلبت المعركة نصراً للثوار الذين كسبوا غنائم من السلاح والذخيرة.

وقد أرخ سلطان باشا الأطرش لهذه المعركة في مذكراته وأشار

(١) كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، الرائد إحسان الهندي، إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في الجيش السوري، ص١٢٢ ـ ١٢٤.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى أن الشيخ محمد الأشمر هو الذي فك الحصار بعد وقوع كثير من القتلى بين الطرفين.

## ٢ ـ معركة بلدا ٥/١٢/١٩٢٥:

وكانت أهم معارك الغوطة لسنة ١٩٢٥، وقد جرت يوم السبت ٥/١٢/١٩٢٥ بين حملة فرنسية يفوق عددها (٢٠٠٠) جندي و(١٢) دبابة وبين عُصَب المجاهدين مجتمعة، أي ما بين (١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠) مجاهد أتوا لملاقاة العدو من شتى أنحاء الغوطة وصدموه في قلبه وميمنته وميسرته صدمات عنيفة اضطرته للتراجع فتبعه الثوار حتى منازل حي الميدان، وخاضوا معه معركة بالسلاح الأبيض في ناحية الزفتية (الجانب الشرقي لحي الميدان) ومقبرة الميدان (الجانب الجنوبي في الميدان) والقشلة العزيزية[1].

وخسر الفرنسيون بنتيجة المعركة والمطاردة التي تبعتها حتى جدران الميدان عدة مئات من القتلى. ويؤكد من حضر المعركة من المجاهدين أنها فاقت الـ(٦٠٠) قتيل بحيث أن وسائط النقل لدى الفرنسيين عجزت عن نقل قتلاهم فلجؤوا للاتفاق مع أصحاب الطنابر لقاء مبلغ معين يدفعونه لكل قتيل ينقل ويُسَلَّم إليهم، ومنعوا في نفس الوقت المرور من الطرق التي كانت تجتازها الطنابر وهي تحمل القتلى.

أما المجاهدون، فلم تتجاوز خسائرهم الـ(١٩) شهيداً سقطوا في سبيل الواجب؛ إلا أنهم غنموا ما يقارب الـ(١٠٠) بندقية وعشرة صناديق من الذخيرة و(١٦) رشاشاً.

(١) التي تقع قرب القدم أو التي كانت في الميدان الوسطاني ـ محل مدرسة أنموذج الميدان ـ لأنه كانت هناك قشلتان ـ زهير.



وقد اشتهرت هذه المعركة عند المجاهدين باسم (معركة السبت) لأنها جرت في يوم السبت كما أسلفنا[1].

ولقد كان للشيخ محمد الأشمر ورفاقه من حي الميدان أمثال المجاهدين عبد القادر ستر، والشيخ ديب القديمي، وخير الدين اللبابيدي، وعبد الرزاق الشمري، وأحمد الستري، وعلي جمعة، وأبو سليمان المهايني، وأبو قاسم الدرخباني، وحمدي عيشة، وأبو النور حباب، وأبو عثمان زليخة، وحسني الحلاق، وأبو فارس طاطيش، وأبو مرعي محمد، وعيسى حنين، وأبو عزت هلال، وأبو خيرو العسلي، وأبو أحمد العياش، ومحمد مرشد، وعبد الله الأسود.

إلى جانب آخرين من المجاهدين الأشاوس من قبر عاتكة: سعيد الأظن، ومن الشاغور: حسن الخراط، ومن القنوات: صبري البديوي، ومن باب الجابية: أبو علي الكلاوي؛ الأثر الفعال في تحقيق النصر خاصة وأن أهالي حي الميدان بقيادة الشيخ الأشمر كانوا يقاتلون على أرضٍ هي الامتداد الطبيعي لحيِّهم من الجهة الجنوبية الغربية، وهم أعرف بها من العدو المحتل وأكثر خبرة بدروبها. وقد أصيب في هذه المعركة عبد القادر سكر، وأحمد غازي، وبدر السواح، وشوقي المالح، ومحمود حجازي؛ بجراح، وقد عني السيد محمد الخطيب بمعالجتهم[2].

## ٣ ـ معركة بستان باكير ٦/١٢/١٩٢٥:

لم يكد الفرنسيون يفرغون من جمع قتلاهم من أرض المعركة التي

(١) كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٤٥.
(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي ـ أدهم آل جندي، مطبعة الاتحاد بدمشق، ص٣٥٢.

جرت يوم السبت في ١٩٢٥/١٢/٥ على الوجه الذي ذكرناه آنفاً حتى اصطدمت مجموعة من المجاهدين المرابطين في بستان باكير ـ وهو قريب من حي الميدان، وكان أحد المراكز الواقعة تحت سيطرة الشيخ محمد الأشمر ورفاقه يستخدمونه للانطلاق في غاراتهم على الفرنسيين والعودة إليه ـ بقوة فرنسية معززة بالدبابات، وحصلت معركة بين الطرفين تكبّدت فيها القوة الفرنسية خسائر فادحة بالأرواح والعتاد وسقط من المجاهدين خمسة شهداء[1].

وكان الشيخ محمد الأشمر قد علم بأن حملة فرنسية خرجت من دمشق ورابطت في جرمانا لتطويق المجاهدين فأرسل سرية من ثوار الغوطة الجنوبية إلى ثوار الغوطة الشمالية لنجدة إخوانهم في (بستان باكير) من أراضي حي الميدان.

وبعد تبادل الرأي في خطة الدفاع انتشر مجاهدو الغوطتين وجعلوا الأنهر متاريس طبيعية لهم، ولمّا أطلّت عليهم سرية من الدبابات والمصفحات ـ من طريق (جرمانا ـ الميدان) صدمها المجاهدون إلى غروب الشمس وفي هذه الفترة وصلت الحملة لتطبيق خطة التطويق، فثبت المجاهدون ولم يتحركوا من مراكزهم، واحتاطوا للأمر باليقظة والحذر.

ولما حل الظلام هاجموا قوات الحملة بعنف شديد فلم تتمكن الحملة من التقدم وعادت إلى دمشق فتبعها المجاهدون وأمعنوا فيها ضرباً[2].

(١) كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٤٧.

(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٥٣.



### ٤ ـ معركة بستان البندقة ١٩٢٦/١/٣:

كانت هذه المعركة باكورة أعمال المجاهدين في أوائل عام ١٩٢٦ وقد وقعت بين قوة من الجنود الفرنسيين وبعض المجاهدين من أهالي حي الميدان من رفاق الشيخ محمد الأشمر ومن ثوار كفر سوسة.

وبستان (البندقة) هذا يقع في الجانب الغربي من منطقة بساتين الطويلة التي تحيط بحي الميدان ويمر منها القطار ما بين درعا ودمشق[1]، وهو يشكل منطقة الاتصال بين بساتين حي الميدان وبساتين كفر سوسة وتملكه عائلة (رجب بك).

وسبب هذه المعركة أن المجاهدين علموا بسير قوة من الجند الفرنسي إلى قرية كفر سوسة فلحقوا بها واشتبكلوا معها بقتال عنيف مدة أربع ساعات حيث أسفرت المعركة عن فرار الفرنسيين فتعقبهم الثوار إلى الطريق العام في الميدان وفتكوا بعدد من الجنود وذبحوا اثنين من سلاح الفرسان وعلقوا رأسيهما على الجدران وغنموا ستة رشاشات وبعض البغال[2] ثم عاد ثوار كفر سوسة إلى منطقتهم، إلا أنني لم أستطع التثبت فيما إذا كان الشيخ محمد الأشمر قد شارك في هذه المعركة بنفسه أم لا.

### ٥ ـ معركة مئذنة الشحم ١٩٢٦/١/٢٤:

هذه المعركة اشترك فيها والدي المرحوم فايز المعراوي، وقد سمعت قصتها منه مباشرة وسأعقب عليها بعد عرض الصورة التي ينقلها

(١) لم يعد هنالك بساتين وأصبحت المنطقة كلها منطقة عمرانية تحمل اسم منطقة (تنظيم غربي الميدان).

(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٥٩.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأستاذ أدهم الجندي في كتابه[1] بما سمعته من والدي[2].

أما ما ينقله لنا الأستاذ الجندي فهو أنه في مساء الأحد ٢٤/١/ ١٩٢٦ نزل (٣٠) ثائراً من الغوطة إلى دمشق، كان بينهم المجاهدون: حسني الحلاق، وعزت وبشير المهايني، عبده جمعة، أبو عبده الشربجي، محمود الهندي، خيرو الأشقر، عبد الله الشيخ عوض وأنور الشاغوري وإخوانهم، فتقدم إليهم أحد الصبية وأخبرهم بأن بعض جنود من المتطوعة يجلسون في المقهى المجاور للبيت الذي أزمعوا على مهاجمته فاتخذوا الخطة الناجحة لتنفيذ مهمتهم واقتحموا البيت، فوجدوا فيه الشيخ طراد الملحم مع ابن عمه، وقد تحدث الناس عن موالاته للفرنسيين فأخذوه مع ثلاثة من رجال الدرك وحارس وشدوا وثاق الجميع وقادوهم أمامهم.

وبلغ قوات المخافر أن فريقاً من الثوار قد دخل أحياء دمشق فهبوا لإطلاق النار على المجاهدين الذين كانوا يجتازون الطرق، وقد اضطروا لقص الشريط الشائك عند الاستحكامات للمرور منها والاشتباك مع قوات المخافر في عراك رهيب.

وفي هذا الصدام استشهد أبو ياسين أبو البرغل، وأبو ياسين الكلاس المشهور بالجباصيني فحملوهما ودفنوهما ليلاً في حفرة واحدة في مقبرة باب الصغير، وتمكّن الثوار من الوصول إلى حي الميدان، ودخلوا إحدى الدور ووضعوا فيها الشيخ طراد الملحم ومن معه، ولما خشي القتل عرف الثوار بنفسه، وشاء القدر أن ينجو من الخطر وأن

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣١٣.

(٢) صياح.



تكشف وطنيته، فوجدوه يحمل مسودة مضبطة موجّهة إلى المفوض السامي يحتج فيها على تدمير أحياء دمشق بالقنابل.

وفي اليوم التالي بلغ القائد فوزي القاوقجي هذه الحادثة فحضر من الغوطة إلى دار الشموط، واختلى بالشيخ طراد الملحم، ثم طلبه الشيخ محمد الأشمر فنقل إلى داره وأطلق سراحه، وأرسل المجاهدون الدَّرك الثلاثة والحارس إلى محكمة الثورة وكان مقرها في زبدين فقررت إطلاق سراحهم.

هذه المعركة كما رواها الأستاذ الجندي صحيحة في شكلها العام، فقد قامت مجموعة من ثوار حي الميدان فعلاً باختطاف الشيخ طراد الملحم من بيته وعادت به إلى حي الميدان بعد معركة حامية مع القوات الفرنسية، لكن القصة كما رواها لي والدي فايز المعراوي رحمه الله - وهو مشارك أساسي فيها - فهي كما يلي[1]:

إنه بسبب اشتداد المعارك وسقوط عدد من القتلى بين صفوف الجنود الفرنسيين فإنهم لجؤوا إلى تجنيد جنود محليين، لكن الذين كانوا يتطوعون من أهل المدن قلة، وكان أكثر الذين يتطوعون هم من أهل البدو، وكان بعض مشايخ البدو لا يمانعون بذلك إن لم يكونوا يعملون له بدافع من الإغراءات المادية.

وقد تردد اسم الشيخ طراد الملحم بين الأسماء التي أشيع أنها تعمل على مساعدة الفرنسيين في هذا المجال، لذلك قرر الشيخ محمد الأشمر القيام بعملية جريئة لاختطاف الشيخ طراد والتحقيق معه ومحاكمته على ذلك، فقام بتكليف مجموعة من الثوار لتنفيذ هذه المهمة وإحضار الشيخ طراد حياً، وقد كان اختيار والدي فايز المعراوي - الذي

(١) تعقيب المحامي صياح المعراوي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان أصغر أفراد المجموعة سناً حيث لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة ـ بسبب إتقانه اللهجة البدوية لمختلف عشائر البدو وللتعرف على الشيخ طراد لأنه سبق أن رآه أكثر من مرة.

انطلقت المجموعة من كرم التين في الجانب الجنوبي الشرقي من بساتين الميدان، ووصلت إلى منطقة الدقاقين بسهولة، إلا أن خطأ أحد أفراد المجموعة بإطلاقه النار من بندقيته فرحاً باجتياز الطريق الفاصل بين مقبرتي باب الصغير دون الاصطدام بالمفرزة الموجودة في مخفر الشيخ حسن والإفلات منها دون أن تشعر، نبّه الفرنسيين إلى وجود الثوار في المقبرة فقاموا برصدهم حتى إذا ما أرادوا اجتياز الدقاقين إلى البزورية عبر شارع مدحت باشا فوجئوا بنار كثيفة من بنادق الفرنسيين ورشاشاتهم تنهمر عليهم من مفرزة متواجدة في مئذنة الشحم القريبة من المكان حيث حصلت معركة حامية بين الطرفين.

ويروي والدي أنه كان يتقدم جنباً إلى جنب مع المجاهد أبو ياسين أبو البرغل وعبد الله الشيخ عوض، وأثناء محاولة العبور إلى البزورية أصيب المجاهد أبو البرغل في منتصف طريق سوق مدحت باشا بصلية رشاش اخترقت جسمه فسحبه والدي إلى الخلف ثم عاد ليتابع الزحف إلى البزورية تحت غطاء من نيران الثوار الذين اضطروا إلى أن ينقسموا قسمين: قسم يتابع إلى تنفيذ المهمة وقسم يشاغل المفرزة التي تطلق النار من مئذنة الشحم، وفي أقل من نصف ساعة كان القسم الذي تابع التقدم إلى بيت طراد الملحم قد أنجز المهمة ومعه الشيخ طراد وبعض حراسه ـ ولم يذكر لي والدي أن حرّاسه كانوا من الدرك ـ وعادت المجموعة إلى حي الميدان وسلمت الشيخ طراد ومن سيق معه إلى الشيخ الأشمر أحياء يرزقون.

ثم علم والدي بعد أيام أنه تم ترك الشيخ طراد بعد أن أعطى



للقائد فوزي القاوقجي وللشيخ محمد الأشمر العهود والمواثيق بأن يكون عوناً لهم لا عليهم.

أصبح واضحاً إذاً أن العملية قامت بالأساس لاختطاف الشيخ طراد وإحضاره للشيخ محمد الأشمر حياً بسبب ما تردد عن تطويع البدو في صفوف الإفرنسيين، وأن القاوقجي والأشمر لم يتركاه إلا بعد تعهده بأن يكون مع الثورة لا ضدها، وأن العملية كان يمكن أن تنفّذ بمعركة أقل احتداماً لولا خطأ ارتكبه أحد أفراد المجموعة عندما أطلق النار من بندقيته فرحاً بالإفلات من المفرزة المتمركزة بمخفر الشيخ حسن.

### ٦ ـ معركتا جسر تورا ٢٨/٢/١٩٢٦ و٢٦/٤/١٩٢٦:

وربما كانتا أكثر من معركتين، ذلك أنه كلما كانت فرنسا تحاول التقدم نحو الغوطة الشمالية والشرقية كانت تصطدم ـ عند هذا الجسر الذي هو الممر العادي للذاهب من دمشق إلى منطقة دوما ـ بمقاومة عنيفة تحول بينها وبين عبور هذا الجسر، حتى أن الجسر تعرّض من قبل الثوار للتدمير، لكن أبرز معركتين كانتا في ٢٨/٢ و٢٦/٤/١٩٢٦.

في ٢٨/٢/١٩٢٦ كان المجاهدون ينتظرون الأحداث، وقد انتشروا بمراكز دوما وقرى الغوطة، وكان القائد الشهيد شوكت العائدي في حركة دائمة وعلى اتصال بدمشق، وقد وصلته معلومات من دمشق بأن حملة فرنسية ستخرج يوم الاثنين في ٢٨/٢/١٩٢٦ تحمل الأوائل[1] والمعدات اللازمة لإصلاح جسر تورا وهو الطريق الوحيد باتجاه دوما ـ وكان الثوار في اجتماعهم يوم ١٨/٢/١٩٢٦ قرروا هدم الجسر لتعطيل سير الدبابات والمصفحات، وقد تم هدم هذا الجسر الذي أنيطت

(١) الأوائل: يعني الآلات التي تساعد في عملية إعادة الجسر وإصلاحه.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حراسته بمجاهدي دوما، ورابط خمسون مجاهداً مسلحاً لحراسته بصورة دائمة بقيادة الشهيد رشيد خنشور[1]، فأبلغ الثوار وأعطيت الإشارات لمراكز المجاهدين فحضروا إلى أراضي جوبر، وتوالت قوات الثوار التي يتقدمها الشيخ محمد الأشمر مع رفاقه من حي الميدان وإبراهيم الشيخ من دمشق وأبو مصطفى الرنكوسي من عربيل وحسين طارة وأحمد الخباز من حرستا بأوامر لصدها، وقد كمن المجاهدون حتى إذا ما ظهرت طلائع الحملة ومعها الأوائل لإصلاح جسر تورا قابلتها نيران حامية، واستمر القتال ثلاث ساعات لم تتمكن الحملة من إنجاز عملية إصلاح الجسر وارتدت خائبة إلى دمشق وتقدم المجاهدون فهدموا ما أصلحته الحملة من الجسر[2].

وفي ١٩٢٦/٤/٢٦ وقعت المعركة الثانية، ذلك أن المخلصين كانوا يؤمّنون إيصال أخبار تنقلات الحملات الفرنسية إلى المجاهدين بشتى الوسائل، وقد بعث حراس خط الدفاع في قرية جوبر يطلبون النجدة لصد الحملة الفرنسية الجديدة التي تتهيأ للزحف لعبور جسر تورا، فلبّت مجموعة الثوار في دمشق وقرى الغوطة النداء واجتمع القادة والرؤساء لتنظيم خطة الدفاع لمنع سير هذه الحملة.

لم تخرج الحملة الفرنسية في ذلك النهار، فرابط المجاهدون في خط دفاعي ووضعوا (٢١) لغماً أرضياً ـ كلفت نفقاتها خمساً وعشرين ليرة ذهبية، ـ قام بصنعها الخبير بها محمود بن عبد الغني النجار من أهالي دوما، وكانت المواد المتفجرة تؤخذ من قذائف الطائرات التي لم

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٦٨.
(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٧٠.



تنفجر، وتم زرع الألغام بمفرق القابون على الطريق العام بمسافة نصف كيلومتر، وربطت الألغام بالأسلاك الخاصة، وتهيأت لها الحفائر، وامتدت وطمرت تحت وجه الأرض إلى أن ظهر آخرها بخط المجاهدين عند جسر تورا.

وفي اليوم الثاني في ١٩٢٦/٤/٢٦ تحرّكت الحملة العسكرية يتقدمها لواء سلاح الفرسان بقيادة عطاف باشا المغربي، وكان عددها يزيد عن ثمانية آلاف جندي، وحين وصلوا إلى جسر تورا نصبوا عليه الأخشاب للمرور، وكان الثوار ينظرون إليهم بعيونهم وهم يجتازون الجسر دون حِرَاكٍ كي تصل الحملة إلى المكان المبثوثة فيه الألغام، وعندما صارت في المكان الملائم أعطيت الإشارة بتفجير الألغام فلم ينفجر منها ـ للأسف ـ سوى لغم واحد هو الذي كان محاذياً لأواخر الحملة فبعثر أربعة بغال مُحَمَّلة بالذخائر مع عشرة جنود، فراح المجاهدون يضربون مؤخرة الحملة بينما الدبابات تحميها، فلم يتعرقل سيرها وتمكنت من الوصول إلى نقطة دوما الكائنة على الطريق العام خارج البلدة، وعززت هذه الحامية بالجنود والذخائر ثم ارتدت مساءً إلى دمشق، إلا أن المجاهدين عادوا في اليوم الثالث وهدموا ما قام الجيش بإصلاحه في جسر نهر تورا وعززوا حراس هذا الخط بقوة ثانية لمجابهة الحملات القادمة[1]، وقد استعمل المجاهدون لأول مرة الألغام في هذه المعركة لتساعدهم على إيقاف هذه الحملة من الدبابات الفرنسية، وقد روى بعض الذين شاركوا في هاتين المعركتين أن الشباب والشابات كانوا يهبون لمساعدة الثوار لإمدادهم بالذخائر وأوعية الماء ولإسعاف الجرحى وتطبيبهم، وقد برز من هؤلاء الطبيب نديم

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨١ ـ ٣٨٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحصني[1] الذي كان يُقدِّم كل جهده لمعالجة الجرحى وإسعافهم بما توفَّر لديه من وسائل بسيطة كان يستخدمها أفضل استخدام.

ولا بد لنا من وقفة هنا للتعليق على هذه المعركة التي حصلت في ٢٦/٤/١٩٢٦، ذلك أن استعمال الألغام الأرضية لأول مرة من قِبل المجاهدين وإن يكن بادرة تدل على مرحلة متقدمة من تطوير سلاح الثورة، لكن فشل هذه الألغام وعدم تفجّرها فوّت على المجاهدين فرصة كبيرة لمقاومة الحملة والتصدي لها قبل أن تتمكن من إقامة الجسر وهي في مخابئها تنظر إليه اعتماداً على فخ الألغام الذي لم يؤد الغرض المطلوب منه لعدم تفجر هذه الألغام التي كانت منتشرة على مسافة (٥٠٠) متراً، ما عدا اللغم الأخير الذي أصاب أفراداً من مؤخرة الحملة بعد أن كانت قد وصلت إلى ما تريد بأمان.

ولو أن المجاهدين لاحظوا أن قائد الحملة كان (عطاف باشا) لكان يكفيهم معه اشتباك عادي ينسحب بعده تاركاً لهم عتاداً وذخيرة حسب الاتفاق الذي كان معقوداً بينه وبين الشيخ محمد الأشمر، ذلك أن (عطاف باشا) هذا كان مغربياً مسلماً متعاطفاً مع الثوار وكان يساعدهم، وخاصة عندما يكون في ساحة المعركة الشيخ محمد الأشمر ورفاقه ثوار حي الميدان، وقد كان الأشمر موجوداً في طليعة المجاهدين في المعركتين، ولكن ماذا عساه يفعل عطاف باشا حين لم يلق أية مقاومة غير أن يقيم الجسر ويعبر عليه بكل هدوء وأمان.

ولا يقلل من هذا الفشل الذي تسبّب من عدم انفجار الألغام أن الثوار عادوا بعد ثلاثة أيام وخرَّبوا الجسر من جديد ولو أنهم تصرفوا

(١) كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٠.



كما تصرفوا في ٢٨/٢/١٩٢٦ لأضافوا إلى ملحمة ذلك اليوم ملحمة أخرى تُضَافُ إلى سجل الفداء الذي سطّره المجاهدون في الغوطة ودمشق والتي كتبت بحروف من النور.

وقبل أن أختم كلامي أطرح السؤال التالي:

من يعرف مكان هاتين المعركتين من الجيل الذي يبلغ من العمر الآن أربعين سنة؟ لا أظن أحداً منهم يستطيع ادّعاء مثل هذه المعرفة.

إن أقصى ما يمكن لبعض أبناء هذا الجيل ـ إن كان قد نشأ في بيئة تعتز بتاريخها وقِيَمِهَا ومبادئ أُمَّتها ـ أن يعلموه عن هذا المكان هو ما قد يكون قد وصل إليهم سماعاً من كبار السن أو قراءة في كتاب يذكر هذه المعركة ومكانها، وأن هذا الجسر ـ جسر تورا ـ كان عَقَبَةً أعجزت الجيش الإفرنسي بكل إمكانياته عن القدرة على اجتيازه.

وأمام مثل هذا الذي سمعوه أو قرؤوه ربما تخيّلوا أن (جسر تورا) يشبه الجسور القائمة على نهر (التيمز) في لندن أو ما شابه ذلك، فمثل هذه الجسور تحتاج فعلاً إلى قوة جبّارة سواءً لتحطيمها أو لإقامتها أو لعبورها، لكن لو علم أبناء هذا الجيل أن هذا الجسر لم يكن أكثر من بضعة ألواح من الخشب تصل بين ضفتي ممر مائي هو فرع من سبعة فروع لنهر بردى، يهتز إن سار فوقه بضعة أشخاص أو عَلَتْهُ دابة تحمل أثقالاً من إنتاج البساتين لذهلوا وانتابتهم الدهشة، وَلَمَا صَدَّقوا أن مثل هذه الألواح الخشبية على ممر مائي صغير لا تبعد ضفة منه عن الأخرى أكثر من طول دف من الخشب متوسط الطول يمكن أن تعجز القوات الفرنسية عن عبوره، فهي لم تعبره إلا عندما سمح لها الثوار بذلك وتحت نظرهم وعلى مرأىً منهم يوم ٢٦/٤/١٩٢٦ اعتماداً منهم على الألغام الأرضية التي زرعوها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد اندثرت معالم (جسر تورا) الآن بسبب إدخال المنطقة التي كان يمر منها ضمن المخطط التنظيمي لمدينة دمشق، وأقيمت في هذه المنطقة العمارات العالية.

وأود أن أسجل هنا بكل معاني الأسف وبكل معاني الاحتجاج أن إزالة معالم (جسر تورا) لأي سبب كان هو خطأ تاريخي وحضاري لا يمكن أن ينسى أبداً، وما كان يجب أن يحصل أبداً، سواء بسبب الحاجة إلى توسع سكني أم لغير ذلك من الأسباب، وأود أن أسجّل هنا أنه ما كان للمسؤولين في محافظة مدينة دمشق والجهات الرسمية الأخرى ذات العلاقة أن تزيل هذا الأثر الهام تحت أية ذريعة كانت من تنظيم للمنطقة التي يقع فيها أو غير ذلك، وإنما كان عليهم أن يبقوا هذا الجسر على وضعه البسيط فوق الممر المائي البسيط وأن يجعلوا منه مزاراً يؤمّه السيّاح ويؤمّه المؤرخون، وشاهداً على بسالة وشجاعة المجاهدين في الدفاع عن أرضهم، غير عابئين بالآلة العسكرية الهائلة التي كانوا يواجهونها.

وفي كثير من دول العالم يتم الحفاظ على أماكن لها في ذاكرة الناس من الأهمية أقل مما لهذا المكان (جسر تورا)، ولقد شاهدت بنفسي في مدينة (وارسو) عاصمة بولندا حائطاً في حارة قديمة مرصوفة بالحجارة تُوجَّه إليها أفواج السياح بشكل مخطط باعتبار أن هذا المكان - الحائط وقسم من الحارة - يشكل شاهد إثبات على دفاع (يهود وارسو) عن حارتهم هذه من خلف هذا الجدار فيما يطلقون عليه اسم (اليهودي)، علماً بأن ملحمة (جسر تورا) لا يمكن أن تقارن بمعركة أخرى يتحصن المدافعون فيها ضمن أزقة وجدران من الحجارة الضخمة، لأن المعركة في (جسر تورا) كانت في أرض يقاتل فيها المجاهدون دون أي حاجز من جدران ضخمة أو غيرها سوى شجيرات



مشمش في بستان مكشوف بمواجهة عدو تحميه أرتال الدبابات والمصفحات على الأرض وأسراب الطائرات من الجو.

من على هذه الصفحات أوجّه نداءً إلى المسؤولين في محافظة مدينة دمشق للعمل على إعادة هذا الجسر في موقعه نفسه وعلى الشكل الذي كان عليه وجعله شاهد عدل لمرحلة من مراحل الجهاد ضد قوى الاحتلال الفرنسي، ومزاراً يؤمه السوّاح، ووثيقة يقرأ سطورها المؤرخون.

### ٧ - معركة حي الميدان ٧/ ٥/ ١٩٢٦:

وقعت معركة الميدان في يوم الجمعة ١٩٢٦/٥/٧ فقد أقضّ مجاهدو الميدان مضاجع الفرنسيين، وحي الميدان ما برح منذ بدء الثورة ملاذ المجاهدين ومستودع سلاحهم وإليكم قصة هذه المعركة.

حدث في الرابع من شهر شباط ١٩٢٦ أنَّ جندياً فرنسياً برتبة سرجان قتل في حي الميدان.

كما كانت المخافر الفرنسية المبثوثة على الجبهة الجنوبية من دمشق في ذلك الوقت عرضة للعدوان المتوالي، فَصَحَتْ عزيمة الفرنسيين في شهر نيسان على تطهير حي الميدان من الثائرين[1].

والسبب في تأخير تنفيذ هذه المهمة من ١٩٢٦/٢/٤ إلى ٧/٥/١٩٢٦ هو أن القيادة الفرنسية كانت منشغلة بصد حملات المجاهدين في مناطق أخرى، كما أنها كانت تنتظر وصول فيلق الرماة الخامس والستين لدعم حامية دمشق[2].

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٢.
(٢) كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ - ١٩٤٨، ص١٥١.

وقد اتخذت القيادة الفرنسية الترتيبات العسكرية وأناطت بـ(الكولونيل - العقيد - كليمان غرانكور) هذه المهمة، ووضعت تحت تصرفه لواء (كوميه) التابع لفيلق الرماة الأفريقيين الثامن عشر معززاً بمدفعية ودبابات وسيارات رشاشة، وساندته كتيبتان من متطوعي الشركس، ضربتا نطاقاً حول هذا الحي، وقامت بتنفيذ الحركات تجريدات ثلاث من المشاة والسيارات الرشاشة والدبابات بقيادة (الليوتنانت - مقدم - بابو) و(الكابيتان - نقيب - رولان) و(الكابيتان - نقيب - بوفرو).

زحفت هذه القوة الكبيرة بتاريخ ١٩٢٦/٥/٧ نحو حي الميدان في خطوط متحاذية من الجنوب إلى الشمال وقابلها من الشمال فريق الفدائيين التابع لفيلق الرماة الأفريقيين الثامن عشر بقيادة الملازم الثاني (ماسون) متجهاً نحو الشارع الرئيسي.

وقد رابط ألف جندي في الجناح الأيمن، يحرسهم القطار الحديدي - المصفح - وقلعة المطحنة الكبرى على طول الخط من (قبر عاتكة - الطويلة).

ورابط ألف جندي في الجناح الأيسر يحرسهم (٢٠) دبابة في (الزفتية).

ورابط ألف جندي في القلب يحرسهم (٢٠) مصفحة، ورابطو في (باب مصلى - السلطاني)[1] وبهذا انشطر الحي إلى شطرين محاصرين بشكل كامل، الشطر الشرقي بين (الزفتية) من الشرق وخط (باب مصلى - السلطاني) من (الغرب) والشطر الغربي بين خط (باب مصلى - السلطاني) من الشرق وخط (قبر عاتكة - الطويلة) من الغرب.

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٢.



كانت قوة المجاهدين مؤلفة من (٩٧) مجاهداً بقيادة الشيخ محمد الأشمر، وكانت تكمن في البيوت بجوار (جامع الدقاق) وتفرق (٨٠) مجاهداً في البيوت والحارات، واشتبك المجاهدون مع القوات الفرنسية بمعركة ضارية استمرت زهاء خمس ساعات ونصف، وتناهت الاشتباكات في الشدة والعنف عندما تَمنَّع المجاهدون في المنازل، واستعملوا فيها القذائف اليدوية.

ولولا مؤازرة سلاح الدبابات والسيارات الرشاشة التي كانت تجتاح جدران البيوت في كثير من الأحيان فتهدمها لتجبر الثوار المتمنعين فيها على تركها لما استطاع المشاة أن يفلحوا في معركة الشوارع هذه دون أن تنزل بهم الخسائر الفادحة. فقد كانت نقاط الارتكاز التي كمن فيها المجاهدون تحاصر واحدة بعد أخرى فيستولي الرماة الفرنسيون على المنازل المجاورة لها ثم يهيلون عليها القذائف اليدوية، ويندفعون غائرين مستترين وراء الدبابات التي تشق الطريق أمامهم.

وذكر البلاغ الرسمي الفرنسي عن هذه المعركة أن الثوار خسروا (٥٧) مسلحاً، والحقيقة أن المجاهدين خسروا ثلاثة شهداء فقط، وهم: فوزي عودة، وسليم عبسة، ومحمود الهندي، وهؤلاء الثلاثة وحدهم قتلوا من الفرنسيين عدداً كبيراً وأبلوا بلاء منقطع النظير. وعلى سبيل المثال فإن حوالي مئة جندي فرنسي حاصروا الشهيد محمود الهندي[1] في (زقاق الضيق) فقتل منهم سبعة فارتد الجند عنه، فخرج من مكمنه حتى وصل (الساحة)، ثم هجمت عليه قوة كبيرة فدخل بيت النشواتي

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فحاصره الجند فقتل منهم تسعة أيضاً، فتقدمت دبابة وهدمت الباب واستمرت بإطلاق النار عليه حتى خمدت أنفاسه فألقوا عليه البنزين وأحرقوه في البيت الذي هو فيه بوحشية لا يتصورها العقل، كما خسر أهل الميدان في هذه المعركة ٩٠٪ من دكاكينهم وحوانيتهم و٢٥٪ من بيوتهم، وتم هدم ثلاثة مساجد هي: (الرفاعي) و(الدقاق) و(الساحة)، ولعل أصدق وصف لوحشية الفرنسيين في هذه المعركة هو الذي عبر عنه المجاهد سعيد العاص[1] حين زار حي الميدان بعد انتهاء المعركة حيث قال: «... واخترقنا شوارع الميدان فكنت أظن نفسي في خرابات نينوى وطلول أو خرابات مدن كسرى أنوشروان... وقد ساعدنا القدر فسمعنا صوت بشر، فصرخنا عليه فخرج وانتصب أمام مصراع البيت في الداخل فاستوضحناه عن المعركة فأخبرنا عن كيفية انهزام جنود الفجار...».

وكان أفظع وحشية ارتكبها الفرنسيون هي ذبح المصلين وهم في صلاة الصبح في جامع الساحة وعددهم ثمانية منهم: علي كريشان وإمام الجامع الشيخ عبد الغني نجيب[2] ليرتفع عدد الشهداء في هذه المعركة إلى أحد عشر شهيداً.

وإننا نسجل للحقيقة والتاريخ بأنه رغم ما حلَّ بحي الميدان من محَن ونكبات وقَتْل ونهب وتحريق وتدمير، فإنَّ البطولات التي أظهرها مجاهدو هذا الحي فيها أبلغ العظات والعبر للأجيال الصاعدة، فقد كانوا لا يفترون عن مهاجمة الفرنسيين وإنزال الضربات الأليمة والخسائر الكبيرة في قواتهم، ولولا الدبابات الثقيلة التي كانت تقتحم البيوت

(١)و(٢) صفحة من الأيام الحمراء، سعيد العاص، المطبعة الوطنية في عمان، ص١٥٣.



وتدمرها، ويحتمي وراءها الجند لما استطاع الفرنسيون التغلُّب على أبطال الميدان[1] في معركة غير متكافئة من كل الجوانب.

وبرغم هذه الخسائر التي نزلت بحي الميدان والتي نزل مثلها بالجنود الفرنسيين وعتادهم، فإن كل هذا لم يمنع مجاهدي هذا الحي بقيادة الشيخ محمد الأشمر وأبي عبده سكر وأبي قاسم الدرخباني من متابعة الجهاد ضد الفرنسيين وإنزال الضربات الأليمة والخسائر الكبيرة في قواتهم[2].

## ٨ ـ الهجوم على (المصفح) عبر دكوك زقاق الشربجي:

كان الفرنسيون يستعملون في نقل جنودهم وضباطهم وكبار الشخصيات وفي نقل العتاد الحربي والذخيرة والمؤن (قطاراً مصفّحاً) بالحديد والفولاذ، وهذا القطار كان معدّاً على هذا الشكل من التصفيح للمساعدة على حماية ما ينقله من القوات البشرية أو العتاد الحربي كما كان يستعمله المفوّض السامي في تنقلاته حتى كاد أن يقع أسيراً في إحدى المعارك التي هوجم فيها هذا القطار (المُصفَّح).

وقد أراد الشيخ محمد الأشمر أن يكسر من هيبة القوات الفرنسية ويلقّنها درساً بأن هذا (المصفح) لن يحمي ضباطها وجنودها وعتادها، وأنه ليس عقبة بوجه الثوار، وأنه في متناول ضرباتهم متى شاؤوا ذلك وأرادوا. فكانت هذه المعركة الرائعة التي روى قصتها في حفلٍ عامٍّ العلامة الشيخ حسين خطاب رَحِمَهُ اللَّهُ نقلاً عن شيخه العلامة الشيخ حسن

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٣.

(٢) كفاح الشعب السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حبنكة الميداني، وذلك بمناسبة الانتهاء من عمارة المسجد الذي أطلق عليه اسم المجاهد الشيخ محمد الأشمر في حي الزاهرة شرقي منطقة الحقلة في حي الميدان.

وقد نقل الشيخ حسين خطاب تفاصيل هذه المعركة كما سمعها من شيخه العلامة الشيخ حسن حبنكة الذي كان أحد المشاركين فيها كما يلي:

قرر الشيخ محمد الأشمر مهاجمة (المصفح) وقد وضع خطته على أساس استغلال (الدك)[1] الموجود في نهاية (زقاق الشربجي) للاحتماء خلفه حيث فتح المجاهدون ثغرة في هذا (الدك) كافية لعبورهم منها عند بدء الهجوم، وما إن ظهر (المصفح) وفيه العساكر الإفرنسيين مع عتادهم وذخيرتهم حتى ظهر الثوار عبر الثغرة المفتوحة، وما هي إلا لحظات حتى برز الشيخ محمد الأشمر ـ وغطاء أبيض ملفوف على رأسه ووجهه كعادته في المعارك التي يخوضها بنفسه ـ وسارع مع رفاقه نحو (المصفح) وهم يصيحون: الله أكبر... الله أكبر... إلى أن استولوا على هذا (المصفح) دون أية مقاومة، حيث استسلم العسكر الذين كانوا فيه، فقام المجاهدون بإفراغ العتاد والسلاح والذخيرة من (المصفح) وكانت كثيرة وكان بينها عدد غير قليل من الرشاشات وتم توزيع الغنائم ـ لكثرتها ـ على عدد من القيادات الثائرة في الغوطة.

---

(١) الدك. جدار سميك يبلغ سمكه ٦٠ ـ ٧٠سم، قوامه الطين والحجارة المغموسة فيه والتي (تُدَك) في قالب خشبي حتى يتماسك الجدار ثم ينزع القالب، وهو يشكل سوراً بحمي البساتين. وزقاق الشربجي في منطقة الميدان الفوقاني ـ السلطاني ـ، وكان يبدأ من تجاه فارس آغا المهايني، من جوار بيت الرفاعي، وينتهي إلى بستان الثريا الذي أصبح الآن منطقة عمرانية ولم يعد بستاناً، وفي وسط هذا الطريق مصلى.



أثناء ذلك بادر الإفرنسيون إلى استعمال رشاشات منصوبة على سطح طاحونة (جلاد ومهايني) القريبة من منطقة العملية، كما قامت قواتهم بالقصف من المزة فانسحب المجاهدون إلى بساتين الغوطة الشرقية بالقرب من جرمانا وعقربا فهوجمت عقربا ومسجدها بالمدافع ولكنه لم يصب بشيء.

ولمعالجة موضوع القوة التي كانت تطلق النار من سطح طاحونة (جلاد ومهايني) فقد كان الأشمر بين أمرين إما أن يهاجم الطاحونة ويحتلها مما قد يعرضها للتدمير فيؤثر ذلك على تموين دمشق بالطحين، أو أن يلجأ إلى أسلوب آخر لا يعرضها لذلك، وقد هداه تفكيره إلى أن يطلب من أخيه محمود الأشمر ـ وكان رامياً مسدداً ـ أن يختبئ ليلاً في قبر يطل على الطاحونة ثم يباغت أفراد القوة صباحاً.

وما إن تمركز الرماة على السطح صباح اليوم التالي حتى أخذ محمود الأشمر يصطادهم واحداً تلو الآخر، واستمر في عمله هذا ثلاثة أيام في كل يوم يفاجئهم من قبر آخر مما اضطر قائد المنطقة إلى طلب هدنة للتفاهم مع قيادة الثورة لوقف النزيف البشري، إلا أن الفرنسيين لم يلتزموا بالاتفاق حيث عادوا لإطلاق النار بعد أن أقاموا على سطح الطاحونة متاريس من الإسمنت.

### ٩ ـ معركة مرج السلطان ٢٥/٥/١٩٢٦:

وما كان لهذه المعركة أن تقع لو أن القادة أعطوا للروية أكثر مما أعطوا وتركوا للحكمة في معالجة الأسباب أكثر مما تركوا، ذلك أن هذه المعركة وإن تكن أسبابها تبرر وقوعها إلا أن هذه الأسباب كانت قائمة على الإشاعة أكثر منها على القناعة، وفيها من الشك أكثر مما فيها من اليقين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صحيح أن بعض شباب الشركس كانوا يتطوّعون في الجيش الفرنسي ولكن ثمة متطوعين من غير الشركس، فقد كان الشباب من العشائر البدوية يفعلون ذلك أيضاً، وكذلك من الشرائح الأخرى التي يتكون منها المجتمع، ومعركة مئذنة الشحم في ١٩٢٦/١/٢٤ وخطف الشيخ طراد الملحم وعدد من رفاقه أكبر دليل على ذلك.

والذي ثبت من اعتراف ضابط الاستخبارات الفرنسي (كوله) الرسمي، أنه قام بدمج بعض العناصر من متطوعي الإسماعيليين والأكراد والدروز والبدو والأرمن في الفريق الشركسي، وكانت هذه العناصر تلبس القلابق الشركسية على رؤوسها ويقومون بأعمال النهب والسلب عند قيامهم بحملاتهم في قرى الغوطة.

وقد تجنّى الناس على الشركس فاتهموهم بهذه الأعمال الشاذة - حيث كان الجميع يلبسون القلبق الشركسي - بينما كان الشراكسة يشتبكون مع هذه العناصر الفاسدة بسبب النهب وارتكاب الفظائع، ويؤكد العارفون ومن كانوا على صلة وثيقة بالمتطوعين والثورة، أن صفات الخير والرحمة كانت متجلية في تصرفات بعض قوات الشركس وضباطهم وقد اشتهروا بالورع والتقى والتعصب للدين والأخلاق والجرأة في الحق[١].

إلا أن الشائعات عندما يتسع انتشارها تغدو وكأنها هي الحقيقة، فلا بد من معالجتها والتعامل معها على أنها كذلك؛ وفي هذا بعض العذر لقادة الثورة وليس كله.

مكان المعركة كان في (مرج السلطان)، وهو قرية في الغوطة

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٥٩.



غالب سكانها من الشركس وقد تطوع بعض شباب القرية في الجيش الفرنسي أسوة بمتطوعي شراكسة القنيطرة والشمال، وانضموا إلى الكوكبات الشركسية بقيادة (كوله) الفرنسي وعثمان بك بشماف الشركسي (كما ضمت فرنسا إليهم متطوعي الإسماعيليين والأكراد والدروز والبدو وألبستهم القلبق الشركسي).

واتخذ الفرنسيون (مرج السلطان) وكراً ومركزاً للانطلاق إلى قلب الغوطة مما جعل المجاهدين يضيقون ذرعاً من موقف أهالي هذه القرية.

وقد بذل المجاهدون عدة وساطات لجعل أهلها يقفون على الحياد، لكن الأمور كانت تجري عكس رغبات المجاهدين، الأمر الذي دفعهم إلى عقد اجتماع في قرية (الحتيتة) حيث قرر القادة الثلاثة مصطفى وصفي، وزكي الحلبي، وشوكة العائدي مهاجمة قرية (مرج السلطان).

علم أهل القرية بما أزمع المجاهدون عليه فرابطت قوة من متطوعي الشراكسة فيها للطوارئ، وجهزت القيادة الفرنسية أهلها بأحدث الأسلحة والعتاد الوافر، حتى أن الفتيات الشركسيات كنّ على استعداد للطوارئ.

قبل مهاجمة القرية بيوم واحد، حضر إمام القرية يركب حماراً أبيض، وتحدث إلى المجاهدين وأبلغهم أن ما اتصل بهم عن موقف أهالي القرية السلبي حيال المجاهدين لا يمت إلى الحقيقة بصلة، ورجاهم أن لا يتعرضوا لهذه القرية بسوء لأنهم أقلية يعيشون في منطقة الغوطة ولا علاقة لهم بالثورة، وأنهم ليسوا مسؤولين عن الأفراد الذين تطوعوا في الجيش الإفرنسي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم توسط الشيخ بركات من وجوه قرية (دير سلمان) بمفاوضة أهالي (مرج السلطان) فتبرعوا بتقديم عشرة بنادق، ووعدوا المجاهدين خيراً بما يرضيهم، فظن الثوار أن أهالي (مرج السلطان) قد انصاعوا لنداء الوطن والواجب، غير أن بعض الحوادث التي وقعت ـ وربما بتدبيرٍ من فرنسا لإفشال وساطة الشيخ بركات وإشعال نار الفتنة ـ أدت إلى التوتر وأظهرت الشركس وكأنهم يريدون غدراً بالمجاهدين[1].

قرر المجاهدون الزحف على (مرج السلطان) فتوافد الثوار من أنحاء الغوطة:

رابط ثوار الشاغور ومئذنة الشحم وأهالي قرية المليحة في شرقي القرية.

ورابط عبد القادر آغا سكر مع رفاقه مع ثوار العمارة في الجهة الجنوبية.

ورابط الشيخ محمد الأشمر في الجهة الغربية.

ورابط ثوار دوما في الجهة الشمالية.

وكان مجموع الثوار (٢٠٠) مجاهد.

كان مع المجاهدين مدفع قام السيد عارف الفارة (أبو محمود) بوضعه في تل الذهب لكنه تعطل بعد إطلاق قذيفتين فقط.

هاجمت المجموعة المرابطة في الجهة الشرقية (ثوار الشاغور والعمارة ومئذنة الشحم) القرية ودخلتها وحرقت بعض البيوت ثم انسحبت تحت وطأة دفاع أهل القرية العنيف، وقد تحصنوا وراء

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٥.



الخنادق والدكوك. واستمرت المعركة زهاء ست ساعات أبدى فيها رماة الشراكسة مهارة فائقة في إصابة الأهداف، وكانت المسافة بين الثوار والقرية زهاء نصف كيلومتر.

وقد استشهد في هذه المعركة علي بن أحمد زنيفة من (حي الشاغور) وأحمد الحرش الملقب بأبي فارس وخيرو الأشقر من (حي الميدان) وإبراهيم شرف الدين من (حي العمارة) وإبراهيم عبد العال من حي (مسجد الأقصاب) وإبراهيم حسحس من (قبر عاتكة) وابن طوي من (المليحة)، كما استشهد متطوع مغربي من الجيش الفرنسي التحق بقوات الأشمر وجرح أسعد اللحام من دمشق وحمزة كاتبه من جرمانا، واستشهد من الشراكسة اثنان وجرح اثنا عشر[1].

وأخيراً ـ وبعد فوات الأوان ـ تغلبت الحكمة على الانفعال ـ فما مضى شهر على وقوع المعركة حتى ذهب الشيخ محمد الأشمر على رأس وفد من قادة الثورة، هم: الشيخ خير غزال والشيخ محمد الخطيب والشيخ محمد الفحل وشفيق سكر وعبد الغني نجيب ومنير الخطيب إلى قرية (مرج السلطان) وقابلوا زعماء الشراكسة وبذلوا كل جهدهم لإزالة سوء التفاهم الواقع بين المجاهدين وأهالي هذه القرية[2].

## ١٠ ـ حرب التطويق وتعدد المعارك وتداخلها من ١٦/٧ ـ ١٠/٨/١٩٢٦:

في هذه الفترة نشبت عدة معارك عنيفة جداً في الغوطة وعلى أبواب دمشق، حتى إنه يمكننا القول بأن الغوطة بكل جهاتها كانت أشبه

(١)و(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٣٨٥ و٣٨٦.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بساحة تدور فيها حرب حقيقية تقف فيها القوة العسكرية الهائلة بما تملكه من دبابات وطائرات ومدافع في جهة، وتقف البسالة والشجاعة وإرادة التحرر والصمود بسلاح آلته قلب صامد، وذخيرته إرادة وتصميم على النصر في الجانب الآخر، حتى أننا لنجد أكثر من معركة تنشب في يوم واحد بمنطقتين متباعدتين من أراضي الغوطة الواسعة، ولكي يكون الأمر واضحاً للقارئ نضع بين يديه أماكن بعض المعارك وتواريخ وقوعها:

معركة كفر بطنا ٢٠ ـ ٢٥ تموز.

معركة عقربا ٢٣ تموز.

معركة الحتيتة ٢٥ تموز.

معركة سقبا ٢٦ ـ ٢٧ تموز.

معركة جرمانا ٣١ تموز.

وكلها عام ١٩٢٦م.

ولئن درج المؤرخون للثورة على بحث كل معركة من هذه المعارك على حدة بعنوان يحمل اسم المكان الذي وقعت فيه فإنني ـ بعد دراسة هذه المعارك والرجوع إلى المصادر التي وثقتها ـ وجدت بأنها جميعها كانت معارك في سياق عملية حربية كبيرة خطط لها الفرنسيون وراحوا ينفذونها وفق المخطط الذي وضعوه، ولم تكن معارك معزولة عن هذه العملية.

ولئن كانت الخطة في أساسها قد هدفت إلى خداع المجاهدين وتوجيه قدراتهم، حيث يريد الفرنسيون تشتيتها ليسهل عليهم تنفيذ هدف الخطة الأساسي بأقل قدر من الخسائر، فإن المجاهدين تنبّهوا لهذا الأمر وأعدّوا أنفسهم للمجابهة حيث وضعوا لكل محور من محاور الخطة الفرنسية من يتصدى له ويقاتل فيه.



وقد اتخذت هذه الحرب اسماً يعبِّر عن أهدافها، حيث اصطلح على تسميتها بـ(حرب التطويق) حيث أن الخطة كانت تهدف إلى تطويق المجاهدين في الغوطة وتدميرهم بالقصف بالمدافع والطائرات ومن ثم الزحف لاحتلال الأرض.

وقد اتخذت القيادة الفرنسية ـ لإنجاح هذه الخطة ـ جميع الاحتياطات والاحتمالات المفترضة، فأحاطت أعمالها بالكتمان ريثما تستقر القوات المعدّة للتطويق في أماكنها المعينة. وقد أوجبت هذه الحيطة تقريب الجيوش من منطقة القتال ونقلها من نقاطها المختلفة بحركات يدل ظاهرها على أن الحملات موجهة إلى أهداف بعيدة عن دمشق كمناطق الحرمون ولبنان الشرقي وحوران، وصدرت الأوامر إلى المسؤولين لتنفيذ هذه الخطة في ١٩٢٦/٧/١٨.

ووفق هذه الخطة فقد أحيطت دمشق بسد من الجيوش يستند إلى التحصينات المشرفة على المدينة من القلاع القريبة[1].

تألفت هذه الحملة التي كان قد أعدّ لها بإتقان بالغ من خمسة جيوش أنيطت بكل جيش منها مهمات محددة وكما يلي:

**الجيش الأول: بقيادة الكولونيل ـ العقيد ـ (غولت) في المنطقة الشمالية الشرقية:**

وهو مؤلف من لوائين من الرماة وكوكبة من فرسان الصباحيين وسرية مدفعية من عيار (٧٥) مليمتر، وقد نصبت مدافع هذا الجيش من مرتفع (ثنية العقاب) وبدأت بقذف قنابلها المدمرة على سهل (عدرا) وأراضي (قصير دوما) و(تل الكردي) تمهيداً للزحف بإزالة خطر كمائن

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤١٨.

المجاهدين، فاضطرت حامية المجاهدين المرابطة في (ثنية العقاب) والمؤلفة من خمسين فارساً بقيادة ممدوح العظم إلى الانسحاب إلى معاقل الغوطة.

**الجيش الثاني: بقيادة الكولونيل ـ العقيد ـ (ماسيه) في الجهة الشرقية:**

وهو مؤلف من كتيبة من الرماة وكوكبة من فرسان المراكشيين، وخمس كوكبات شركسية بقيادة الكابتن ـ النقيب ـ (كوله) وثلاث كوكبات من الحرس السيار.

**الجيش الثالث: بقيادة الكولونيل ـ العقيد ـ (غورو) في الجهة الجنوبية الشرقية:**

وهو مؤلف من لوائين من فيلق المراكشيين وثلاث كوكبات من سلاح الفرسان المراكشي وسرية مدفعية من عيار (٦٥) ملم.

**الجيش الرابع: بقيادة القومندان ـ الرائد ـ (دنيس) في الجهة الجنوبية الغربية:**

وهو مؤلف من لواء من فيلق المراكشيين وكوكبة من سلاح الفرسان المراكشي وسرية مدفعية من عيار (٨٠) ملم.

**الجيش الخامس: بقيادة الكولونيل ـ العقيد ـ (كوكاناس) من الشمال:**

وهو مؤلف من لوائين من الرماة وكوكبة شركسية وسرية مدفعية من عيار (٦٥) ملم[١].

وما إن اتضحت خطة العدو وترتيباته وما بيَّت للثوار من مكائد حتى اجتمع قادة الفصائل الثائرة ورتبوا قواهم واتخذوا

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤١٩.



الإجراءات اللازمة للتصدي والدفاع، غير آبهين بتناقص أعدادهم بسبب نزوح البعض منهم وخروجهم من الساحة بعد سماعهم بهذه الحشود الضخمة وبحيث لم يبق في ساحة المعركة من المجاهدين أكثر من ألف مجاهد جرى توزيعهم على الجبهات الخمس لتواجه الجيوش المحتشدة الخمسة، وبشكل كمائن، وكان ترتيبهم على النحو التالي:

**١ ـ مقابل الجيش الأول: في الجهة الشمالية الشرقية:**

أنيطت مهمة الدفاع عنها إلى ثوار دوما ومسرابا وجوبر والقابون بقيادة محمود خيتي (أبو عمر) ويونس الخنشور وأبو محيي الدين شعبان وأولاد قطاط من جوبر.

**٢ ـ مقابل الجيش الثاني: في الجهة الشرقية (الزور وبالا والغوطة الشرقية):**

أنيطت مهمة الدفاع عنها بالقائد فوزي القاوقجي بالتعاون مع ثوار حماه وحمص والمحافظات الأخرى.

**٣ ـ مقابل الجيش الثالث: الجهة الجنوبية الشرقية:**

أنيطت مهمة الدفاع عنها بالشيخ محمد الأشمر وقد انضم إليه محمد الدرخباني وأبو عبده سكر والأمير عز الدين الجزائري وجماعتهم، وتمتد هذه المنطقة حتى تخوم كفر سوسة.

**٤ ـ مقابل الجيش الرابع: الجهة الجنوبية الغربية من كفر سوسة والمزة إلى داريا:**

أنيطت مهمة الدفاع عنها بالمجاهدين خليل بصلة والشيخ محمد حجاز الكيلاني وسعيد الأظن، والشيخ ديب القديمي وقواتهم.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

**٥ ـ مقابل الجيش الخامس: الجهة الشمالية الغربية:**

أنيطت مهمة الدفاع عنها بثوار الأكراد أبو عمر ديبو وأحمد بارافي وديب الشيخ وأولاد عكاش.

وسارت المعارك بين الطرفين بشكل عنيف أبدى المجاهدون خلاله بطولات فائقة وسجلوا في صفحات الثورة أروعها وأغناها بالبذل والتضحية والفداء.

ولم تكد هذه الجيوش الخمسة تستقر في مساء ١٩/٧/١٩٢٦ على محاورها المرسومة لها لتبدأ الزحف وفق خطة التطويق المقررة حتى تصدت لها مجموعات المجاهدين معترضة طريقها، وكان أشدها ما تعرض له الجيش الخامس بقيادة (كوكاناس) في أراضي برزة والجيش الثالث بقيادة (غورو) الذي اشتبك مع المجاهدين في قرية (الشفونية) على مقربة من قرية (أوتايا)، كما لقيت الكوكبة الشركسية التي يقودها (كوله) في الجيش الثاني مقاومة عنيفة في دير الحجر، وقد سارت المعارك كما يلي:

**أ ـ معركة كفر بطنا:**

وهي إحدى المعارك الكبرى في حروب الغوطة، وقد وقعت يوم ٢٠/٧/١٩٢٦ واستمرت أربعة أيام بلياليها وأبدى المجاهدون فيها من ضروب البطولة ما يعجز القلم عن وصفه.

ففي وضح النهار دخل الجيش الثاني إلى (كفر بطنا) وقامت طائرة إفرنسية بالكشف والاستطلاع فأسقطها المجاهدون في البساتين.

في هذه الأثناء دفع الكولونيل (فان) طليعته في ناحية (عين ترما) فتصدى لها المجاهدون وأوقفوها بنيرانهم الحامية، وكانت معركة حامية قتل خلالها الليوتنان (دوكورسين) فتقدم الليوتنان (أنمار لتلر) ليرفعه فأصابته رصاصات ثلاثة.



وكانت إحدى فصائل الارتباط قد توجهت بقيادة الضابط (كرسكه) نحو الكولونيل (ماسيه) فمزق المجاهدون شملها بغارات عنيفة فاختفت آثارها.

وأتت كوكبة يقودها (غيبار) من قرية (سقبا) فطاردها المجاهدون واضطرت أن تنحرف إلى الجانب الشمالي من (كفر بطنة) فطوقها المجاهدون، وانتشرت الفوضى بين صفوف الوحدات العسكرية التي أصبحت عرضة لنيران المجاهدين من كل الجهات.

بعد ساعة من وصول الحملة الفرنسية إلى (كفر بطنا) بدأ الكولونيل (فان) جولة يطوف خلالها صفوف الرماة، وما هي إلا برهة وجيزة حتى سدد إليه أحد المجاهدين رصاصة أردته قتيلاً، فتولى القيادة الكابتن (دوباليانكور).

وشدد المجاهدون وطأة هجومهم على القوات الفرنسية فزادت الحالة عندئذٍ حرجاً وتعقيداً في صفوف هذه القوات وبدأت حركات اتصال حثيثة بالجيوش الأخرى بعد أن وقع جنود الارتباط في أيدي الثوار فقضوا عليهم.

بعد القضاء على جنود الارتباط انعدم الارتباط والاتصال بين الجنود الفرنسيين الذين أصبحوا محاصرين في (كفر بطنا) وقيادتهم مما أفقدهم الأمل بطلب النجدة، فاضطر الكومندان (دوباليانكور) المرابط مع قواته في الجنوب الشرقي من (كفر بطنا) أن يعتصم مع جنوده في منازل القرية ومسجدها الصغير تحت رحمة المجاهدين.

وكانت كوكبات من الجيش الثاني قد تشتت مساء الاثنين ١٩/٧/١٩٢٦ ما بين أراضي (الشفونية) و(الريحان) فتعقبها المجاهدون بمؤازرة عرب (المعاضيد) وفي طليعتهم المجاهد المغوار (يحيى العلمي) الذي



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سجنه الفرنسيون فيما بعد عشر سنوات في قلعة دمشق بسبب ذلك.

وكانت هذه الكوكبات قد اتجهت تحت ستار الليل نحو قرية (كفر بطنا) للرجوع إلى دمشق - الهدف الأساسي في حرب التطويق - لكن المجاهدين انتبهوا لها، فراحوا وراءها ينقضُّون عليها كالأسود الكواسر تتقدمهم مجموعة من ثوار دوما، فمزقت شملهم بعد معركة عنيفة وشطرتهم إلى شطرين:

**الشطر الأول:** استطاع أفراده الوصول تحت حماية الدبابات والمصفحات إلى دمشق.

**الشطر الثاني:** قطع الثوار عليه طريق الرجعة فالتجأ إلى كفر بطنا وهو الذي اعتصم بمعصرة الزيت والمسجد وبعض المنازل بقيادة (دوباليانكور).

اعتقدت هذه القوات المحاصَرَة في معصرة الزيت والمسجد وبعض المنازل أنها ستكون في أمن حتى الصباح إذ تخرج الحملات الفرنسية لتنقذها من الأخطار، لكن الذي حل بها كان القضاء المحتوم.

اشتد تبادل إطلاق النار بين المجاهدين والقوات الفرنسية المحصورة في جامع (كفر بطنا) واستمر دون جدوى أو أمل في فك الحصار واختراقه مما ألجأ القوة الفرنسية إلى مئذنة المسجد حيث أخذت تصب نيرانها الحامية على المجاهدين.

ومع اشتداد المعارك بدأت النجدات تتوافد من قرى الغوطة القريبة إلى (كفر بطنا) لشد أزر المجاهدين ودعم صمودهم، وفي جنح الظلام تقدم ستة من مجاهدي دوما الفدائيين البواسل لاقتحام المسجد وإبادة من فيه من الجنود الفرنسيين والاستيلاء على أسلحتهم وذخائرهم بعد أن خفَّت ذخيرة المجاهدين فأصيب منهم المجاهد محمد الكبش الدوماني



في يده، فتابع المجاهد المغوار رشيد الخنشور ورفاقه سيرهم نحو المسجد وقبل وصوله صرعته رصاصة في رأسه فخر شهيداً في ساحة المجد والشرف فتقدم شقيقه المجاهد يونس الخنشور فحمله تحت أزيز الرصاص ونقله إلى دوما وبعد دفنه عاد فوراً إلى ساحة المعركة للانتقام والثأر لأخيه.

كان لمصرع الخنشور أثر بليغ بين المجاهدين فاستماتوا وقرروا حرق مئذنة المسجد بمن فيها من الجنود، فاشترك عدد من المجاهدين بهذه المهمة حيث قام قسم منهم بالتسلق إلى سطح المسجد وقام القسم الآخر بقذف القنابل اليدوية على الجامع لتسهيل نزول المتسلقين إلى أرض المسجد. وكان المجاهدون قد استحضروا كمية من (القنب) فجمعوها داخل باب مئذنة المسجد وصبوا عليها البترول فاشتعلت النيران وارتفعت ألسنة اللهب فقذف الجنود الفرنسيون أنفسهم من المئذنة إلى سطح المسجد وتسابقوا في جنون طلباً للنجاة فأبيد أكثرهم بسلاح المجاهدين.

أما الليوتنان (روفيلوا) فقد استطاع القفز مع بعض جنوده من سطح المسجد إلى أرض القرية والالتحاق برفاقهم المحصورين في المنازل مستميتين في المقاومة.

انتهت معركة المسجد في منتصف الليل مُسْفِرَةً عن فناء معظم رجال الحملة الفرنسية، أما المنازل ومعصرة الزيت التي اعتصم فيها الجنود الفرنسيون فقد ضرب المجاهدون حولها نطاقاً محكماً، ثم استحضروا مدفعاً كان بحوزتهم، قام القائد الشهيد حسين المدفعي بإطلاق القذائف منه حتى تداعت جدران المنازل والمعصرة، وكانت المسافة بين الطرفين لا تزيد عن مئتي متر فقام القائد القاوقجي بالمناداة للقائد الفرنسي بصوته وباللغة الفرنسية التي كان يتقنها للاستسلام إلا أنه



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يستجب لذلك فاستمر القتال المستميت من الطرفين حتى يوم ١٩٢٦/٧/٢٣ حيث احتدم القتال فجرح الليوتنان (بيغان) وعدد من رجاله فأيقنوا بالفناء ودام الاشتباك حتى منتصف الليل فقام الجنود يوجهون إلى السماء قذائف خضراء خاصة بالاستغاثة والنجدة من القيادة الفرنسية في دمشق وعندها حلقت طائرة فوق القرية وكشفت مقر القوات العسكرية المحصورة حيث كان أمرها مجهولاً لدى القيادة الفرنسية في دمشق.

وفي الساعة التاسعة من صباح ١٩٢٦/٧/٢٤ أنبأت طائرة أخرى بخروج نجدة إفرنسية من دمشق إلى (كفر بطنا).

وفعلاً فقد تحركت نجدة بقيادة الكولونيل (غورو) ـ قائد الجيش الثالث ـ وكوكبات متطوعي الشركس والرماة والمراكشيون بقيادة الكابتن (كوله) ـ من الجيش الثاني ـ واندفعوا بغارة قوية إلى (كفر بطنا) استطاعت إنقاذ القوات الفرنسية المطوقة، والعودة إلى دمشق، وقد استمرت هذه المعركة أربعة أيام بلياليها وسجلت نصراً عظيماً للمجاهدين[1].

وقد بلغ عدد المجاهدين الذين اشتركوا في هذه المعركة زهاء (٨٥٠) مجاهداً، هم المجاهدون الذين يقودهم القائد فوزي القاوقجي الذين أنيطت بهم مهمة التصدي للجيش الفرنسي الثاني بقيادة الكولونيل (ماسيه) في الجهة الشرقية من الغوطة إضافة إلى القوى التي توافدت إلى (كفر بطنا) من مجاهدي المناطق الأخرى.

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤١٨ ـ ٤٢٢. وكفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٣ ـ ١٥٦. ومذكرات فوزي القاوقجي، ص١٠٢ ـ ١٠٤.



وقد أفسح تحرك الكولونيل (غورو) قائد الجيش الثالث من منطقته نحو (كفر بطنا) لنجدة المحاصرين في مسجدها المجال للشيخ محمد الأشمر الذي أنيطت به مهمة التصدي للجيش الثالث في المنطقة (الجنوبية ـ الشرقية) أن يسارع ـ رغم انشغاله في معركة (عقربا) هو الآخر ـ إلى نجدة قوات فوزي القاوقجي في معركة (كفر بطنا) فوصلها هو والكولونيل (غورو) في اليوم الأخير لاحتدامها وشارك في معارك هذا اليوم مع رفاقه من مجاهدي حي الميدان.

وقد استشهد في هذه المعركة من المجاهدين زهاء عشرين مجاهداً منهم الضابط محمود حمدي السمان شقيق القائد مصطفى وصفي باشا السمان، وكذلك أصيب زهاء أربعين مجاهداً بجروح مختلفة منهم إبراهيم الشيخ الملقب (أبو عجاج).

أما خسائر الفرنسيين فقد أشار البلاغ الفرنسي الرسمي بأنها من القتلى (٤) ضباط و(٦٨) جندياً، ومن الجرحى (٤) ضباط و(١٢٢) جندياً، والحقيقة أن خسائرهم كانت أكثر من ذلك، كما زعم أن عدد المجاهدين الذي سقطوا بلغ (٣٠٠) شهيداً مع عدد من الجرحى[1].

**ب ـ معركة عقربا ٢٣ ـ ١٩٢٦/٧/٢٥:**

في إطار خطة التطويق تحركت في يوم الجمعة ١٩٢٦/٧/٢٣ حملة من جيش الجنوب الثالث الذي أنيطت مهمة التصدي له إلى الشيخ محمد الأشمر ورفاقه من مجاهدي حي الميدان، وتعينت منطقة عملها

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٢٣ ـ ٤٢٤. وكفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٧.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ناحية (جرمانا ـ يلدا ـ ببيلا) وقد كان يقود هذه الحملة اللواء ـ جنرال ـ (ملياند) التابع لفيلق الرماة المراكشية واشتملت حملته على اللوائين الأول والثالث من ذلك الفيلق.

باتت الحملة ليلة واحدة في جرمانا، وفي الصباح اجتمع مجاهدو الجنوب بقيادة الشيخ محمد الأشمر وعبد الغني نجيب (أبو خالد) والدرخباني وعبد القادر آغا سكر وثوار الشاغور بقيادة محمود سلوم وحسن الزيبق، ومئذنة الشحم بقيادة حسن الفوال وعيد أبو الذهب، وقبر عاتكة بقيادة الشيخ محمد حجازي وسعيد الأظن، والصالحية بقيادة عربي شربجي وشقيقه، وباب سريجة بقيادة كامل مسرابا وأسعد اللحام، والقدم وداريا ويلدا وببيلا والمزة بقيادة الشيخ ديب القديمي وشقيقه طالب وخليل بصله وأحمد غازي ومجموعة المجاهدين المشايخ يتقدمهم الشيخ محمد الفحل.

اشتبك المجاهدون مع الحملة الفرنسية إلى غروب الشمس، وقد شدد المراكشيون بقيادة (ملياند) هجومهم على المجاهدين بجميع قواهم وأغاروا بالحراب غارات عديدة وسقط من الفرنسيين قتلى وجرحى كثيرون.

اصطدم المجاهدون مع هذه الحملة الفرنسية عندما تقدمت نحو (عقربا) وقد فاجأها الشيخ محمد الفحل ومعه ثلاثة عشر مجاهداً من المشايخ فاشتبكوا مع الحملة وأوقفوا سيرها مدة ساعتين ثم أتت نجدة من المجاهدين ناوشت الحملة من مؤخرتها.

لما رأى بعض الثوار عنف المعركة انسحبوا وبقي الفحل والشربجي والفوال وصحبهم في وسط جحيم المعركة، ولما أيقن الجند بأن عتاد المجاهدين على وشك النفاذ قابلهم (الفحل) ورفاقه بهجوم وجهاً لوجه، وقد آثر هو ورفاقه الموت على الانسحاب وطبقوا أحكام



الآية القرآنية: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ وقد كان باستطاعتهم الانسحاب والنجاة إلا أنهم آثروا الشهادة والخلود في الجنة فنالوا ما أرادوا من الشهادة[1].

وقد أثار الحماس فيهم وشدَّ من عزيمتهم عندما احتدمت المعركة وبلغت القلوب الحناجر بروز الشيخ محمد الأشمر شاهراً سلاحه وسط المعمعة ساتراً وجهه ـ على عادته في مثل هذه الحال ـ بغطاء أبيض.

لم ينل الشيخ الأشمر الشهادة في هذه المعركة ونالها الشيخ محمد الفحل وعدد من المجاهدين المشايخ.

بعد نفاد الذخيرة من المجاهدين اضطروا للانسحاب فدخل الفرنسيون عقربا بعدما خسر المجاهدون (١٤) شهيداً معظمهم من رفاق الشيخ محمد الفحل.

**ج ـ معركة القدم ١٩٢٦/٨/١٠:**

وقد اشترك في هذه المعركة الرهيبة قادة بارزون مثل: الشيخ محمد الأشمر وسعيد العاص وشوكة العائدي والأمير عز الدين الجزائري والدرخباني وأبو عبدو ديب الشيخ وآل عمر باشا، وقد مُنِيَ الفرنسيون فيها بخسائر كبيرة بلغت زهاء (٥٠٠) جندي بين قتيل وجريح، وسقط من المجاهدين (٢٥) شهيداً و(٣٥) جريحاً تولى أطباء الثورة معالجتهم قدر الإمكان[2].

---

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥. وكفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٦.

(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٣٠. وكفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨، ص١٥٧.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

### د ـ معركة باب الجابية ١٩٢٦/٨/٢٣:

لم يشأ المجاهدون أن يتركوا القوات الفرنسية تنعم بقليل من الراحة بعد تلك المعارك الطاحنة التي خاضتها بجيوشها الخمسة مع المجاهدين في الغوطة من ٧/١٦ ـ ١٩٢٦/٨/١٠، وأن يراودها الظن بأن قوات المجاهدين قد أصابها ضعف يمنعها من معاودة القتال، فصمم المجاهدون على القيام بهجوم استطلاعي يدخلون فيه إلى دمشق ويصطدمون مع القوات الفرنسية داخل المدينة مما يشيع الرعب في نفوس جنودها وهم في معاقلهم وحصونهم ضمن المدينة وتحصيناتها، وكان من المناطق التي تم الاتفاق على مهاجمتها منطقة (باب الجابية).

وفي ١٩٢٦/٨/٢٣ انطلق المجاهدون المرابطون في (قناة رانس) بأرض البساتين المحيطة بالميدان من الجهة الجنوبية الشرقية.

قام الشيخ محمد الأشمر والأمير عز الدين الجزائري وشوكة العائدي بمرافقة المجاهدين حتى بستان الأمير في الشاغور، وبعد أن اطمأنوا إلى سلامة الوضع عادوا إلى مراكزهم تحسباً لأي طارئ مفاجئ.

دخل المجاهدون إلى زقاق البرغل في باب الجابية وناموا ليلتهم في بيت (النشواني) وأمضوا نهار اليوم التالي فيه حتى المساء ليستكشفوا الحالة في دمشق.

انقسم المجاهدون بعد الاستكشاف إلى أربع فرق فتقدم سعيد الأظن ومعه (٢٠) مجاهداً فهاجم مخفر باب الجابية المقابل لسوق (مدحت باشا) وقتل جنوده.

وقام فريق بضرب مخفر (سوق القطن) وهاجم فريق (حي اليهود) وفريق آخر هاجم (قصر العظم) في البزورية.



هاجم الفرنسيون الثوار وتعقبوهم بالحراب وحرقوا سوق مدحت باشا والسكرية وارتد الثوار واجتمعوا في الشاغور حيث قام المجاهد شوكة العائدي والأمير عبد القادر الجزائري بحرق المخفر الكائن في بستان الأمير فاضطر الجنود الفرنسيون تحت وطأة هذا الضغط إلى فتح طريق يمكن المجاهدون من عبوره سالمين والعودة إلى مراكزهم[1].

### هـ ـ ضرب قطار حوران ١٩٢٦/٨/٢٥:

كان القطار المصفح الذي يسيره الفرنسيون ما بين حوران ودمشق يقدم لهم خدمات كبيرة من حيث الإمداد بالذخائر والمعدات الحربية ونقلها وكذلك نقل الجنود والضباط ورجال الدولة.

وقد سبق للشيخ محمد الأشمر أن تصدى لهذا القطار وهاجمه من خلال ثغرة أحدثها في (الدك) الذي يفصل (زقاق الشربجي) في حي (الميدان الفوقاني) عن البساتين التي يمر القطار المصفح منها. وقد غنم المجاهدون الميادنة بقيادة الأشمر في هذا الهجوم أسلحة وذخائر كثيرة وزعوها على الفصائل الأخرى كما شرحنا ذلك في الصفحة (١٠٥) من هذا الكتاب.

على أن هذا القطار لم ينقطع عن أداء مهماته الخطيرة في تأمين عمليات النقل للقوات الفرنسية، وكان لا بد من التعرض له وتدميره، لذلك تم عقد اجتماع للزعماء والقادة في بستان باكير القريب من حي الميدان وقرروا مهاجمة القطار وتدميره، وقد اشترك في هذا الهجوم الأمير عز الدين الجزائري وفوزي القاوقجي ورفاقهما، وزكي الحلبي ورؤساء المنطقة الشمالية للغوطة وقسم كبير من مجاهدي حي الميدان بزعامة الشيخ محمد الأشمر وعبد القادر مليشو وسعيد العاص ورفاقه

---

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٣٥.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورؤساء المنطقة الجنوبية للغوطة وشوكة العائدي ورفاقه وبعض الأكراد مثل أحمد البارافي ورفاقه وأبو محيي الدين شعبان ورفاقه.

امتطى المجاهدون خيولهم في الوقت المناسب واجتازوا المسافة من بستان باكير إلى حوش الريحان حيث اتخذوا القناة المارة منه متاريس لهم كما بقي قسم من المجاهدين متمكناً في أرض براح وآخرون تحت ظلال الأشجار الوارفة لمعالجة كل طارئ بما يناسبه.

ولما توازى القطار مع المجاهدين المرابطين في القناة أَصْلَوه بنيرانهم مجتمعين، فأسرع سيره وقام الجنود الذين فيه بإطلاق نيرانهم على المجاهدين وتسديد رشاشاتهم عليهم.

ولم يكتف المجاهدون بمهاجمة القطار وإنما قاموا ليلاً بقطع الأسلاك الهاتفية والبرقية وحطموا ما يزيد عن (١٥٠) عموداً من أعمدة البرق وقطعوا المواصلات بين دمشق وحوران من الجسر حتى محطة القدم ثم عادوا إلى بستان باكير الذي انطلقوا منه وقضوا ليلتهم فيه[1].

كانت هذه المعركة التي حصلت في ١٩٢٦/٨/٢٥ آخر معركة ـ فيما نظن ـ من المعارك القليلة التي أعقبت حرب التطويق، تلك الحرب التي خطط لها الفرنسيون بعناية فائقة وجهزوا خمسة جيوش بكامل عدتها وعتادها من الدبابات والمدافع والطائرات والسيارات المُصَفَّحة والرشاشات والقنابل الهجومية وقنابل الإشارة بالألوان الخضراء وكافة أنواع الذخيرة وصنوف الجند من خيالة ومشاة وطيارين وقادة دروع ومصفحات والتي ظلت مستمرة من ١٩٢٦/٧/١٦ ـ ١٩٢٦/٨/١٠.

بعد هذه المعركة انسحب من الساحة من انسحب وغادر إلى

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٣٦.



الأردن من غادر، وبقي في الغوطة من بقي يتابع الجهاد بعزيمة لا تكل وهِمَّة لا تعرف الوهن، وكان الشيخ محمد الأشمر ممن استمروا في المرابطة والقتال حيث خاض عدة معارك أخرى قبل مغادرة الغوطة إلى عمان لإعادة تنظيم العمل الثوري من جديد وكانت مغادرته بعد ١٩٢٦/١٠/٢٦ بعد أن ساهم في التخطيط للمعركة التي قرر فيها المجاهدون الدخول إلى قرية (داعل) في حوران[1].

وبصدد خروج الثوار إلى الأردن فإن ثمة خطأ وقع فيه الأستاذ أدهم آل جندي في كتابه الذي أَرَّخ فيه للثورة السورية في عهد الانتداب الفرنسي ـ وهو كتاب جيد حفظ للأجيال كثيراً من صفحات هذه الثورة المشرقة ـ لسنا ندري له سبباً إلا أن يكون سهواً غير مقصود في التحقق من الواقعة ومقارنتها زمانياً مع غيرها.

هذا الخطأ هو أن الأستاذ أدهم آل جندي يذكر في الصفحة (٤١٢) من كتابه أن كلاً من الشيخ محمد الأشمر وعبد القادر سكر ورفاقهما من المجاهدين قد انسحبوا إلى قرية الطيبة تاركين مراكزهم عشية يوم الأحد ١٩٢٦/٧/١٨ فلم يبق في الغوطة من المجاهدين سوى (٢٢٠) مسلحاً من أصل (٦٠٠٠) مجاهد، وأن السبب الذي دعا الشيخ محمد الأشمر للانسحاب هو معلومات وصلت إليه من فواز باشا وحديثة الخريشة والشيخ عودة أبو تايه ومن اللجنة المركزية للثورة في عمان بأنهم يجهزون قوة عظيمة لمساعدة المجاهدين، وأنه أزمع السفر إلى الأردن لتنفيذ هذا العمل.

إلا أن الأستاذ أدهم آل جندي يثبت وقائع تواجد الشيخ محمد الأشمر في أرض المعركة حتى ١٩٢٦/١٠/٣، فهو في معركة كفر بطنا

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٤١.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي امتدت من ٢٠ ـ ٧/٢٥ وهو في معركة عقربا ١٩٢٦/٧/٢٣.

لقد كان على الأستاذ أدهم آل جندي أن يعطي لعملية التدقيق في تاريخ خروج الشيخ الأشمر إلى الأردن من الأهمية ما يكفي لنفي هذا الزعم أو لتأكيده على الوجه الصحيح الذي تم فيه، فقد خرج الأشمر فعلاً إلى الأردن بعد ١٩٢٦/١٠/٢٦ عن طريق (الطيبة) ثم إلى قرية (جاسم) ثم وصل إلى الموقع المسمى بـ(الشلالات) في الأردن حيث اجتمع ـ كما يقرر الأستاذ أدهم آل جندي نفسه ـ بالمجاهدين الذين تجمعوا في ذلك المكان وكانوا زهاء (١٥٠) مجاهداً للعمل على تجهيز فصائل جديدة والنزول بها إلى الغوطة وتجديد المعارك فيها[١].

كما أنه كان في مقدمة وفد شكّله المجاهدون في (الشلالات) مؤلف من الشيخ الأشمر ويونس الخنشور والشيخ ديب القديمي لمقابلة اللجنة الوطنية من السادة حسن الحكيم وعادل العظمة والحاج عثمان الشراباتي حيث عقدوا جلسة حضرها أيضاً شكري القوتلي وعبد الرحمن الشهبندر وفوزي ونسيب البكري للتداول في أمر تأمين المال اللازم لاستمرار الثورة[٢].

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٤٢.
(٢) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٤٣.



## المرحلة الثالثة ـ بين ثورتين

أعني:

١ ـ الثورة السورية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧.

٢ ـ ثورة الشيخ عز الدين القسَّام في فلسطين عام ١٩٣٥.

وما كان للشيخ محمد الأشمر الذي نذر نفسه لأداء فريضة الجهاد في سبيل الله أن يقعد عن أداء هذه الفريضة أنَّى وحيثما يؤذِّن مؤذنها ويدعو إليها مناديها.

وهو مذ غادر غوطة دمشق بعد ١٩٢٦/١٠/٢٦ إثر تتابع الانسحابات بين المجاهدين وقادتهم بسبب الظروف الملجئة إلى ذلك وبسبب الحالة التي وصل إليها المجاهدون من قلة الإمداد سواء بالمال أو بالعتاد وما إلى ذلك، فإنه لم يغادرها تركاً للجهاد وإنما لإعداد حملة أخرى مجهزة بكامل الأسلحة اللازمة ليعود بها إلى الغوطة مرة أخرى ويستأنف القتال بعزيمة أشد وهِمَّة أقوى، ولهذا نراه ـ أول ما نراه ـ حين وصل إلى الأردن يعقد اللقاءات ويجري الاتصالات سواء مع الزعماء السوريين الموجودين قبله هنالك أمثال: (حسن الحكيم ـ عادل العظمة ـ شكري القوتلي ـ عبد الرحمن الشهبندر ـ فوزي البكري ـ نسيب البكري) في مقدمة وفد من زعماء المجاهدين (يونس الخنشور ـ الشيخ أديب القديمي) للتداول في تأمين المال اللازم لاستمرار الثورة أو مع المجاهدين أنفسهم حيث تجمع في موقع (الشلالات) الأردني زهاء (١٥٠) مجاهداً ليكونوا طليعة الفصائل الجديدة التي عمل على إعدادها



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتجهيزها للعودة إلى الغوطة أو مع زعماء أردنيين أمثال (فواز باشا البركات ـ حديثة الخريشة ـ الشيخ عودة أبو تاية) الذين كانوا يقدمون خدماتهم للثورة.

ولم تكن مغادرة الشيخ الأشمر إلى الأردن رغبة لديه ومحاولة للخروج من ساحة القتال بحال من الأحوال، فلقد كان من المُصَرِّين على المرابطة مهما قست الظروف ومهما اشتدت الصعاب، ولقد كان يعمل ـ ما استطاع ـ على إعاقة انسحاب مجموعات المجاهدين، ومن ذلك ما قام به هو ورفيقه المجاهد عبد الغني نجيب من منع مجاهدي العمارة الذين كانوا يرابطون معه في المرج من اللحاق برئيسهم ديب الشيخ الذي كان قد سبقهم إلى جبل الدروز، ولما حاولوا ذلك اضطر الشيخ محمد الأشمر وعبد الغني نجيب إلى تجريدهم من سلاحهم وخيولهم.

وبهذا توقفت حركة النزوح ولو إلى فترة قصيرة[1].

ولنعرض الآن لحياة الشيخ محمد الأشمر من عام ١٩٣٥ حيث قضى شطراً من هذه الفترة في الأردن وشطراً في وطنه سورية. إلى أن لبى نداء الجهاد المقدس في فلسطين.

**أولاً: الشيخ محمد الأشمر في الأردن:**

الرياح لا تجري دائماً بما تشتهي السفن فما إن وصل المجاهدون إلى الأردن حتى واجهتهم عقبات من نوع جديد ذلك أن إنكلترا التي كانت قواتها هي التي تحمي الإمارة الوليدة التي أنشأها الأمير عبد الله

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٤١.



في شرقي الأردن كان يهمها أن تقدم لحليفتها في الحرب ضد ألمانيا وتركيا وشريكتها في اتفاقية (سايكس ـ بيكو) خدمة من خلال وضع العقبات والعراقيل بوجه خطط المجاهدين أمثال الشيخ محمد الأشمر للعودة إلى سوريا واستئناف الثورة، وقد ظهرت هذه العقبات منذ اللحظة الأولى ذلك أن هؤلاء المجاهدين ما إن وصلوا إلى أراضي الأردن حتى اعترضتهم السلطة فيها باعتبارهم يشكلون قطعة حربية وطلبت إليهم تسليم أسلحتهم، وفي مثل هذه الحالة كان على المجاهدين إما العودة من حيث أتوا وهم تحت نظر الإنكليز حلفاء الفرنسيين أو أن يذعنوا لما طلب إليهم فيلقوا بأسلحتهم. وما كان للثوري وليس من أخلاق الثوار في أي ثورة كانت تسليم السلاح بهذه السهولة، وكان طبيعياً أن يكون الرد بالرفض مهما تكن النتائج وهذا ما فعله المجاهدون.

وهنا ـ فيما يبدو ـ بدأت المساومة للخروج بحل، فكان أن تقدم المجاهدون بطلب اللجوء السياسي فمنحوا ذلك بشرط عدم الدخول إلى الأماكن المعمورة بشكل جماعي، وأنزلوا في أراضٍ قريبة لقرية (الطيرة) فيها نهر ماء وبعض أشجار ويطلق على هذه الأرض اسم (الشلالات).

وبعد تمركز المجاهدين في هذا الموقع أخذ الشيخ محمد الأشمر ورفيقاه في الجهاد عبد القادر سكر وعبد الغني نجيب وآخرون يعقدون الاجتماعات للعمل على تجهيز مجموعات جديدة للنزول بها إلى الغوطة وتجديد المعارك[1].

على أن العودة إلى الغوطة ثائراً رغم كل المحاولات التي بذلها لم تتيسر له فانخرط في ثورة أردنية ضد الفرنسيين قوامها عربان الأردن والغوطة وتقدر بـ(٦٠٠) مسلح اتخذوا (درعا) نقطة عسكرية لهم وأحياناً

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٤٤٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانوا يتمركزون في اللجاه حيث يوجد فيها الأمير عادل أرسلان[1] فكانوا يشنون - عبر الحدود الأردنية - حملات ضد الفرنسيين في أراضي حوران الغربية من الأردن.

**ثانياً: الشيخ محمد الأشمر بعد عودته إلى دمشق:**

عاد الشيخ محمد الأشمر إلى دمشق عام ١٩٣١ بعد صدور العفو العام ليبدأ في وطنه نشاطاً من نوع مختلف، إنه نشاط اجتماعي يعم نفعه الناس ويوطد العلاقات الحسنة بينهم، فكان بيته محجة هؤلاء الناس يفزعون إليه لمساعدتهم في حل خلافاتهم ومنازعاتهم، وسأسوق مثالاً على ذلك الحادثة التالية:

بعد توقف الثورة، لم ييأس الشعب السوري من التعبير عن مقاومته للاحتلال بطرق أخرى، ومن ذلك كان التظاهر في الشوارع والساحات والسير إلى دور الحكومة ومقر المفوض السامي وإطلاق هتافات الاحتجاج على المظالم والجور الذي يعاني منه المواطنون.

وكان طلاب الجامعات والمدارس عصب هذه المظاهرات وطليعتها ينضم إليها من ينضم من الفئات الشعبية الأخرى.

وفي إحدى هذه المظاهرات قام بعض المتظاهرين برشق إحدى الثكنات العسكرية التي كانت موجودة في شارع النصر بدمشق ببعض الحجارة والمفرقعات فلجأت السلطات الفرنسية إلى قمع المظاهرة واعتقال بعض المتظاهرين، وكان منهم (الطالب عمر أرناؤوط)، والمجاهد (أبو أحمد النونو)[2]، وقد توسطت الحكومة المحلية لإطلاق سراح المعتقلين فلم تفلح في ذلك.

---

(١) تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٥٦١.

(٢) المجاهد (أبو أحمد النونو) اسمه الحقيقي (بدري العكام) و(النونو) لقب أطلق=



وفي اليوم التالي دخل مضافة الشيخ محمد الأشمر في حي الميدان عشر نساء من أمهات وبعض زوجات المعتقلين يصطحبن بعض الصبية وطلبن من الشيخ العمل على إطلاق سراح أبنائهن وأزواجهن فلم يعتذر الشيخ الأشمر لهن.

ولم يتنصل من واجبه الاجتماعي وقد لجأن إليه.

ولم يتعلل بأن الفرنسيين ربما لا يستجيبون له باعتباره كان ثائراً يحاربهم.

ولو اعتذر وتنصل وتعلل لكان ذلك مبرراً منه، فكيف له أن يطلب من الفرنسيين الذين كانوا يلاحقونه هو بالذات - باعتباره قد شهر السلاح ضدهم ثائراً، ولم يَكُفُّوا عن ملاحقته إلا بعد صدور قانون العفو - أن يطلقوا سراح معتقلين تظاهروا ضدهم وقذفوا إحدى ثكناتهم في قلب العاصمة دمشق وفي أبرز شارع من شوارعها هو شارع جمال باشا - النصر حالياً - وإخراجهم إلى بيوتهم وردهم إلى ذويهم دون أي عقاب؟

لكنه الشيخ المجاهد أبداً، فإن تعذر استمرار الجهاد بالسلاح فلن يعدم حيلة الجهاد بالحنكة والحيلة والدهاء، وكان ذلك.

ومن خلال علاقاته الاجتماعية الواسعة كان يعرف أقدار الرجال كما كان يعلم لمن تحسب فرنسا من بينهم حساباً، ذلك أن بعض

---

= عليه وكان يعرف به أثناء الثورة السورية، وهو من مواليد دمشق ١٨٨٧ توفي عام ١٩٤٩ وكان قد تخرج من المدرسة الحربية في استانبول وساهم في دعم الثورات والحركات الوطنية. وهو والد صديقنا قائد الشرطة والمحافظ سابقاً والمحامي حالياً الدكتور أحمد العكام وتكريماً لجهاده فإن محافظة مدينة دمشق أطلقت اسمه على شارع رئيسي يبدأ من ساحة التحرير بدمشق.

الرجال ـ على بغضهم لفرنسا وعدائهم لها وعملهم ضدها سراً وجهاراً ـ لهم في أمتهم من القدر والمكانة ما يمنع فرنسا من أن تستنفرهم فوق نفورهم منها وتستعديهم أكثر من عدائهم لها، وهي تتحين الفرص للظهور أمامهم بالمظهر الذي تظن معه أنه يقربها منهم أو يقربهم منها.

من هؤلاء الرجال كان الشيخ عبد القادر المبارك، رهط بين العلماء، بليغ بين الخطباء، عفيف الكف، نظيف الذيل، مطاع الكلمة مهاب أينما سار وأينما جلس.

ومن رفاقه وعلى طريقه وسننه الشيخ أحمد القاسمي، الفقيه، المفسر، المحدث، المؤرخ.

تحدث إليهما الشيخ محمد الأشمر وانتدبهما للذهاب معه إلى الجنرال (كوليه) فلم يتأخر الرجلان واستجابا لما ندبا إليه.

كانت خطة الشيخ محمد الأشمر تتألف من شقين:

**الشق الأول**: أن يعتذر الوفد عن ارتشاف القهوة عندما تقدم لهم، وهذا من العادات والأعراف العربية الأصيلة لإجبار المضيف على الاستجابة لطلب الضيف، وإلا اشتهر بين الناس أن (قهوته لا تشرب) وهذا عيب كبير يلحق به، وقد اتفق مع الشيخ عبد القادر المبارك والشيخ القاسمي على ذلك.

**الشق الثاني**: أنه اتفق مع أهل الموقوفين على أن يتجمهروا في ساعة معينة ـ يكون الوفد فيها مجتمعاً مع (كوليه) ـ أمام مقر المفوضية الفرنسية وإحداث نوع من الجلبة ومحاولة الدخول إلى المفوضية للاحتجاج، ولم يعلم الشيخين المبارك والقاسمي بهذا.

وعندما دخل الوفد والتقى بـ(كوليه) سهى الشيخان عما طلبه الشيخ محمد الأشمر فاحتسيا القهوة عندما قُدِّمت، فلم يبق من خطة الأشمر إلا انتظار تنفيذ الشق الثاني.



وما إن بدأ الحديث يدور بين الوفد والجنرال (كوليه) حول دواعي المقابلة حتى بدأ (كوليه) يسمع أصوات جلبة وهرج ومرج، ولما تساءل عن الذين يحدثون هذه الجلبة أجابه الأشمر بأن هؤلاء هم أمهات وآباء الموقوفين وأبناؤهم وطلب إليه أن يطلق سراحهم وأنه هو والشيخين عبد القادر المبارك والشيخ أحمد القاسمي لن يعودوا بدون إطلاق سراحهم.

قال (كوليه): هذا تهديد علني بالثورة.

قال الأشمر: نحن لا نقاتلكم إلا بعد أن ننذركم، فإن لم يطلق سراحهم فإننا ذاهبون إلى الغوطة لمقاتلتكم.

وفي محاولة لإجهاض مثل هذا الاحتمال الذي لمح إليه الشيخ الأشمر فإن كوليه آثر الاتصال مع المفوض السامي الموجود في بيروت هاتفياً بحضور الوفد.

وعندما لاحظ الشيخان المبارك والقاسمي أن الجو أخذ بالتوتر تدخلا لتلطيفه بأحاديث الحكمة والتعقل، فأتى جواب المفوض السامي في بيروت بالموافقة على إطلاق سراح الموقوفين وملاطفة أعضاء الوفد[1].

---

(١) هذه الحادثة يرويها الأخ محمد ابن الشيخ محمد الأشمر، وللتأكد فقد سعيت إلى الأخ المجاهد عمر أناؤوط (أبو فواز) وكان ممن ورد ذكرهم بأنه كان على رأس المهاجمين للثكنة في شارع النصر، وأبرز المعتقلين الذين سعى الأشمر لإطلاق سراحهم فأكد لي هذه الرواية كما سعيت إلى الصديق العزيز الدكتور أحمد العكام قائد الشرطة والمحافظ سابقاً والمحامي حالياً فأكد لي هذه الرواية كما سمعها من والده المجاهد بدري العكام.

## المرحلة الرابعة ـ في ثورة فلسطين

### أولاً: لمحة عن ثورة العام ١٩٣٥:

لم تكن الحالة في فلسطين تحت الحكم البريطاني بأحسن منها في سوريا تحت الحكم الفرنسي، ولما ثارت سورية أكثر من مرة ضد الفرنسيين وفي كافة المناطق حتى نهاية عام ١٩٢٧، فإن شعب فلسطين كان يلاقي من الإنكليز نفس المعاناة ويضيق بهذا المحتل الغاشم لأرضه أبلغ الضيق.

وكان الجهاد عقيدة يؤمن بها المسلم الفلسطيني طريقاً إلى الجنة، ولذلك لم يكن أمراً عجباً أن يتحرك للثورة عالم مسلم أتى (حيفا) من مدينة (جبلة) في الساحل السوري، هذا الثائر الذي تحرك كان الشيخ عز الدين القسام.

كان الشيخ القسام يلتقي إخوانه ـ الذين كان يصطفيهم ويختارهم لثورته بعناية ـ في بيته بعد صلاة العشاء، أو في المسجد بعد صلاة العصر.

ولم يكن أحد يدري ماذا تصنع هذه العصبة المؤمنة، وكل الذي يعرفه الناس من حولهم أن الشيخ القسام إمام الجامع، يصلي بالمسلمين ويجتمع إليهم ويجتمعون إليه.

كان الشيخ في اجتماعاته وحلقاته يشرح لأتباعه ومريديه الخطر الذي يهدد وطن الإسلام ـ حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين



الشريفين، وموطن الإسراء والمعراج ـ ويبيّن كيد الإنكليز أعداء الإسلام وكيف أن هذا الخطر قد استفحل ولم يعد هنالك مفر من دفعه بالجهاد. وأن الجهاد ـ في مثل هذه الحالة ـ فريضة الله على عباده.

ولم يكن موضوع الجهاد عند الشيخ القسام مجرد دعوة فكرية حماسية، تبث في محاضرة أو تلقى في خطاب بليغ بل كان الجهاد ـ وهو كذلك ـ يعني السلاح والمعركة، وكان هو قد حمل السلاح وخاض المعارك ضد الفرنسيين في شمال سوريا. ونزح بعدها إلى فلسطين لاجئاً ينتظر دوره في تحرير فلسطين.

بلغ أتباع القسام خمسين رجلاً كلهم من عامة الناس، إلا أنهم كان يجمع بينهم الإيمان والعزيمة. حتى إذا ما آنس فيهم ذلك قام بتدريبهم على استعمال السلاح، كما قام يجمع لهم بعض المال من أهل الخير والإحسان، كل ذلك في كتمان تام. حتى عن (الزعماء) الكبار والصغار... وكان عددهم في البلاد كبيراً.

تواعد الشيخ وأتباعه الخمسون وتعاهدوا على الخروج في سبيل الله، وكان لقاؤهم في أحراش يعبد والشيخ على رأسهم مدجَّج بالسلاح يتّصل بالقرويين ويحضهم على الجهاد[1] ليخوض مع الإنكليز المعارك المشرفة، ويروي أرض فلسطين بالدماء الطاهرة الزكية.

وما إن وصل خبر تواجد القسام وأتباعه في أحراش يعبد إلى السلطة البريطانية حتى جنّدت قوة عسكرية ضخمة أخذت تجول خلال الأحراش وتتنسم أخبار هذه العصبة المؤمنة لتقضي عليها قبل أن يستفحل أمرها وخطرها...

---

(١) أحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، دار النهار للنشر، بيروت، ص١٤٥ ـ ١٤٦.

وفي صبيحة يوم الأربعاء ١٩٣٥/١١/١٠ طوّقت القوات البريطانية الشيخ عز الدين ورفاقه ونشبت المعركة بين الطرفين شديدة وقاسية قبل أوانها ومن غير تكافؤ فسقط الشيخ عز الدين شهيداً، وسقط معه اثنان من رفاقه، يوسف الزيباوي من قرية الزيب، وحنيفة المصري من غابة شفا عمرو، وقبض على الباقين بين جريح وكسير [(١)].

إن التأمل في ما تنطوي عليه ثورة القسام يبرز لنا بوضوح المعاني الرفيعة التي تجسَّدت فيها، ولعلنا في عرض بعض من هذه المعاني نقدم للأجيال الحاضرة والمقبلة ما يقوى من عزيمتها ويشحذ من همتها ما تقوى به على الاستمرار في الثورة.

فلئن رحل الاحتلال البريطاني فإنه قد ترك البلاد لمحتلّين آخرين أكثر منه غطرسة، وأشرس منه في المكابرة على اغتصاب الأرض، والفتك بأبنائها في حرب عنصرية يندى لها جبين الإنسانية ما دام على وجه الأرض منصف إنهم محرّفو التوراة، وقتلة الأنبياء الذين اغتصبوا الديانة اليهودية من المؤمنين بها حقاً وصدقاً فحرفوها أبشع تحريف وانحرفوا باسمها أشنع انحراف.

هذه المعاني تتجلى في ما يلي:

١ ـ أن الإسلام دين جهاد، يستهين معه المؤمن بحياته في سبيل الله، وهكذا كانت عصبة القسام المؤمنة، لا أمل لواحد منهم في جاه ولا مطمع في منصب، بذلوا حياتهم تاركين الدنيا وزخرفها مقبلين على الآخرة بعزيمة وإرادة وقدم ثابتة في أرض المعركة، تعرف الكر دون الفر، تعشق الإقدام وتجهل الإحجام.

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٤٦.



٢ ـ أن الإيمان المطلق بأن المؤمن لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن للحياة أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، جعل من هؤلاء المجاهدين البسطاء أبطالاً يمنحون البطولة أسمى مراتبها ويعطونها أقدس معانيها.

٣ ـ أن مصير المسلم مرتبط بمصير الإسلام في أرض الإسلام، وهو على أرض العروبة إنما يجاهد عن قدسية الاختيار الإلهي لأرض العرب مهداً للرسالة وللعربي محمد بن عبد الله رسولاً للإنسانية جمعاء.

٤ ـ أن الجهاد في سبيل الله هو أعلى مراتب الجهاد وأن الموت في سبيل الله هو أعلى مراتب الفداء وأوفى لعهد البيع، بيع الأموال والأنفس بالجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهذا هو القسام الإمام العالم، لم يقتصر على الخطابة والتدريس تحت قبة المسجد، ولكنه حمل السلاح على كتفيه، وحزام الذخيرة يلتفُّ على خصره، تماماً كما فعل العلماء والزهاد في ضاحية دمشق عندما قاتلوا الصليبيين وكما قاتلوا التتار.

من أجل ذلك كان شاعر العربية الشيخ فؤاد الخطيب على حق كل الحق حين رثاه بقصيدته الرائعة:

أولت عمامتك العمائم كلها ... شرفاً تقصر عنده التيجان
إن الزعامة والطريق مخوفة ... غير الزعامة والطريق أمان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة ... في الخلد، لاعنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت ... فرحاً، وهش مرحباً رضوان [(١)]

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٤٨. وانظر «النقد والبيان في رد أوهام خزيران» تأليف القسام والقصاب، تحقيق زهير الشاويش، طبع المكتب الإسلامي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## ثانياً: بدء ثورة ١٩٣٦:

لكن انتهاء حركة القسام على هذه الصورة واستشهاد القسام نفسه مع رفيقيه يوسف الزيباوي وحنيفة المصري ما كان إلا الجذوة التي ستشعل الثورة في كافة أنحاء فلسطين.

كان توافد المهاجرين بأعداد ملفتة للنظر سبباً مباشراً لقيام الفلسطينيين بالحد الأدنى الذي يستطيعونه من أساليب الكفاح والجهاد ألا وهو الإضراب.

وتناقلت الأخبار حقيقة رهيبة هي اكتشاف شحنة ضخمة من الأسلحة والذخائر معبئة ضمن حاويات الإسمنت المستوردة من بلجيكا، وفوق كل ذلك اكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة المكدَّسة في جوف الأرض في المستعمرات اليهودية.

أمام هذا لم يعد أمام الشعب الفلسطيني إلا أن يهب في حماس وغضب ليعلن الإضراب ليوم كامل احتجاجاً على الهجرة اليهودية والأسلحة اليهودية، وكان إضراباً عفوياً تداعى له الشباب بالتلفون من بلد إلى آخر.

وفي ١٥ نيسان ١٩٣٦ تحول الأمر من إضراب إلى مواجهة، فقد تصدَّت جماعة من المسلحين العرب لسيارة يهودية، وقتلت ثلاثة من ركابها وجرحت الباقين.

في الليلة التالية قتل اليهود اثنين من العرب بجوار إحدى المستعمرات اليهودية، وبدأت الأحداث تتوالى في هجمات مسلَّحة بين العرب واليهود، وقد وقع معظمها ـ بادئ الأمر ـ في قطاع يافا تل أبيب.



وكان اليهود ـ في أوائل نيسان ـ قد أقدموا في يافا على إحراق المنازل في الأحياء القريبة من تل أبيب فحصلت مصادمات أدَّت إلى وقوع عدد من القتلى والجرحى، الأمر الذي حرَّك جمعية الشبان المسلمين في يافا لمواجهة الموقف حيث سعى رئيسها السيد علي الدباغ إلى تأليف لجنة من جميع الأحزاب للإشراف على الحركة الوطنية، ثم قام بإجراء الاتصالات مع باقي المناطق يطلب إليها تأليف لجان مماثلة وإعلان الإضراب[١].

استجابت المناطق سريعاً وكان أبرز الاستجابات تلك التي حصلت في ٢٥ نيسان ١٩٣٦، حيث اتفقت الكلمة على تأليف (اللجنة العربية العليا) لتقود العمل الوطني في كافة أنحاء البلاد، وكان تأليفها على الشكل التالي:

| | |
|---|---|
| الحاج أمين الحسيني | رئيساً |
| أحمد حلمي عبد الباقي | أميناً للمال |
| عوني عبد الهادي | سكرتيراً |
| جمال الحسيني | رئيس الحزب العربي |
| راغب النشاشيبي | رئيس حزب الدفاع |
| الدكتور حسين الخالدي | رئيس حزب الإصلاح |
| عبد اللطيف صلاح | رئيس حزب الكتلة |
| يعقوب فراج | عن المسيحيين الأرثوذكس |
| الفرد روك | عن المسيحيين الكاثوليك |

وكان أول عمل لهذه الهيئة، هو إصدار بيان باستمرار الإضراب إلى أن يتم وقف الهجرة[٢].

(١)و(٢) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، دار النهار للنشر، بيروت، ص١٥٠ ـ ١٥٢.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا استكملت الثورة الشعبية شكلها التنظيمي، لتبدأ مرحلة من الجهاد والمواجهة، حيث راحت المجموعات الشعبية الثائرة تقطع أسلاك الهاتف وتنسف الجسور، وتهاجم القطارات، وتلقي القنابل حيثما وجدت هدفاً بريطانياً أو يهودياً.

ثم امتدّت الحركات المسلحة إلى المستعمرات اليهودية وقوافل الجيش البريطاني في صدامات حادّة راح ضحيَّتها عشرات الشهداء ومئات الجرحى.

وكان أقل ما لجأت إليه السلطات البريطانية إعلان قوانين الطوارئ، والقيام بحملات الاعتقال، وإنشاء المعتقلات في (عوجة الحفير) و(صرفند) تزج فيها المئات من الشباب العاملين في الحركة الوطنية وعدداً من أعضاء اللجان القومية، وحين اكتظّت المعتقلات ولم تعد تتَّسع للمزيد، قامت السلطات بتطبيق نظام الإقامة الجبرية على الكثيرين من رجالات البلاد في أماكن نائية[١] مثل سمخ والحمة قريباً من الحدود السورية والأردنية.

**ثالثاً: أصداء الثورة لدى المجاهدين السوريين:**

ولم تكن الأحداث في فلسطين لتمر هكذا بما فيها من مصادمات بين الفلسطينيين من جهة والقوات البريطانية والعصابات اليهودية من جهة أخرى دون أن تجد لها صدى لدى السوريين الذين سبق لهم أن خاضوا مثل هذه المعارك والمصادمات مع القوات الفرنسية. وكان أبرز الذين هبُّوا لنجدة إخوانهم في فلسطين؛ فوزي القاوقجي ومنير الريس والشيخ محمد الأشمر ومعه سعيد العاص.

---

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٥٥.



لم يكن تحرك القاوقجي والأشمر ثمرة اتفاق مسبق بينهما، ذلك أن القاوقجي كان في بغداد، والأشمر كان في دمشق، إلا أن الشعور بالمسؤولية والاستجابة لدواعي العمل ضد ممارسات الاحتلال التي لا يمكن لشعب أبيّ أن يتحمَّلها تجد دوافعها لدى الأحرار المؤمنين بحقوق أمتهم أينما كانوا وحيثما وجدوا. لذلك فليس غريباً أن يتزامن التحركان تحرك القاوقجي وتحرك الشيخ محمد الأشمر.

**أما القاوقجي:**

فقد كانت تشغله قضيتان: قضية الاحتلال الفرنسي لسورية وقضية الاحتلال الإنكليزي لفلسطين، ودعم هذا الاحتلال لليهود وفتح أبواب الهجرة لهم والتغاضي عما يخزِّنونه من أسلحة وذخائر بل ومساعدتهم على ذلك.

كان القاوقجي يفكر بثورتين ويخطِّط لهما: الأولى في سورية والثانية في فلسطين وكان من المقرر البدء بسورية أولاً لأسباب كثيرة، منها أن تكون سورية بعد نجاح الثورة فيها قاعدة لتنفيذ الثورة الثانية في فلسطين.

لكن الحوادث في فلسطين استفحلت وجرفت كل مجهود آخر ولم يعد بالإمكان تجنُّبها أو الحيلولة دونها، وكان من حسن الحظ أن الأضراب الذي كان يعم الأراضي السورية والذي استفحل أمره بعد (٥٤) يوماً قد ألجأ الفرنسيين إلى طلب وفد للمفاوضة في باريس على أساس عقد معاهدة تضمن للسوريين أمانيهم، مما أعطى القاوقجي فرصة للالتفات نحو تنفيذ الخطة المتعلقة بثورة فلسطين[١] وكان يساعده في خطواته رفيقه وصديقه في الثورة السورية المجاهد منير الريس.

---

(١) مذكرات فوزي القاونجي، ص١٤٣.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## أما الشيخ محمد الأشمر:

فإنه لما رأى ما آلت إليه ثورة الشيخ عز الدين القسام، فإنه أراد أن يقف إلى جانب إخوانه في العروبة والإسلام على أرض فلسطين. وقد وصل إلى علمه أن ثمة مفرزة يقوم بتجهيزها المجاهد منير الريس فتم الاتصال معه، إلا أن اللقاء بين الرجلين لم يسفر عن شيء، ذلك لأن لكل طريقته في العمل، خاصة وأن منير الريس كان يعمل من خلال الخطة التي كان وضعها المجاهد فوزي القاوقجي وتحت إمرته، وهذا يدل على عدم وجود اتفاق مسبق بين الاثنين القاوقجي والأشمر.

خرج الأشمر يعمل على استنفار الناس لنجدة فلسطين، فجاب حوران وعمان واتصل مع من عملوا معه في الثورة السورية، فاستطاع أن ينتقي بضعة وعشرين شاباً من مدينة دمشق مدربين على حمل السلاح وقادرين على استخدامه، ثم انضم إليه القائد سعيد العاص وأبو أنور سلطان من عمان وعملوا معاً.

وللتنسيق مع القيادات الفلسطينية فإن الشيخ محمد الأشمر اتصل مع المفتي الشيخ أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا، التي كانت قد تشكَّلت وبرزت كقيادة عليا في فلسطين في ١٩٣٦/٤/٢٥، فأمن له الشيخ أمين الحسيني مئة واثنين وخمسين بارودة أعيدت إليه بعد انتهاء الثورة.

اجتاز الشيخ محمد الأشمر مع رفاقه القائد سعيد العاص، وأبو أنور سلطان، والمجموعة من المجاهدين الذين التحقوا بهم الحدود السورية الأردنية سراً من قرية (تل شهاب) التي كان قد حل فيها ضيفاً على آل المناشفي وقيصر من أهالي حي الميدان، والذين سهَّلوا له ولجماعته مهمَّة اجتياز الحدود.



وكانت جماعة القاوقجي بقيادة منير الريس قد حاولت اجتياز الحدود عن طريق الحمة وسمخ ولكنها فشلت بذلك، وكان القائد فوزي القاوقجي قد أرسل إلى المحامي أحمد الشقيري - وهو من رجالات فلسطين الذين أبعدتهم السلطات البريطانية إلى منطقة سمخ ثم الحمة ووضعتهم تحت الإقامة الجبرية - يعلمه بأنه يقود قوات من المجاهدين للدخول إلى فلسطين، ويطلب منه - إن أمكن - مراقبة ضفاف الأردن واليرموك إلى أن تدخل قوات المجاهدين إلى البلاد حيث قام الشقيري بدعوة رفيقيه يوسف الفاهوم وصالح عون الله وكلَّفهما بالقيام بهذه المهمَّة باعتبارهما أكثر منه خبرة بهذه المنطقة، فقاما بذلك أحسن قيام[1] لكن العبور من هذه المنطقة كان عسيراً.

قام الشيخ محمد الأشمر بمساعدة جماعة القاوقجي الذين كان يقودهم منير الريس، على اجتياز الحدود من النقطة التي عبر منها الأشمر وجماعته فوصلت الجماعتان جماعة الأشمر والعاص وجماعة القاوقجي والريس معاً عند الفجر إلى قرية (سما الروسان) بالغرب من إربد في شرقي الأردن حيث استقبلهم زعيم عشيرة الروسان (سليمان باشا السودي).

وقد استشعر الشيخ الأشمر أن ثمة اتصالات تجري مع (سليمان باشا) هذا والملك عبد الله وحكومة إربد بضغط من السلطات البريطانية لإرسال قوة إلى (سما الروسان) لإلقاء القبض عليهم، فسارع إلى الرحيل مع مجموعة المجاهدين والتوجُّه إلى موقع في وادي العرب، ومن ثم توجه إلى منطقة (زور الغور) مقابل (بيسان).

---

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٥٧.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما أن حطَّ المجاهدون رحالهم في هذه المنطقة للاستراحة حتى ظهرت في سمائها طائرة بريطانية تستكشف مواقعهم، وطال تحوام الطائرة أكثر من ساعة فوق رؤوسهم فقرَّر الشيخ محمد الأشمر الانسحاب إلى منازل (الغزاوية) القريبة منهم مع جماعته الدَّمَاشِقَة وحَلُّوا ضيوفاً على أمير (الغزاوية)؛ الأمير محمد صالح.

ومن عَمَّان أرسل المجاهد عادل العظمة إلى الشيخ محمد الأشمر ـ بواسطة قائد منطقة إربد صدقي القاسم ـ بضعاً وعشرين بندقية مع العتاد والذخيرة، وبهذا اكتمل تسليح هذه المجموعة من المجاهدين.

وبتوجيه من الأمير الشيخ محمد صالح الغزاوي تَمَّ عبور الأشمر وجماعته نهر الشريعة في وسط النهار فأصيب عدد من الرجال بـ(ضربة الشمس) فهب الأعراب في الضفة القريبة من الشريعة لعلاجهم باللبن والثوم. ثم تابع الرجال طريقهم فوصلوا إلى (طوباس) بالقرب من (نابلس) ثم وصلوا ليلاً إلى قرية (رابا).

في قرية (رابا) التقى الأشمر وجماعته مجدداً مع بضعة وسبعين شاباً عراقياً أوفدهم فوزي القاوقجي من بغداد، ثم توجه الجميع إلى قرية (الجديدة).

وبمقدم المجاهدين السوريين وعلى رأسهم القاوقجي والأشمر والعاص اشتد ساعد الثورة الفلسطينية، ونشبت المعارك بينهم وبين القوات البريطانية، وكان أهل القرى كلما علموا بإحدى المعارك هبوا لنجدة الثوار فيطوقون القوات البريطانية ويَصْلُونَها ناراً حامية.

وهكذا اندلعت الثورة المسلحة في كل أرجاء البلاد وأصبحت



تُعْرَفُ بأسماء مواقعها فكانت معارك (بلعة) و(بيت امدين) و(دير شرف) و(جبع) و(عزون) و(ترشيحا)[1].

وبسبب اشتداد الثورة وتأثيرها في إرباك القوات البريطانية فقد قامت سلطات الاحتلال هذه باستدعاء قوات إضافية لإخماد الثورة بلغت خمسين ألفاً من الجنود بأسلحتهم الكاملة، ومنها أسراب الطائرات، وعينت على رأس هذه القوات الجنرال (ديل) مدير العمليات والاستخبارات في وزارة الحربية البريطانية.

فشلت القوات البريطانية في إخماد الثورة وأنزل المجاهدون العرب بقيادة القاوقجي والشيخ محمد الأشمر وسعيد العاص ومنير الريس خسائر جسيمة في صفوف العدو في الأرواح والسلاح، وقد سقط الشهداء بالعشرات من أبناء الأمة العربية إلى جانب رفاقهم الفلسطينيين، وفي معركة (الخفر) سقط المجاهد سعيد العاص[2] الذي دخل فلسطين مع الشيخ محمد الأشمر.

كانت المعركة مع البريطانيين تتخذ مسارين بارزين:

**المسار الأول**: هو القتال بالسلاح بين مجموعات الثوار السوريين والعراقيين الذين يقودهم القاوقجي والشيخ محمد الأشمر، ورفاقهما.

**المسار الثاني**: الإضراب المستمر الذي شل جميع مرافق الحياة سواء في الصناعة أو الزراعة أو التجارة.

وللتخلص من هذا المأزق الذي وقعت فيه سلطات الاحتلال البريطانية فإن الحكومة في لندن راحت تجري الاتصالات مع الزعماء

(١)و(٢) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٥٧ و١٥٨.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العرب - الذين لم يستفيدوا من التجارب السابقة في التعامل مع الإنكليز وخداعهم للعرب وعلى رأسهم أمير مكة الشريف حسين - والضغط عليهم للعمل على إيقاف الإضراب وأعمال القتال لقاء وعود (معلقة) من (الصديقة) بريطانيا.

وأثمرت هذه الجهود في إقناع الملك عبد العزيز والملك غازي والإمام يحيى والأمير عبد الله بدعوة الشعب الفلسطيني إلى (الإخلاد إلى السكينة وإنهاء الإضراب).

وبمساع من هؤلاء الملوك والأمراء أصدرت الهيئة العربية العليا بتاريخ ١١/١٠/١٩٣٦ نداءً دعت فيه إلى إنهاء الإضراب والإخلاد إلى السكينة[1].

بعد هذا البيان لم يعد بإمكان المجاهدين العرب الذين قَدِمُوا إلى فلسطين ثائرين البقاء فيها ما دامت القيادة الفلسطينية نفسها ممثلة بالهيئة العربية العليا طلبت وقف الأعمال والخلود إلى السكينة حيث استجاب الشعب لنداء الهيئة فتوقف الإضراب وعادت الحياة عادية في التجارة والزراعة والصناعة وجميع المرافق الأخرى بانتظار نوايا - (صديقتنا) - الحكومة البريطانية ورغبتها (المعلنة) لتحقيق العدل.

بعد فترة وجيزة خرج من فلسطين القائد فوزي القاوقجي وقواته المسلحة.

وبعد خروج القاوقجي خرج المجاهدون السوريون وعلى رأسهم الشيخ محمد الأشمر[2] وهدأت الحالة وتوقفت الثورة وهي لم تكمل

(١) وانظر مراسلات الملك عبد العزيز مع علماء عصره، التي جمعها الشيخ زهير الشاويش، وقدمها إلى دارة الملك عبد العزيز آل سعود في الرياض، وانظر «الملحوظات على الموسوعة الفلسطينية» للشيخ الشاويش.

(٢) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٥٨.



عاماً واحداً بعد القسَّام ليعود القساميون إلى الثورة من جديد في أيلول عام ١٩٣٧[1].

## رابعاً: أمثلة من المعارك التي خاضها الأشمر في فلسطين:

بعد أن قَدَّمنا آنفاً الوصف العام لاشتراك المجاهدين السوريين في ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ وفي مقدمتهم الشيخ محمد الأشمر، فإننا نعرض على سبيل المثال لبعض المعارك التي خاضها هذا المجاهد الصامت في هذه الثورة.

### ١ ـ معركة (بلعا):

في نهار الأول من شهر أيلول ١٩٣٦ وصل المجاهدون إلى بلدة (بلعا) التي يطل واديها على طريق للسيارات بين (حيفا) و(تل أبيب) ولا يبعد كثيراً عن (طولكرم) وهي مبنية على رأس جبل[2].

ولا بد لليهود المسافرين بين (حيفا) و(تل أبيب) من سلوك هذا الطريق وبشكل قوافل من السيارات تحرسها المدرعات البريطانية.

تفقد قادة المجاهدين فوزي القاوقجي ومحمد الأشمر ومنير الريس وخالد القنواتي المنطقة فتعرفوا على مداخل ومخارج القرية، وتضاريس وطبيعة الأرض المحيطة بها ثم تم وضع الخطة لبدء باكورة أعمالهم القتالية.

رابطوا على السفح المطل على الوادي المحاذي لطريق السيارات مشكلين خطاً دفاعياً طوله أكثر من كيلومترين، وقد تمركز في هذا الخط في الجانب الأيمن الشيخ محمد الأشمر وسعيد العاص ومنير الريس مع

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص١٧٣.

(٢) يورد اسم هذا الجبل في «مذكرات القاوقجي» بأنه جبل (جرش) ص١٤٣.

بقية السوريين، وتمركز المجاهد الفلسطيني فخري عبد الهادي مع المجاهدين الفلسطينيين على الجانب الأيسر، وتمركز العراقيون في القلب.

تم توزيع هذه القوة بشكل مجاهدين اثنين في النقطة الواحدة يفصل بينهما وبين من يليهما عشرون متراً أو أكثر قليلاً، وكانت الغاية من هذا التنظيم هو تأمين إسعاف من يصاب في المعركة من قبل رفيقه الذي معه. وكذلك فإنه إذا صدر أمر بالانسحاب يغادر أحدهم النقطة ويثبت الثاني في خط النار حتى يتمكن الأول من التمركز خلفه ثم يلحق الثاني به.

أرسل القاوقجي بضعة مجاهدين فلسطينيين فتمركزوا على تَلٍّ مُشْرِفٍ قائم في (فم السواري) ويسيطر على طريق السيارات، ومهمتهم التحرش بالقافلة وبعد ذلك عليهم الالتحاق بإخوانهم في خط الدفاع.

وبالفعل أقبلت القافلة من (حيفا) تتقدمها المدرعات البريطانية وتسير بينها وخلفها، وما إن أطلق الرجال المرابطون على التلة بضع طلقات حتى انطلقت الرشاشات ومدفعية المدرعات تدوّي. ولدى انسحاب الفلسطينيين من التلة تنفيذاً للخطة قامت القوات البريطانية باحتلالها وأخذت تطلق النار بكثافة على المنسحبين. وما هي إلا برهة قصيرة حتى أقبلت ثلاث طائرات فحلقت فوق الوادي فقابلها المجاهدون بإطلاق النار عليها، وتم إسقاط طائرتين من الطائرات الثلاث أسقط واحدة المجاهد الدمشقي محمد سعيد النجار ولم تتأكد معرفة المجاهد الذي أسقط الثانية بينما لاذت الثالثة بالفرار لا تلوي على شيء[1] ثم

(١) يورد تاريخ هذه المعركة في «مذكرات القاوقجي» على أنه في الخامس والعشرين من شهر آب. ص١٤٣.



جاءت النجدات للعدو بالسيارات التي كانت تقطر المدفعية خلفها ترافقها آليات أخرى للحماية.

حاولت القوات البريطانية القادمة للنجدة أن تجتاز الوادي فتصدى لها المجاهدون في خط الدفاع الذي كان المجاهدون قد أقاموه في المنطقة التي حاول العدو العبور منها مما حال بينه وبين تنفيذ المحاولة، فاستنجد بقوات جديدة تدعمها في هذه المرة الطائرات التي راحت تلقي قنابلها من علو شاهق خشية إسقاطها برصاص المجاهدين.

وتوافدت النجدات فلم تمضِ ساعة أو ساعتين حتى صار المجاهدون يواجهون جيشاً بريطانياً كبيراً بآلياته المختلفة.

نفدت ذخيرة الجناح الأيسر الذي كان بقيادة المجاهد فخري عبد الهادي والمؤلف من مجموعة المجاهدين الفلسطينيين مما اضطرهم إلى الانسحاب، مما شجع البريطانيين على محاولة الالتفاف حول المجاهدين الآخرين وتطويقهم، إلا أن هؤلاء المجاهدين لم يمكنوهم من ذلك حيث انسحبوا في الوقت المناسب وتمكنوا من الصعود إلى جبل شاهق ليتوجهوا نحو بلدة (بلعا) وبساتينها، بعد أن غنموا رشاش (برن).

واستشهد في هذه المعركة تسعة من المجاهدين على رأسهم محمود أبو يحيى لرفضه الانسحاب ووصفي المعصراني وكلاهما من أبطال الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين.

وخسر البريطانيون بضعة ضباط وأكثر من مئة عسكري بين قتيل وجريح عدا خسائر اليهود من قتلى وجرحى القافلة.

بعد هذه المعركة تم عزل قائد الجيش البريطاني في فلسطين، كما تم إحضار فرقتين آليتين من جزيرة قبرص لتدعيم القوات البريطانية في فلسطين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

**٢ ـ معركة (جبع):**

توالت الأحداث مسرعة، ونشبت عدة معارك أخرى كان أبرزها معركة (جبع) حيث كان القتال فيها شديداً أبرز تصميم المجاهدين على الصمود بوجه القوات البريطانية المحتلة وتكبيدها كثيراً من الأضرار في العتاد والأفراد ولا أدل على ذلك من حجم الخسائر التي تكبدها العدو في هذه المعركة التي شارك فيها الشيخ محمد الأشمر على رأس المجاهدين من دمشق إلى جانب المجاهدين الآخرين حيث تجاوزت خسائر البريطانيين المئة قتيل وجريح في حين لم يتجاوز عدد المصابين من المجاهدين بضع شهداء وبعض الجرحى.

**٣ ـ معركة (بيت مرين):**

وهي من المعارك الضارية التي شارك فيها المجاهدون الدمشقيون بقيادة الشيخ محمد الأشمر إلى جانب المجاهد عبد الحميد المرداوي زعيم مجموعة المجاهدين الفلسطينيين في هذه المعركة وهو ممن شاركوا من قبل في الثورة السورية الكبرى.

وكانت نتائج هذه المعركة استشهاد بضع عشرة مجاهداً وجرح عدد مماثل كان من بينهم المجاهد الدمشقي خالد القنواتي الذي أصيب بجروح بليغة، أما المجاهد عبد الحميد المرداوي فقد سقط شهيداً في هذه المعركة فكان واحداً من أبطال جبل نابلس المسمى بـ(جبل النار).

**خامساً: إنهاء الثورة وانسحاب المجاهدين:**

فشلت القوات البريطانية في إخماد الثورة، وأنزل المجاهدون العرب بهم خسائر جسيمة في العتاد والأرواح. وسقط الشهداء بالعشرات، وكانت أفدح الخطوب استشهاد البطل المجاهد سعيد العاص رفيق الشيخ محمد الأشمر في ثورة فلسطين هذه، ففاوضوا على الإعداد



لها . . . . ودخلا فلسطين معاً وخاضا المعارك فيها معاً، وكان استشهاده في معركة (الخضر) وما زال ضريحه هنالك يزار إلى جانب ضريح البطل القائد عبد القادر الحسيني الذي سقط شهيداً في معركة القسطل عام ١٩٤٨.

وعندما أيقنت بريطانيا استحالة تمكنها من السيطرة على فلسطين من خلال المعارك بالحديد والنار لتصميم المجاهدين على الموت في سبيل حقوق البلاد والعباد في التحرر والاستقلال، فإنهم لجؤوا إلى أسلوب آخر تمثل بإقناع الملوك والأمراء العرب بالضغط لوقف الثورة مستعملين مع كلٍّ منهم ورقة ضغط تهدد مصالحه ومصالح بلده، لذلك أصدر كل من الملوك والأمراء الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي ملك العراق والإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن والأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن والملك فاروق ملك مصر رسالة ناشدوا فيها الشعب الفلسطيني بالتخلي عن السلاح وإنهاء الكفاح المسلح لأن بريطانيا وعدتهم بدراسة مطالب الفلسطينيين وحل مشاكلهم وإعطائهم حقوقهم إن هم جنحوا إلى السلم والهدوء.

وقد صدقت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني ما ورد في هذه الرسالة فأصدرت نداءً في الحادي عشر من شهر تشرين أول سنة ١٩٣٦ تدعو فيه الشعب والمجاهدين إلى الخلود للسكينة.

بعد هذا البيان بفترة وجيزة خرج من فلسطين القائد فوزي القاوقجي وقواته المسلحة، أما الشيخ محمد الأشمر فقد رفض الخروج وإلقاء السلاح فظل يعمل على أرض فلسطين إلى أن رأى أن المجاهدين الفلسطينيين أنفسهم قد عادوا إلى مدنهم وقراهم بعد أن قاموا بـ(طمر) أسلحتهم وعتادهم تحت الأرض حيث وجد نفسه وحيداً في خضم بحر



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الأعداء فقرر الانسحاب فكان آخر من خرج من ساحة القتال والجهاد في فلسطين[1].

### سادساً: بين الأمس واليوم:

لا يمكن لمن يقرأ تاريخ ثورة ١٩٣٦ إلا أن يقف عند الأسباب التي أدت إلى توقفها وهي في ذروة نشاطها وفي ذروة انتصارها على قوة كبرى لدولة كانت - إذ ذاك - أكبر دولة استعمارية في العالم وأقواها، دولة خرجت من الحرب العالمية الأولى ترفع على رأسها أكاليل النصر.

وكان مجرد صمود المجاهدين في ثورة ١٩٣٦ أمام هذه القوة العاتية يمثل انتصار بحد ذاته سواء تمكن المجاهدون من تحرير أرضهم أم لم يتمكنوا، ذلك أن أية مقارنة بين طرفي المعركة لا يمكن أن يكون لها سبب يبرر إجراءها، فلا السلاح يوازي السلاح، ولا التدريب يوازي التدريب، ولا الإمداد بالمال والعتاد يوازي الإمداد بالمال والعتاد، ولا وسائل الاتصال توازي وسائل الاتصال، كل شيء مختلف وبشكل مذهل وبفارق كبير جداً جداً ولصالح البريطانيين، ومع هذا فإن مجموعات صغيرة من المجاهدين - خرجوا من الفلسطينيين أنفسهم وهبَّ لمساعدتهم مجموعات أخرى أتت من البلاد العربية المجاورة لو جرى تعدادها لما بلغت في أحسن الأحوال تعداد فرقة واحدة من فرق القوات البريطانية المحتلة - استطاعت التصدي لهذه القوات الجرارة والصمود بوجهها، وفي أحيان كثيرة إلحاق الضرر البالغ بها سواء في الأرواح أو في المعدات.

---

(١) أخذت المعلومات الواردة بخصوص اشتراك الميدانيين وفي مقدمتهم الأشمر بثورة ١٩٣٦ من عدة مصادر أبرزها: مذكرات: سعيد العاص، منير الريس، نزيه المؤيد ومن أفواه عدد من الثوار أمثال: سطام شيخ أكرم، رمضان دربازة، أبو مصطفى اللحام، نسيب البكري، منير ومحمد الخطيب وغيرهم، إضافة إلى مذكرات القاوقجي والشقيري.



وحين لم تستطع قوات الاحتلال هذه من وضع حدٍّ لهذه الثورة، وحين لم تتمكن من إشاعة الهدوء والسكينة في فلسطين بكل ما قامت به من أعمال عسكرية ضد المجاهدين فإنها لجأت إلى أسلوب المراوغة والخداع مستغلة طيبة قلب يتصف بها العربي وصدق سريرة يتصف بها المسلم ووفاء بالعهد يلتزم به من نشأ في أمة تزرع في عقيدة أبنائها حب الوفاء بالعهود.

وقد نجحت هذه الوسيلة حين صدَّق الملك عبد العزيز والإمام يحيى والملك غازي والملك فاروق والأمير عبد الله وُعُودَ هذه الدولة المستعمرة - بريطانيا - في أنها (ستنظر بطلبات الفلسطينيين ورغبتهم بالاستقلال وتقرير المصير إن هم خلدوا إلى السكينة والهدوء)، وصدَّقت ذلك الزعامة الفلسطينية بقيادة الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا، حيث تَمَّ توجيه النداء إلى الشعب الفلسطيني والمجاهدين للهدوء والسكينة وإلقاء السلاح، فكان أن ألقي السلاح وساد الهدوء وانتشرت السكينة، دون أن تُنَفِّذ بريطانيا الدولة الكبرى من وعودها شيئاً. فكان سلاح المكر والخديعة أمضى بيدها من الطائرة والدبابة والمدفع.

وما كان لهذه الثلة من الملوك والأمراء، وما كان للهيئة العربية العليا أن تمنح هذه الدولة العاتية فرصة استعمال هذا السلاح أبداً. ذلك لأن تنكُّرها لوعودها التي كانت أعطتها للبيت الهاشمي بزعامة الشريف حسين بن علي فيما عرف بمراسلات (حسين - مكماهون) كان ماثلاً على الأرض ولما يتم الفراغ من رسمه بعد، حيث استبدلت بهذه الوعود - التي وقف العرب بسببها إلى جانب بريطانيا وفرنسا في الحرب وثاروا بسببها ضد العثمانيين - اتفاقاً ثم التخطيط له بعناية بين (سايكس وبيكو) على هدى من حاجة استعمارية ملحَّة لتنفيذ وعد (بلفور) بعد توسيع ألفاظه وتحميلها من المعاني ما لا تحمله ولا تتحمَّله بشكل من الأشكال أو بصورة من الصور.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما كان لهؤلاء الملوك والأمراء أن يستجيبوا للوعود البريطانية فقد جربوها ولكنهم استجابوا....

وما كان لهم أن يوجُهوا النداء قبل أخذ الضمانات الأكيدة لتنفيذ الوعود؟ ولكنهم وجَّهوا النداء....

وغالب الظن أنهم كانوا يعلمون في بريطانيا مكرها وغدرها.

وغالب الظن أنهم كانوا يدركون ويعرفون الضرر الذي سيلحقون بالثورة وبالقضية التي فجَّرتها.

ولكنهم كانوا يخشون ـ فيما يغلب فيه الظن ـ أن تهدد بريطانيا مصالحهم في استمرار جلوسهم حيث يجلسون، فلقد كانت السلطة ـ بكل إغراءاتها ـ هي التي ترسم لهم ما يفعلون وما لا يفعلون. فراهنوا في ذلك على استمرار علاقة الصداقة مع بريطانيا ولم يراهنوا على التلاحم بينهم وبين شعوبهم ولو فعلوا ذلك لتحققت مصالحهم ومصالح شعوبهم معاً. ولكانوا قادة بحق وزعماء بصدق، ورجال أمَّة يحتلون ـ برغبة الأمة ـ مركز الزعامة منها والقيادة.

وما أشبه الأمس باليوم....

ثورة بكل ما تعنيه الثورة.... ناشبة في فلسطين المحتلَّة اليوم....

وجهاد بكل ما يعنيه مفهوم الجهاد في سبيل الله.... يرسم فرسانه بدمائهم قصة الموت، طريقاً إلى الجنة... وقصَّة الحياة الكريمة يهبها الله لعباده بطلب الموت...

أطفال يمارسون فن البطولة بالحجارة... جهاداً في سبيل الله...

ونساء جعلن أكبادهن صواريخ وقنابل وألغاماً... جهاداً في سبيل الله.



وشباب ما عرفوا طفولة في سن الطفولة... ولا عرفوا كهولة في سن الكهولة بعد... ولا فتنتهم الرغبات ولا غرَّتهم الشهوات... يقتحمون ساحات الموت بصدور مكشوفة. ورؤوس مرفوعة. يتسابقون إلى الجنة سراعاً، ينسفون البغي والبغاة الذين يدنِّسون الأقصى الذي باركه الله وبارك ما حوله نسفاً. ويُفَجِّرُون قواعده تفجيراً، بما شحنت به أجسادهم الغضة من قذائف غضب استحال إلى نار ثأراً لدين خطط العدو لتدميره والقضاء عليه.... جهاداً في سبيل الله.

وإلى جانب كل ذلك:

ملوك وأمراء... يتلقون (رغبات وتمنيات) من الدولة الصديقة الكبرى (أمريكا) أن يعملوا على تهدئة الأوضاع وعلى إقناع الفلسطينيين ـ باللين أو بالشدة ـ لوقف مسيرة الجهاد،لتتمكن هذه الصديقة من (محاولة حل القضية بالطرق السلمية)، التي قد تؤدي إلى منح الفلسطينيين حقاً يتيح لهم العيش في بلادهم غرباء،.... فما أشبه اليوم بالأمس.

إن أقصى ما نستطيعه هو أن نُوَجِّه إلى الملوك والأمراء... نداءً نتوسل فيه إليهم أن يمتنعوا عن توجيه أي نداء بوقف هذه (الثورة ـ الانتفاضة). وأن يكونوا على مستوى المراكز التي يَتَبَوَّؤُونَهَا وعلى مستوى قضايا الأمة التي يقودونها، ويهبوا لنصرة الثورة وإمدادها بالسلاح والمال... فإن لم يكونوا على ذلك قادرين ـ لأسباب يرونها وظروف دولية يراعونها ـ فليلوذوا هم بالهدوء ولينأوا بأنفسهم عن أن يكونوا وسطاء في قضية تتعلق بتاريخ أمة. وكرامة أمة، وطموحات أمة. ولينحازوا إلى جانب الحق الذي اغتصب من أخوتهم في فلسطين انحيازاً يبرئهم من مظنة مساعدة العدو بحيادهم وسعيهم وراء سراب خادع يظنونه ماءً. وضباب يظنونه سماءً. ولهم في (صديقتهم أمريكا)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خير مثال في (انحيازها الصريح) إلى جانب العصابة المجرمة المغتصبة، رغم إجرامها واغتصابها ودون مراعاة لأبسط قواعد النزاهة التي يجب أن يتصف بها الوسيط. وليثقوا بأن النصر بيد هؤلاء الأطفال... وهؤلاء النساء... وهؤلاء الشباب وهؤلاء الكهول الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله بأن لهم الجنة... ولا تنفع أمام هؤلاء المجاهدين ولن تجدي في مواجهتهم كل أموال وأسلحة (أمريكا) وكل أساليب الإسرائيليين في المكر والخداع. ذلك أن الاختلاف كبير جداً بين من يقاتل طلباً للموت... ومن يقاتل حرصاً على الحياة...

❀ ❀ ❀



## المرحلة الخامسة ـ المضافة

## تاريخ مجتمع وذاكرة حي

بعد عودة الشيخ محمد الأشمر من فلسطين عقب الهدوء الذي آلت إليه ثورة عام ١٩٣٦ استجابة للنداء الذي وَجَّهَهُ الملوك والأمراء العرب آنذاك والذي تبنته الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني على الوجه الذي ذكرناه آنفاً، فإن حياة الشيخ محمد الأشمر اتَّخذت منحى آخر فيه من الثورة والجهاد روحهما التي لا تخبوا أبداً في نفس ألف الجهاد حتى أصبحت وعاءه وأصبح دمها وماءها.

ولئن اقتضت الظروف التي نشأت في بلاد الجهاد مثل سوريا وفلسطين أن تَتَوقَّفَ المجابهة بالسلاح وتغيب عن الساحة صورة المعارك الدامية بين المجاهدين وقوات الاحتلال البريطاني في فلسطين، ومن قبله الاحتلال الفرنسي في سورية. فإن المجاهدين انصرفوا إلى نوع من الجهاد لا يقل في أثره عن جهاد المعارك الرائعة التي سجَّلتها دماء الشهداء في صفحات التاريخ المجيد لهذه الأمة.

ذلك أن هؤلاء المجاهدين أصبحوا ـ بما كانوا يمثلونه من قيم البطولة والفداء ـ خير سفر تقرؤه الأجيال الناشئة لتكوين وعي سليم بالحقوق المغتصبة وفهم عميق لما يقع على كواهلهم من مسؤوليات لبقاء روح الثورة غالبة في النفوس، وبقاء الرغبة في الشهادة في سبيل الله أغلى الأماني.

وأصبحت بيوت معظم قادة المجاهدين ملاذ الناس من مختلف



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفئات والطبقات يؤمونها في كل مناسبة. يؤمها البسطاء ليشعروا بقربهم من (البطل) الذي لم تفتنه بطولته عن تواضعه بأنه منهم وأنه كان في المعركة يمثلهم ويؤدي الفريضة عنهم وبأنهم رفاقه وإخوانه وأن من حَقِّهِ عليهم أن يلتفوا حوله ولا يتركوه أبداً، فالمجاهد الصادق ما كان يوماً ولا يكون متعالياً على الناس مترفعاً فوقهم.

ويؤمها الفقراء لينالوا - بقربهم من (البطل) الذي لم تفتنه الدنيا ببريق ذهبها وفضَّتها وإغراء لينها ورخائها عن كرم نفسه وسخاء كفه - من عنايته بهم ما يُخَفِّفُ من بلاء الفقر وعناء الصبر بالكلمة الطيبة حيناً وبالسعي لدى القادرين على البذل والعطاء أحياناً كثيرة.

ويؤمها علية القوم ووجهاء الناس يتبادلون مشاكل الوطن وقضايا الأمة ويقترحون لها الحلول، يرفعونها إلى السلطات القائمة مساهمة منهم في خدمة البلاد والعباد.

ويؤمها... ويؤمها... من كل طبقة وفئة من طبقات وفئات المجتمع، لكل همومها ولكل حاجاتها ورغباتها.

ومضافة الشيخ محمد الأشمر كانت الأكثر شهرة بين تلك المضافات، والأكثر تميُّزاً بما كانت عليه من الحركة الدائبة حتى أضحت - وبحق - أكثر من مضافة، لقد كانت مع ما تتَّصف به المضافات من كرم أشبه شيء بمنتدى تمتزج في جنباته مناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية.

كل ذلك كان يفرض على الشيخ الأشمر أن يكون على صلة بكل المجموعات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والشخصيات ذات التأثير الفاعل في المجتمع، وإذا كانت نشأته الإسلامية - في مسجد ركن الدين مريداً للشيخ أمين الزملكاني في مرحلة التربية الصوفية وفي



مسجد (باب المصلى) تلميذاً للشيخ عبد القادر شموط وزميلاً للشيخ حسن حبنكة. وفي دار الحديث تلميذاً للشيخ بدر الدين - قد جعلته على صلة وثيقة بالحركة الإسلامية سواء بالجمعيَّة الغراء أو ببعض شخصيات جماعة الإخوان المسلمين.

فإن صلات أخرى كانت قائمة بينه وبين التيارات الأخرى مثل الحزب الوطني ورجالاته، ورجالات الأحزاب الأخرى، حتى أن المضافة لم تكن تخلو من زائر أو أكثر من رجالات هذه التجمعات في كل مناسبة وطنية أو دينية.

وحتى لا نطيل في الشرح فإننا سنعرض بعضا من نشاطات هذا المجاهد الصامت بصورها المُتَعَدِّدَة تعدد المظاهر الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية. ومن ذلك عل سبيل المثال:

### أولاً: ممارسة السلطة الشعبيَّة في دمشق أثناء العدوان عليها عام ١٩٤٥:

قبل العدوان الفرنسي على المجلس النيابيِّ السوري عام ١٩٤٥ واستشهاد عدد من حراسه الأبطال، كانت جميع المؤشرات تدل على أن الفرنسيين سيقومون باعتداء كبير. وكان الافتراض لدى بعض أعضاء الحكومة الوطنيَّة أن الفرنسيين ربما قاموا بضرب مدينة دمشق بالمدافع والطائرات.

وقد كان لدى الحكومة الوطنية حذر كبير من أن يلجأ الفرنسيون إلى تجنيد عدد من المُتَطَوِّعين لاستخدامهم في أداء هذه المهمة، بحيث يتم إدخالهم إلى مدينة دمشق وغوطتها من جهات حوران وجبل العرب والقنيطرة.

ولمعالجة هذا الأمر المحتمل حضر إلى مضافة الشيخ محمد الأشمر قبل ثلاثة أيام من الاعتداء على المجلس النيابي، أربعة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشخاص على رأسهم السيِّد صبري العسلي وهو من أبرز زعماء الحزب الوطني، حيث جلسوا في خلوة مع الأشمر أطلعوه فيها على الحالة القائمة والاحتمالات التي يتوقعون حدوثها، طالبين مساعدته على إجهاض محاولة لجوء الفرنسيين إلى أسلوب تجنيد المتطوعين لتنفيذ هذا الاحتمال.

فما كان من الشيخ محمد الأشمر إلا أن قام بقلب المحاولة لصالح الحكومة الوطنية ضد القوات الفرنسيَّة.

قام لتَوّه بتسطير كتب إلى رؤساء الشركس في القنيطرة - التي كان الحذر منها هو الأرجح - وكَلَّفَ الشيخ حسني المجذوب يرافقه ثلاثة آخرون بحمل هذه الكتب إلى الشيخ عبد الله إمام وخطيب جامع القنيطرة.

بعد استلام الشيخ عبد الله لهذه الكتب، استطاع حشد عدد كبير من الشباب متطوِّعين لحماية مدينة دمشق وقتال الفرنسيين إن هم حاولوا دخول المدينة والعبث فيها.

وقد كان عددهم من الوفرة بحيث أن ثلاثين ناقلة بين باص وسيارة صغيرة ضاقت بهم حيث نقلتهم إلى حي الميدان وأقاموا جميعاً في (جامع الدقاق) القريب جداً من بيت الشيخ الأشمر.

وقد أعلن هؤلاء المجاهدون القادمون من القنيطرة ولاءهم للحكومة الوطنيّة واستعدادهم للموت في سبيل الدفاع عن مدينة دمشق.

وقام أهالي حي الميدان بما يجب عليهم من كرم الضيافة، حيث راحوا يتبارون في إحضار ما استطاعوا حمله من طعام وشراب، ووضعوه تحت تصرُّف هؤلاء المجاهدين المتطوعين لبذل دمائهم رخيصة ومشاركة إخوانهم أهالي مدينة دمشق في تصدِّيهم للقوات الفرنسية الباغية إن هي حاولت اقتحام المدينة.



ولم يكتف الأشمر بذلك، بل إنه أخذ يطوف على الأحياء والبساتين يحذر الأهالي من اندساس بعض عناصر الشغب للقيام بأعمال السَّلْب والنَّهْب، وعند تفقده للبساتين المحيطة بحي الميدان شاهد مجموعة من شباب الحي الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله يرابطون في بستان الطويلة وفي مقدمتهم الشاب المجاهد زهير الشاويش (١).

وما إن غادر الشيخ الأشمر منطقة الطويلة، حتى جرت معركة بين هذه المجموعة وبين القوات الفرنسية في منطقة بستان البندقة المجاور لمنطقة الطويلة حيث أبلت هذه المجموعة بلاءً حسناً.

وبهذا قلب الشيخ محمد الأشمر محاولة الإفرنسيين لتجنيد متطوعين من القنيطرة، رأساً على عقب، حيث كان الأسبق إلى ذلك فأتى المتطوعون إليه مجاهدين تحت راية الجهاد في سبيل الله لا تحت راية القوات الفرنسية الباغية.

ولم تتوقف مساعي الأشمر عند هذا المستوى من التعامل مع هذه الظروف الطارئة وإنما قام بمتابعة السعي لتحصين الوضع في مدينة دمشق ذاتها من الناحية الدفاعية والأمنية معاً.

يروي السيد محمد محمد الأشمر نجل الشيخ محمد الأشمر عن السيد أبو الخير حبنكة شقيق العالم الجليل المجاهد المرحوم الشيخ حسن حبنكة - أنه قبل حوادث ١٩٤٥ بأيام جاء صبري العسلي ومعه لفيف من المسؤولين إلى دار الشيخ محمد الأشمر ووضعوه في صورة الأوضاع وشرحوا له توقعاتهم بأن الفرنسيين سوف يقومون بضرب مدينة

(١) هو نفسه المجاهد الشيخ زهير، أحد المحققين، صاحب ومؤسس دار (المكتب الإسلامي) - محمد محمد الأشمر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دمشق والهجوم عليها، وأبدوا له رغبتهم بأن يقوم بحشد ما يستطيع من المجاهدين في حي الميدان وغيره من الأحياء لمجابهة هذا الحدث المتوقع، حيث أن الأمر يتطلب منع وصول الإمدادات العسكرية للفرنسيين من الجنوب سواء كانوا متطوعة أم إفرنسيين، وكذلك العمل على بسط الأمن والحيلولة دون حدوث أعمال سلب ونهب للأسواق التجارية، وقد اتخذ السيد صبري العسلي ورفاقه من منزل السيد نوري الحكيم القريب من منزل الشيخ محمد الأشمر مقراً لهم يتابعون الأحداث منه.

في اليوم التالي مباشرة طلب الشيخ محمد الأشمر من رجال الحي الأشاوس حمل السلاح بكافة أنواعه، وقد لبى طلبه الكثيرون حيث تم نقلهم بسيارات شاحنة وسيارات صغيرة ليتخذوا مواقعهم في جنوب الغوطة، حيث قام الشيخ محمد الأشمر يرافقه السيدان أبو الخير حبنكة ومحمد مرزوقة بتوزيعهم على الأماكن المناسبة.

بعد إتمام هذا العمل في الغوطة عاد الأشمر مع مرافقيه أبو الخير حبنكة ومحمد مرزوقة واستقلوا عربة خيل - وكانَتِ هذه وسيلة نقل مألوفة في ذلك الوقت - واتجهوا فيها نحو أحياء قبر عاتكة - الشويكة - باب الجابية حيث قاموا بحشد مجموعة ثانية من مجاهدي هذه الأحياء كلّفت بعمليات الرصد والتعامل مع ثكنة الحميدية - (جامعة دمشق الآن) -.

وكذلك تابع الأشمر ورفيقاه مسعاهم حيث اجتمعوا مع أهالي القنوات - الحريقة - الشاغور وقاموا بحشد الكثيرين من المجاهدين من رجال الأحياء حيث أنيطت بهم مهمة الحفاظ على أمن الأسواق ومنع عمليات السلب والنهب، التي قد تحصل ولو أدى ذلك إلى قتل من يقوم بمثل هذه الأعمال الدنيئة ممن قد تُسَوِّل له نفسه الرخيصة مثل ذلك.



ثم تابع سيره مع رفيقيه في نفس العربة إلى دار المجاهد السيد نسيب البكري للتشاور معه في الأمور الراهنة التي يتحرك بسببها.

وفي أثناء توجهه في مهمته هذه وعند وصول العربة التي تقل الأشمر ورفيقيه إلى محاذاة الثكنة التي يوجد فيها الفرنسيون في شارع جمال باشا - شارع النصر الآن - تزحلق الحصان الذي يجر العربة، فوقعت العربة ومن فيها أرضاً. فتراكض الجند الفرنسيون نحو العربة، خشية من أمر يراد بالثكنة. وكاد رفيقا الأشمر أبو الخير حبنكة ومحمد مرزوقة أن يشهرا السلاح الخفيف الذي يحملانه دفاعاً عن أنفسهم فيما لو حصل اعتداء من الفرنسيين عليهم، لولا أن الشيخ محمد الأشمر عالج الأمر بسرعة مذهلة وحكيمة جداً، عندما أمر رفيقيه بعدم استعمال السلاح وعدم الإتيان بأي حركة مريبة، والظهور بمظهر السكينة والخوف فانصاعا له، ولم يبديا أي مظهر مريب قد يكشف للفرنسيين ما يجب كتمانه من مساعي الاستعداد التي يقومون بها.

وقد حصل للأشمر ما أراد، وقد أعمت الغشاوة - بقدرة الله - عيون الفرنسيين فكأنهم لم يروا من ركاب العربة أحداً، وكل ما فعلوه أنهم قاموا بمساعدة الحوذي - سائق العربة - على رفعها.

وصل الشيخ محمد الأشمر إلى دار السيد نسيب البكري واجتمع معه، وتم تبادل الرأي في ما قد تتعرض له مدينة دمشق من ضرب بالطائرات والمدافع فيما لو أقدم الفرنسيون على محاولة اقتحامها عسكرياً وإحكام السيطرة عليها، فاتفق الجميع على ضرورة التعاون في اتخاذ الوسائل الفعالة التي تحول دون تنفيذ الفرنسيين لمآربهم.

عاد الأشمر ورفيقاه - بعد إنجاز مهمتهم في الأحياء وحشد المجاهدين وتوزيعهم كلٌ في المكان المطلوب والمناسب - إلى حي الميدان لإبلاغ أركان الحكومة - صبري العسلي ورفاقه - الذين اتخذوا



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من دار السيد نوري الحكيم مقراً لهم، بما فعلوه في الأحياء، وما أصدره الشيخ الأشمر من تعليمات للدفاع عن المدينة من جهة وللحفاظ على الأمن من جهة أخرى لمنع أعمال السلب والنهب التي قد يقوم بها الغوغاء.

وقد أحدثت مساعي الشيخ الأشمر أثرها النافع عندما حدث ما كان متوقعاً حيث أن الفرنسيين قاموا بضرب مدينة دمشق والاعتداء على المجلس النيابي على الوجه الذي شرحناه آنفاً دون أن يحصل أي عمل من الأعمال المخلة بالأمن في أسواق المدينة وأحيائها، إضافة إلى قيام المجاهدين الموجودين في المدينة بالرد على نيران القوات الفرنسية بالقدر المناسب الذي كانوا يستطيعونه.

لقد كان ما فعله الشيخ محمد الأشمر في هذه المرحلة من توزيع المجاهدين على الأماكن المناسبة للاشتباك مع العدو إلى جانب الاهتمام والحرص الشديدين على حفظ الأمن والنظام من عبث أصحاب النفوس الصغيرة التي قد تسول لهم الإقدام على أعمال السلب والنهب وإدخال ذلك في تخطيطه للتعامل مع الأحداث المتوقفة وتوزيع العناصر المجاهدة المؤهلة للقيام بمهمة حماية الأسواق. كل ذلك شَكَّل صورة من أروع الصور في تاريخ المقاومة الشعبية عندما تكون السلطة الرسمية في ظروف لا تمكنها من التعامل الرسمي مع الأحداث وبالشكل المناسب.

يروي المجاهد الرقيب في الدرك آنذاك المرحوم عبد اللطيف الحلاق (أبو حسن) فيما ينقله عنه السيد محمد الأشمر ابن الشيخ محمد الأشمر، بأن مدينة دمشق كانت طيلة أسبوع الأحداث التي عاشتها المدينة عام ١٩٤٥ تحت السلطة الشعبية للشيخ محمد الأشمر ورفاقه من المجاهدين، لا تحت السلطة الرسمية.



ويعرض الشيخ زهير الشاويش ـ وكان ممن ساهموا في هذا الحشد لحماية دمشق على الشكل الذي أسلفناه ـ صورة حية للحالة التي شهدها بنفسه من هذا التحرك الشعبي الرائع حيث يقول:

في مطلع سنة ١٩٤٥ بدأت المشاكل مع فرنسا التي نكثت عهودها التي تعهدت بها للسوريين قبل إعلان الحرب العالمية الثانية، وتنكَّرت عما سبق الاتفاق عليه، ورجعت فرنسة الحرة عما قطعت من عهود عند دخولها مع الإنكليز إلى سورية ولبنان على أن تكون سورية بلاداً مستقلة تماماً.

ومع أنها سمحت بإجراء انتخابات في عام ١٩٤٣ بعد وفاة الشيخ تاج الدين الحسني حيث تألفت إثر ذلك حكومة وطنية وانتخب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية؛ إلا أن فرنسا أخذت تعيق ممارسة سورية لاستقلالها بشكل كامل، مما أثار الاضطرابات في مختلف أنحاء سورية ضد فرنسا، تلك الاضطرابات التي ختمت بتاريخ ١٩٤٥/٥/٢٩ بالاعتداء على دمشق وضرب مبنى المجلس النيابي وباقي أحياء مدينة دمشق بقنابل المدفعية من المزة وبالطائرات.

وكان أهل الميدان قد أخذوا أُهْبَتَهم لقطع الطريق على القوات الفرنسية وعدم تمكينها من استعمال طريق الميدان للتحرك من المزة إلى محطة القطار في القدم والتوجه إلى حوران وجبل الدروز.

ويتابع الشيخ زهير قائلاً:

ولما لم يكن عندنا ديناميت لنسف سكة القطار فقد قمنا بسحب نضبان السكة المذكورة بدءاً من بستان المجتهد ـ دوار المجتهد حالياً ـ إلى بستان الطويلة بمساعدة رجال من أهل الحي يعملون في النجارة والحدادة أذكر منهم السيد حسني الحمصي وكان يعمل في مهنة حفر



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآبار وتمديد المياه والسيد فهد جمال الدين وكان يعمل في مهنة النجارة وغيرهم.

وكنت أقوم مع مجموعة من أهالي الميدان أذكر منهم: سالم عياش، ونعيم قويدر ورجل من آل القدة - أظنه أبو صلاح أو أبو علي؛ - وصلاح قطيفاني وغيرهم على حراسة الطريق بين البساتين الممتدة من منطقة الشويكة إلى نهاية منطقة الطويلة، ولم يكن الشارع المار في هذه البساتين قد عُبِّدَ بالشكل الذي هو عليه الآن بعد، وكذلك مراقبة سكة الحديد من أن يتم إصلاحها بعد سحب القضبان، ولم يكن بيدنا من الأسلحة سوى بندقيتين إحداهما تضرب (السلبند) وكنت استعملها بذخيرة قَدَّمها لنا الشيخ محمد الأشمر نفسه.

وفوجئنا مرة بالشيخ محمد الأشمر وهو يقوم عصر ذلك اليوم بمراقبة الطريق بنفسه، ومعه خمسة مسلحين. ولكم كانت فرحته بالغة عندما شاهدنا ونحن نؤدي مهمتنا في حماية الطريق نفسه.

وقام بإبلاغنا بأن الفرنسيين ربما أتوا بعد المغرب من طريق بستان البندقة وبستان المكركب وبستان الوادي وربما ساروا في الطريق الفاصل بين بستاني الوادي والمكركب، والذي كان يسمى (زقاق الحيات) لكثرة وجود الأفاعي في دكوك البستانين المذكورة، وقام بتسليمنا ثلاث بنادق واصطحب واحداً من رفاقنا معه لحمل الذخيرة إلينا فعاد ومعه كمية من القنابل التي تطلق ببارودة السلبند، وكمية من الذخيرة للبنادق الأخرى، وهكذا أصبح معظمنا مسلحاً.

وقد قمنا مباشرة بعد تحذير الأشمر لنا من احتمال مرور القوات الفرنسية من هذه البساتين - بتحصين مراكز لنا عند ساحة بستان البندقة ووراء (دكوك) بستان الوادي. كما قمنا بتحويل مجرى نهر (القنواتي)



نهر (الصوف)[١] إلى ساحة بستان البندقة، ووضعنا حجارة كبيرة في الطريق، وخرَّبنا الجسر الضيق على نهر (الصوف) بحيث لم يعد يمكن لأحد أن يمر من هذا الطريق إلا بعد أن يخوض في بحر من الوحل ويتعثر من كثرة الحجارة.

وقد حصل ما كان متوقعاً حيث جاءت الحملة من نفس الطريق وكانت مؤلفة من عدد من الخيالة الفرنسيين وبعض المتطوعين، ومعهم عدد من البغال المحملة بالمؤن والذخيرة لإيصالها إلى محطة القطار في منطقة البوابة - القدم.

وما أن خاضوا في الوحول التي تَشَكَّلت في ساحة بستان البندقة، حتى بادرناهم بإطلاق النار عليهم من أماكن ثلاثة، كنا قد اختفينا خلفها في البساتين، فَقُتِلَ عدد منهم وهرب الباقون عائدين من الطريق التي أتوا منها.

وعندما أرخى الليل سدوله سعينا إلى من وقع منهم وتأكدنا من مقتلهم وأخذنا ما تركوا من البنادق والذخيرة وحصاناً وثلاثة بغال بأحمالها من العتاد والمؤونة.

وتحسباً من قيام الفرنسيين بعملية انتقام، قمنا بالانسحاب إلى الحي. بعد أن اتفقنا مع اثنين من فلاحي بستان البندقة على إخبارنا إذا لاحت لهم بوادر حملة جديدة، لكن الفرنسيين لم يفعلوا أكثر من إرسال من قام بحمل قتلاهم إلى المزة، ولم يعودوا ثانية لأن المعارك اشتدَّت عليهم في عدد من المناطق.

(١) (نهر الصوف) تسمية يطلقها أهل تلك البساتين على ساقية متفرعة من فرع (بردى) المار بمنطقة بساتين القنوات والمعروف باسم (القنواتي) وقد غلبت على هذه (الساقية) تسمية (نهر الصوف) لأن أهالي المناطق المجاورة كانوا يحضرون الصوف الذي يقتنونه لغسله في هذه الساقية - صياح.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي اليوم الثاني قمنا بزيارة الشيخ محمد الأشمر وحملنا له تسعة بنادق من الغنيمة أعطاها لمجاهدين عنده، وعرفنا أنه أرسل جماعة لنصرتنا ولكنهم وجدوا أن المعركة قد انتهت بسرعة.

وقد كان عنده في المضافة عند تسليم هذه البنادق التسعة كل من (أبو فهد قريعة) و(أبو جميل السيد) و(محمد صادق اللحام) وغيرهم.

وأثناء وجودنا عنده جاءته وفود كثيرة فكلَّفني أن أتكلَّم فيهم نيابة عنه، وكان يسره ما أقول وذلك بفضل من الله عزّ وجلّ.

## ثانياً: مساعي إصلاح ذات البين:

كان من أكثر الأمور التي تشغل وقت الشيخ محمد الأشمر اهتمامه بإصلاح ما بين الناس من خلافات وخصومات.

وإذا كانت الخلافات من الكثرة بما يصعب إحصاؤها وتتبعها بالحل بين الناس، فإن لبعضها أثراً بليغاً في المجتمع، إن لم يبادر أهل الحل والعقد من الناس بمواجهتها والسعي إلى حلها بالحسنى، وكان من أبرز هذه الخلافات ما ينجم عنه سقوط قتيل من جانب وتأهب للثأر من الجانب الآخر، وسوف أعرض ثلاث حالات من الحالات الكثيرة التي عالجها الشيخ محمد الأشمر ونجح في إطفاء نار فتنة، وإخماد فورة دم وتهوين الصفح بدلاً من الثأر.

**الحالة الأولى: مقتل أحد أبناء عائلة رمضان في جبل الدروز:**

حيث تم القتل غيلة وجرى نهب دكان القتيل من غير ذنب سوى الغدر والسلب والنهب بسبب اضطراب الأحوال الأمنية في البلاد.

هبَّ أهل القتيل وجوارهم من أهالي حي الميدان للمطالبة بالثأر. وأصبح منزلهم في الميدان الفوقاني يتقبل التعازي من الناس الذين



يفدون من حي الميدان والأحياء المجاورة وهم يطلقون الأهازيج التي تعبر عن صور من الحالة الاجتماعية التي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة ومن تلك الأهازيج على سبيل المثال:

من الميدان للقريِّة ... فزعتنا ما هي غبية
هيجتنا الحمية ... كرمال عينك رمضان
نحنا جينا يا الأشمر ... ابعثنا وين ما تأمر
الله يشهد ما نتأخر ... والله يعلم ما فينا خوان
من الموصلي لساحة عصفور ... طيران مثل الصقور
منطالب بدم المغدور ... والجنة قدامنا عنوان

وواضح المعنى الذي تعكسه مثل هذه الأهازيج لو أتيح للهازجين أن يحققوها، لولا أن الله يهيئ من عباده من يسعى للخير ويعمل على إطفاء الفتنة. وكان الشيخ محمد الأشمر من هؤلاء العباد.

وبالفعل فقد قام أهل القتيل بقطع الطريق على المارين من جبل الدروز عن طريق الكسوة والميدان، فكان لا بد من أن يعمل الحكماء ويتدخل العقلاء.

فكان أن تراسل في هذا الموضوع كل من سلطان باشا الأطرش والشيخ محمد الأشمر حيث أوفد سلطان باشا وفداً من وجوه الدروز إلى مضافة الأشمر في حي الميدان، حيث قام الأخير باستقبالهم مع عدد من أهل الميدان وأهل القتيل. وقدم الوفد إلى الشيخ الأشمر الاعتذار والدية فتقبل منهم ذلك باسم أهل القتيل وباسم أهالي حي الميدان، فانتهت الفورة وأطفئت الفتنة.

**الحالة الثانية: خلاف عائلتي (قره) و(دلول):**

وهما عائلتان كريمتان من عائلات الميدان ـ في (الموصلي)



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(الجروة). حيث سقط أحد أبناء إحدى هاتين العائلتين قتيلاً بيد أحد أبناء العائلة الأخرى، وبدأ التربص من أهل القتيل لأهل القاتل.

وحتى لا يتطور الأمر إلى ما هو أسوأ فوجئ أهل (الميدان - قرشي) بالشيخ محمد الأشمر يقوم بزيارة حَيِّهم ومعه عدد من الوجهاء وأهل الفضل، وقد توجهوا إلى بيت الوجيه (أبو عبده رسلان نقاوة)، وأعلنوا أن قدومهم إنما هو لإنهاء هذا الخلاف بين العائلتين وحله بشكل ودي قبل أن يستفحل ويتطور إلى ما لا تحمد عقباه.

أرسل الشيخ محمد الأشمر - وهو في بيت نقاوة - من يدعو الحاج عثمان النوري، ومحمد جمال الدين (أبو فهد) وسعيد آغا الياسين، والحاج إبراهيم الحرستاني (أبو خليل)، وزهير الشاويش.

وبعد اكتمال الجمع تحدث الشيخ محمد الأشمر عن ضرورة إزالة الشحناء والبغضاء من النفوس وضرورة تفادي عادات الثأر والثأر المضاد، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم تحض على الصفح والتعاون.

فنزل أهل القتيل عند رغبة المجتمعين بإجراء الصلح بين العائلتين، وقد تم ذلك وعقدت الراية وتكفل السيدان عثمان النوري وإبراهيم الحرستاني بأداء الدية إلى أهل القتيل من مالهما الخاص.

**الحالة الثالثة: مقتل أحد أبناء حوران بيد صديق حميم للسيد جميل مردم:**

ولعل هذه الحادثة هي أبرز من سابقتيها وأبلغها أثراً لأنها كانت تسبب حرجاً كبيراً لرجل كان ينظر إليه - إذ ذاك - على أنه أحد دهاة العرب في أربعينيات وخمسينيات هذا القرن، إنه السيد جميل مردم السياسي السوري المعروف. من أوائل الذين ثاروا ضد العثمانيين وقاموا بنشاط سياسي كبير ضدهم مذ كان طالباً في باريس وحتى إعلان الثورة



العربية الكبرى ومن ثم الثورة السورية وقيام الحكم الوطني.

كان للسيد جميل مردم وزير خارجية سوريا - آنذاك - صديق حميم مغربي الأصل، ومقرب إليه جداً إلا أن هذا الصديق كان على شيء غير يسير من الغرور بهذه الصداقة دفعه إلى الوقوع في مشاكل أتعبت رئيس الوزراء نفسه.

وقد وصل الأمر بهذا الصديق إلى أن ارتكب جريمة قتل ذهب ضحيتها أحد أبناء حوران، وينتمي إلى عشيرة حورانية كبيرة، الأمر الذي شكل للسيد جميل مردم حرجاً كبيراً وهو في منصب رئيس الوزراء إضافة إلى مكانته المعروفة بدءاً من مؤتمر باريس في الجمعية الجغرافية السورية أواخر العهد العثماني ومروراً بأحداث الثورة العربية الكبرى، ثم أحداث الثورة السورية. وخروج الفرنسيين عام ١٩٤٥ حيث كان طيلة - هذه الفترة - من النشطاء في العمل الوطني مع رفاقه من الكتلة الوطنية شكري القوتلي وصبري العسلي ونسيب البكري وأمثالهم.

والحرج الشديد ناشئ عن أن السيد جميل مردم - وهو رئيس للوزراء - لا يستطيع التغافل عن جريمة وقعت في عهده، كما لا يستطيع حماية المجرم وهو صديق حميم له، وكذلك فإنه لا يستطيع ترك هذا الصديق إلى مصيره المحتوم، وربما كان الإعدام بحكم قضائي، أو بثأر من أحد أبناء عشيرة القتيل. وكلا الأمرين مر.

ولم يكن هنالك من حل إلا أن يتنازل أصحاب الدم - وهم عشيرة كبيرة - عن حقهم بالثأر لابنهم وأن يمتنعوا عن المطالبة بحقوقهم أمام القضاء، وهذان مطلبان عسيران بسبب الأعراف العشائرية من جهة، والاحترام الواجب للقانون من جهة أخرى.

والأمر الأكثر حرجاً للسيد جميل مردم كان يتمثل في أنه يَوَدُّ



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرغب بمعالجة هذا الموضوع دون أن يكون له حضور ظاهر فيه بسبب من مركزه السياسي الاجتماعي.

لم يترك وسيلة إلا لجأ إليها بسريَّة تامة ومن خلال أشخاص ينتدبهم لهذه المهمة ولكنه لم يفلح بمساعيه كلها فالعشيرة مصرة على الثأر والمطالبة بدم ابنها.

وكان للسيد جميل مردم صديق حميم آخر من عائلة معروفة في حي الميدان هو السيد عادل جمال الدين (أبو صياح)، وهو من رفاق الشيخ محمد الأشمر أثناء الثورة السورية.

كان السيد عادل جمال الدين قد أشار على السيد جميل مردم ـ ومنذ البداية ـ أن يلجأ إلى الشيخ محمد الأشمر لحل هذا الموضوع فلن يستطيع حله سواه. إلا أن جميل مردم لم ترق له هذه الفكرة عندما عرضها عليه عادل جمال الدين بسبب من تراكمات باعدت بينه وبين الأشمر خلال الثورة. ولكن عندما أعيته كل الحيل فإنه لم يجد مفراً من القبول بهذه المشورة. ذلك أن الذين حاولوا مساعدته على حل هذه القضية مثل السيد عبد الله شموط من حي الميدان، والزعيم الكردي (نجدت آغا) ـ وهم من أصدقائه المخلصين ـ فشلوا في مساعيهم التي بذلوها مع عشيرة القتيل.

إذ ذاك اقتنع السيد جميل مردم بصواب المشورة التي أسداها له صديقه أبو صياح عادل جمال الدين فطلب إليه السعي في ذلك.

كان أول شيء فعله السيد عادل هو أنه هيأ اجتماعاً بين السيد جميل مردم والشيخ محمد الأشمر بحضوره دون أي أحد آخر، وفي هذا الاجتماع الذي حصل في دار الشيخ الأشمر تمت المصالحة والمصارحة بين الأشمر وجميل مردم، ذلك أن مجرد حضور جميل



مردم إلى دار الأشمر يعتبر في الأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة إذ ذاك بادرة ترضية من جميل مردم إلى الأشمر وهي بمثابة اعتراف ضمني بصواب موقف الأشمر من النزاع.

بادر الأشمر في اليوم التالي إلى الاتصال بزعماء عشيرة المقتول التي رحَّبت بأن يكون الوسيط في دم ابنهم زعيم شعبي مجاهد على هذا المستوى الرفيع من المكانة في المجتمع، حيث أن ذلك يرتفع بموضوع الدم المطلوب إلى مستوى لا يستبدل به ثار ولا يعوض به مال، ويكفي عشيرة القتيل وأهله من الفخر في الأعراف العربية والاجتماعية التي كانت سائدة ـ إذ ذاك ـ أن يكون طلب الصفح والعفو صادراً عن مثل الشيخ محمد الأشمر بما له من رصيد محبة كبير في النفوس أودعته فيها سيرة جهاد طويل في سبيل الله ضد غزاة مستعمرين سواء في أرض سوريا الطاهرة أم في جبال فلسطين.

تناول الأشمر فطوره عند أهل القتيل، ثم بدأ الحديث فيما قدم من أجله عارضاً على العشيرة الاستجابة لمطالبهم مهما غلت، ذلك أن الدم غال جداً على ذويه.

لكن العشيرة التي رأت قدوم الأشمر إليها أغلى من أي مطلب ـ بما يعطيها من سمعة عالية وفخر رفيع ـ امتنعت عن قبول المال متنازلة عن كل حق مادي لها وعبرت بلسان والد المقتول عن عفو كريم حيث توجه إلى الأشمر قائلاً له: إن حضورك لعشيرتنا هو حضور لأحياء دمشق كلها، وتكرم وقل للقاتل وأهله: اذهبوا فأنتم طلقاء أحرار، ولن يمسكم من عشيرتنا سوء.

**ثالثاً: مساعي الأشمر بشأن بعض المسجونين أو الملاحقين:**

كانت مضافة الشيخ محمد الأشمر في حي الميدان مفتوحة لجميع



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس يفد لها من له رغبة بزيارة الشيخ للجلوس إليه والتحدث معه باعتباره زعيماً امتزجت في شخصيته مهابة الزعيم، ووقار الشيخ وعنفوان المجاهد، وسخاء الكريم، وتواضع العابد، ونجدة الملهوف، بحيث كان كل يجد عنده ما يرغب فيه.

وكانت نجدة الملهوف عنده وجهاً من وجوه الجهاد الذي نذر نفسه إليه. فكانت استجابته وسعيه في هذا المجال مثلاً يُضْرَبُ، وسجية خلق تُحْتَذَى. وحتى لا أطيل فإنني سأقتصر على مثالين من ذلك:

**المثال الأول: السعي للإفراج عن حسني الزعيم من سجون لبنان:**

قصة السعي للإفراج عن حسني الزعيم - الذي بدأ ضابطاً في الجيش العثماني ثم في الجيش المختلط الذي شكلته فرنسا في سوريا ثم في الجيش السوري وهو الذي قام بأول انقلاب عرفته البلاد عام ١٩٤٩ على الحكم الوطني والذي أصبح إثر ذلك أول رئيس جمهورية يصل إلى سدة الحكم عن طريق القوة العسكرية - قصة تستحق النظر فيها، خاصة وأن هذا الرجل نفسه كان وما يزال موضع ريبة وتساؤل عن كيفية انتقاله من ضابط صغير إلى أعلى منصب في دولة ناشئة فتية دون أن تكون له أيّة قاعدة شعبية تحمله ودون أن يكون له ماض وطني ناصع ومشرف يدعمه.

لن نؤرخ لحياة الرجل ولكن قصارى ما نعرضه في هذه الصفحات القليلة هو أن حسني الزعيم هذا كان عند دخول القوات الفرنسية الديغولية إلى دمشق مع القوات البريطانية ضابطاً في القوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشي في فرنسا. وقد عهد إليه الفيشيون بتشكيل عصابات محلية وَزَوَّدُوُه بكميّات كبيرة من الأسلحة ومبالغ ضخمة من المال، وكانت مهمته مناوشة القوات الزاحفة وتأخير تقدمها بغية حماية القطعات الفيشية خلال انسحابها. ولكن ما إن أصبحت القوات المتقدّمة عند



الكسوة حتى فر حسني الزعيم حاملاً الأموال التي أخذها من الفرنسيين، تاركاً أفراد عصابته يتشرذمون وكانوا بغالبيتهم من الأكراد والشركس.

وبسبب ذلك فإنه صدر من المحاكم العسكرية حكم غيابي بحق حسني الزعيم يقضي بسجنه لمدة عشرين عاماً مع إعادة الأموال التي كان الفيشيون أودعوها لديه؟

تمكّن الفرنسيون الديغوليون بعد احتلال دمشق من إلقاء القبض على حسني الزعيم الذي كان مختبئاً في حي الأكراد واقتادوه إلى السجن لتعاد محاكمته إثر ذلك، وأودع سجن الرمل في بيروت ثم ما لبث بعد استعطافات وتوسّلات أن نُقِلَ من سجن الرمل إلى سجن القلعة في دمشق[1].

وعندما حل موعد جلاء الفرنسيين عن سوريا نقلوا السجناء المحكومين من قبل محاكمهم العسكرية إلى بيروت وأطلقوا فيها بعضهم بشرط الإقامة الجبرية ريثما يبت بأمرهم[2].

وتختلف الروايات عن فترة وجوده في بيروت، فهل كان رهن الاعتقال أم إنه كان ممن أطلق سراحهم بشرط الإقامة الجبرية.

الذي يؤكّده السيد سامي جمعة - وهو من رجال الأمن السابقين في سوريا لعهود متعدِّدة - هو أن حسني الزعيم أطلق سراحه وفرضت عليه الإقامة الجبرية وأنه كان يقطن في تلك الفترة بدار غانية سابقة تدعى (نظيرة طقشة) في الأشرفية وأنه بقي على هذه الحال حتى جلاء الفرنسيين عن لبنان حيث أخلي سبيله نهائياً وشد رحاله عائداً إلى سوريا[3].

---

(١) أوراق من دفتر الوطن، سامي جمعة، دار طلاس للنشر بدمشق، ص٣٤.
(٢) أوراق من دفتر الوطن، ص٣٥.
(٣) أوراق من دفتر الوطن، ص٣٥.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أنه وإن يكن ما ذكره السيد سامي جمعة خالياً من تاريخ هذا الحدث؛ إلا أن الحدث نفسه معروف بجملته ويروى موثقاً بصورة أخرى برسالة خطية من حسني الزعيم نفسه إلى الشيخ محمد الأشمر مؤرخة في ٢٧/٦/١٩٤١[1] يتوسَّل فيها إليه العمل على تأليف وفد من (رؤوس الميدان) لطلب إخلاء سبيله.

وهذه الرسالة وإن تكن تتحدث عن اعتقال حسني الزعيم في سجن (القلعة) وهو في دمشق لا في بيروت؛ إلا أنها تشير إلى أنها مُوَجَّهة إلى الشيخ الأشمر في اليوم الثاني للاعتقال.

ويبدو ـ خلافاً لما ورد برواية السيد سامي جمعة ـ أن حسني الزعيم نقل بعد ذلك مباشرة إلى سجن (الرمل) في بيروت، ولا أدل على ذلك من أن الشيخ محمد الأشمر لم ينم عن هذه الرسالة سوى يوم واحد ـ كما يروي السيد حامد أبو اللبن[2] ـ حتى أرسل إلى السيد (أبو شاكر المهايني) للحضور صباحاً مع سيارته للسفر إلى بيروت لمعالجة هذه القضية.

وفعلاً فقد ذهب الشيخ محمد الأشمر إلى بيروت والتقى فيها الوجيه البيروتي المعروف وهو (أبو عفيف بعدراني) من حي البسطة والمقرب من السيد رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني آنذاك، وكان استقبال بعدراني للأشمر حافلاً لما بين الرجلين من محبة وود كبير.

وبعد درس الموضوع بين الرجلين طلب الأشمر من بعدراني السعي لتأمين لقاء مع رئيس الوزراء السيد رياض الصلح فكان له ما أراد.

(١) أصل هذه الرسالة محفوظ عند المفكر القومي العربي الأستاذ ممدوح رحمون.

(٢) حامد أبو اللبن من زعماء فلسطين.



وفي هذا اللقاء طلب الأشمر من السيد رياض الصلح الإفراج عن حسني الزعيم أو تسهيل فراره ليصطحبه معه ويعود به إلى دمشق، وكان ذلك طلباً محرجاً جداً لا يمكن لأي رئيس وزراء في أي دولة أن يتقبله بسهولة ويسر. خاصة وأن ثمة أسباب تمنعه من قبول هذا الطلب، فالزعيم قاوم مع جنوده دخول الإفرنسيين الديغوليين والإنكليز إلى سورية لحساب الفيشيين إضافة إلى أن الأشمر نفسه كان ممن حاربوا الإنكليز في فلسطين عقب استشهاد عز الدين القسام في ثورة فلسطين ١٩٣٦ حيث أن تلبية مطالب الشيخ محمد الأشمر بهذا الخصوص قد تثير ردة فعل من قبل الحكومة البريطانية التي لا تزال قواتها موجودة في دمشق. مما قد يجر على لبنان مشاكل هو في غنى عنها.

رفض السيد رياض الصلح طلب الشيخ محمد الأشمر الإفراج عن حسني الزعيم أو التغاضي عن تهريبه من السجن، كما رفض طلباً آخر هو السماح للأشمر بلقاء الزعيم ومقابلته في سجنه، وذلك خوفاً من تسرب الخبر إلى الأوساط الفرنسية أو الإنكليزية.

كان رفض السيد رياض الصلح لكل هذه الطلبات إهانة للوجيه البيروتي السيد (أبو عفيف بعدراني) الذي كان يأمل من صديقه رياض الصلح أن يستجيب لبعض مطالب ضيفه الكبير المجاهد الشيخ محمد الأشمر. لذلك اتَّخذ موقفاً شجاعاً من هذا الرفض حيث أعلم رئيس الوزراء رياض الصلح بأنه ما لم يستجب لطلب المقابلة بين الأشمر وحسني الزعيم، فإنه سوف يحشد الناس في مظاهرة كبيرة تتوجه إلى سجن (الرمل) لاحتلاله مؤكداً أن لديه السلاح والشباب وكل ما يلزم لتحقيق ذلك.

استجاب السيد رياض الصلح ـ دفعاً لإشكالات قد يثيرها بعدراني على مستوى الشارع البيروتي ـ لطلب المقابلة على أن تكون ليلاً وبشكل سريٍّ جداً.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا اللّقَاء الذي حقَّقَه السيد رياض الصلح للشيخ محمد الأشمر مع حسني الزعيم، طرح الأشمر على الزعيم فكرة الهروب وأن ذلك مؤمن ومضمون إلا أن الزعيم رفض ذلك خوفاً من النتائج التي تترتب على ذلك والتي قد لا يكون من مصلحة حسني الزعيم التعرض لها، إلا أنه طلب من الشيخ الأشمر ـ إن لم يكن إخلاء سبيله بالشكل الرسمي ممكناً ـ أن يتقدم للشهادة بما يعلمه عن توزيع السلاح الذي كان بعهدته بعد خروج (الفيشيين) من دمشق، وكيف أنه قام بجمعه ووضعه في ساحة منطقة (القاعة) من حي الميدان، وكيف ثم تسليمه إلى السلطات الفرنسية وأن الذي قام بعملية الاستلام من قبل السلطات المذكورة هو الكابتن (توفيق دوخي).

ولما كان الشيخ محمد الأشمر يعلم أن الزعيم جمع السلاح في ساحة (القاعة) ويعلم أنه تم تسليم هذا السلاح إلى الكابتن (دوخي) فعلاً فإنه تقدم إلى المحكمة بشهادته حول هذه الواقعة مما كان له أثر حسن في الإفراج عن حسني الزعيم ووضعه في الإقامة الجبرية على أن يقوم رجال الأمن بزيارته مرتين صباحاً ومساءً. وتم نقله من السجن للإقامة بفندق الأهرام بشارع (فوش) مع السماح له بسهرة ليلية مع تجَّار دمشق المقيمين في بيروت.

وقد تطابقت شهادة الشيخ محمد الأشمر مع شهادة الكابتن (دوخي) أمام نفس المحكمة حيث أكَّدَ للمحكمة بأنه استلم تسعة طنابر محملة من جميع أنواع السلاح الممكن حمله، وأما العتاد الكبير فإنه ما يزال في أرضه، وقد كان لهذه الشهادة أثر كبير في تقرير براءة الزعيم وصرف رواتبه المدفوعة كاملة.

ومهما يكن أمر الاختلافات البسيطة في رواية هذه الحادثة من حيث المكان والزمان فإن الثابت فيها:



١ ـ أن حسني الزعيم اعتقل منذ يوم الأربعاء في ١٩٤١/٦/٢٦ وبقي في الاعتقال ـ سواء في السجن أو في الإقامة الجبرية ـ حتى خروج القوات الفرنسية وجلائها عن لبنان.

٢ ـ أن حسني الزعيم تَوَجّه في اليوم الثاني لاعتقاله إلى الشيخ محمد الأشمر حيث بعث إليه برسالة مؤرخة في ١٩٤١/٦/٢٧ حملها إليه شقيقه الشيخ صلاح الزعيم.

٣ ـ أن الشيخ محمد الأشمر بادر من فوره إلى السعي لمساعدة حسني الزعيم حيث ذهب في اليوم الثاني لاستلام الرسالة إلى بيروت ليلتقي برئيس الوزراء السيد رياض الصلح بصحبة السيد (أبو عفيف بعدراني) الوجيه البيروتي المعروف وصديق الطرفين.

٤ ـ أن السيِّد رياض الصلح قد استجاب ـ بعد تململ فرضته عليه ظروف موقعه كرئيس للوزراء ـ لتأمين لقاء سري بين الشيخ محمد الأشمر والسيد حسني الزعيم.

٥ ـ أن الشيخ الأشمر كان مستعداً لتأمين هروب الزعيم من السجن بمساعدة (أبو عفيف بعدراني) وتغاضي رئيس الوزراء رياض الصلح.

٦ ـ أن حسني الزعيم رفض فكرة الهرب وآثر عليها أن يتقدم الأشمر بالإدلاء بشهادته عما يعرفه عن حقيقة السلاح الذي كان بيد حسني الزعيم.

٧ ـ أن الشيخ محمد الأشمر قد بادر إلى الشهادة بما يعلمه عن الموضوع وأن شهادته تطابقت مع شهادة الكابتن دوخي الذي أقرَّ أمام المحكمة العسكرية بأنه استلم تسعة طنابر من السلاح كانت مجمعة في ساحة القاعة في الميدان.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨ ـ أنه كان لهذه الشهادة أثر كبير في تبرئة السيد حسني الزعيم فيما بعد وإعادة جميع حقوقه إليه.

وبغض النظر عن كل ما قد يشوب سيرة حسني الزعيم من تقييم معه أو ضده، فإن ما يعنينا هنا هو أن الشيخ محمد الأشمر كان في تلبيته لاستنجاد الزعيم به يمثل صورة حية لزعيم شعبي كبير لا يتوانى عن مد يد العون إلى كل ملهوف يستنجد به.

وقد حفظ حسني الزعيم هذه اليد التي مُدَّتْ إليه وهو في محنته. فما أن استولى على الحكم بسوريا بانقلابه على الحكم الوطني بتاريخ ٣٠ آذار١٩٤٩ حتى بادر إلى زيارة حي الميدان ـ فيما يرويه السيد محمد محمد الأشمر نجل الشيخ الأشمر ـ ودخل إلى جامع الدقاق، حيث التقى بعدد من وجهاء الحي الذين كانوا في المسجد، وفي مُقَدِّمَتِهِم العلامة الشيخ بهجة البيطار إمام وخطيب المسجد. وعندما قدم الشيخ محمد الأشمر، نهض حسني الزعيم واستقبله واقفاً ثم انحنى مقبلا يده على مشهد من جميع الذين كانوا متواجدين، وعلى رأسهم العلامة الشيخ بهجة البيطار رحمه الله.

**المثال الثاني: السعي لإنقاذ المجاهد الفلسطيني يوسف أبو درة:**

يوسف أبو درة مجاهد فلسطيني بارز وهو من الرعيل الأول لطلائع الجهاد المقدّس التي غرس بذرتها الشيخ المجاهد عز الدين القسام.

كان يوسف الدرة يَتَرَدَّدُ إلى دمشق مع مجموعة من رفاقه لشراء السلاح ونقله إلى فلسطين. وكانت هذه الكتلة من المجاهدين تَتَّخِذُ من منطقة (القاعة) في حي الميدان مكاناً لإقامتها لقربها من منزل الشيخ محمد الأشمر الذي كان يحتضن هذه الجماعة ويقوم بكل ما يستطيع



لتسهيل مُهِمَّتِها سواء في انتداب الرجال من حي الميدان للمساعدة على شراء السلاح من القرى أو للمساعدة على شحن السلاح بالسيارات وتأمين وصوله إلى فلسطين تهريباً عن طريق منطقة (تل شهاب).

كان المجاهد يوسف أبو درة ورفاقه الشيخ فرحان السعدي، وأبو إبراهيم الكبير، وأبو إبراهيم الصغير، وعاطف نورة، والشيخ عطية وأخوه الشيخ محمود، وأبو كمال، وأبو داود ـ فيما يبدو ـ غير بعيدين عن عيون المخابرات الإنكليزية التي كانت ترصد ما يقومون به من أعمال شراء السلاح وتهريبه إلى فلسطين، انطلاقاً من مركزهم في حي الميدان بدمشق بمساعدة الشيخ الأشمر. حيث تمكَّنوا بعد معركة عنيفة من إلقاء القبض على المجاهد الشيخ فرحان السعدي حيث تم إعدامه.

وأثناء وجود المجاهد يوسف أبو درة في بعض قرى الأردن ألقت القوات البريطانية القبض عليه وتم إيداعه في سجن (الكرك).

على إثر ذلك حضر إلى دار الأشمر في دمشق ـ وكان إذ ذاك يقيم في حي المهاجرين للاستشفاء من مرض ألَمَّ به ـ وفد كبير من وجوه المجاهدين الفلسطينيين وطلبوا منه السفر إلى عمان ومقابلة الملك عبد الله والطلب إليه الإفراج عن يوسف أبو درة.

استجاب الشيخ محمد الأشمر لطلب إخوانه الفلسطينيين بعد أن شرح لهم خطورة هذه الوسيلة في مساعي الإفراج، ذلك أن الخونة كثيرون والوشاة أكثر، وسوف ينقلون خبر أي لقاء مع الملك عبد الله إلى الإنكليز مما قد يدفع بالإنكليز إلى نقل المجاهد يوسف أبو درة من سجنه إلى مكان مجهول، لكنَّهم أصروا على ضرورة اللقاء مع الملك والسعي معه لتأمين الإفراج.

بادر الشيخ محمد الأشمر إلى إرسال رسالة إلى الملك عبد الله

يشرح له فيها رغبته بالحضور إلى عمان للبحث بموضوع المجاهد أبو درة وأنه بانتظار منحه جواز سفر، فبادر الملك بإرسال رسالة إلى الأشمر مؤرخة في ١٤ جمادى الآخرة عام ١٣٥٨هـ بالموافقة على منحه الجواز والترحيب بقدومه إلى الأردن، فسارع الأشمر بعد استلام الجواز إلى السفر إلى عمان والتقى هنالك مع السيدين حسن الشربجي (أبو صلاح) وصبري الطباع (أبو بندر) حيث ذهب الجميع إلى القصر الملكي وتم اللقاء مع الملك عبد الله وعرض الشيخ محمد الأشمر قضية المجاهد يوسف أبو درة ورجاه العمل على سرعة خروجه من السجن وتسهيل هروبه منه. فوعد الملك بذلك وتَعَهَّد بأن لا يحصل لهذا المجاهد شيء أبداً ومعلناً أنه لن يسلمه إلى الإنكليز ولو مزقت الدبابات جسمه.

ولقد حصل ما كان الأشمر قد توقَّعه وأوضحه للمجاهدين الفلسطينيين الذين كلَّفوه بهذه المهمة في دمشق. حيث سارع الإنكليز إلى نقل المجاهد يوسف أبو درة ليلاً من سجنه في الأردن إلى فلسطين حيث نفَّذوا فيه عقوبة الإعدام.

كان أقصى ما يمكن للملك عبد الله أن يواسي به الشيخ محمد الأشمر هو أن يقدِّم له العزاء والاعتذار عن عدم إدراكه للمجاهد يوسف أبو درة في الوقت المناسب حيث كانت يد الإنكليز أطول وأسرع.

وهكذا طويت صفحة هذا المسعى بغدر الإنكليز بالمجاهد أبي درة وبالملك عبد الله نفسه حيث لم تمكنه من تنفيذ الوعد الذي قطعه للشيخ الأشمر بأنه لن يسلِّم هذا المجاهد إلى الإنكليز ولو مزَّقت الدبابات جسمه.



## رابعاً: تصدي الشيخ محمد الأشمر لكل ما يمس الأوضاع الإسلامية للأمة:

وكان ذلك أمراً بدهياً من رجل نشأ في الأساس نشأة إسلامية، وتربى في أجواء وحلقات علماء الإسلام أمثال: الشيخ أمين الزملكاني في حي الأكراد، ومحدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني في المسجد الأموي الكبير وفي دار الحديث، والشيخ عبد القادر شموط في جامع باب المصلى في الميدان، أضف إلى ذلك صلته بالشيخ بهجة البيطار بحكم الجوار والصلاة في مسجد واحد (الدقاق) حيث كان الشيخ بهجة إمام هذا المسجد وخطيبه وصلته بالشيخ حسن حبنكة رفيقه أيام طلب العلم على الشيخ عبد القادر شموط ورفيقه في الثورة ضد الإفرنسيين.

وتقدم على اهتمام الشيخ محمد الأشمر بقضية إسلام الأمة وتصدِّيه لما يسيئ إلى أوضاعها في هذه الناحية مثالين:

**المثال الأول: قانون الطوائف[1]:**

فلقد لجأت فرنسا منذ دخلت إلى سورية ولبنان وفرضت سيطرتها على الحكم فيهما إلى محاولة العبث بالتشريعات التي تحكم العلاقة بين الناس بشكل يخرجها عما هو مستقر في عقيدتها وقناعتها، وكان أبرز ما نسعى إليه فرنسا ليس إصلاحاً لتشريع لم يعد يلبيِّ حاجات الناس ولا سن قانون لحالة لا يحكمها قانون من قبل، وإنما كانت تسعى إلى أحداث الفرقة بين فئات الأمة المختلفة وإشعال فتنة طائفية فيها ليتاح لها استغلال ذلك في بسط مزيد من نفوذها بحجَّة حماية هذه الطائفة وردع تلك ليشيع الأمن والاستقرار. وكان السعي لإصدار قانون أطلق عليه

(١) وهذه الحادثة سمعت تفاصيلها من المحقق الأستاذ الشيخ زهير الشاويش، ومن السيد محمد محمد الأشمر نجل الشيخ محمد الأشمر.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(قانون الطوائف) وسيلة من وسائل فرنسا هذه.

لم تكن المشكلة في إصدار قانون أو عدم إصداره، وإنما فيما يراد من هذا القانون بحيث يجري الانحراف عن أمور مقررة في الشريعة الإسلامية التي تدين بها الغالبية العظمى للأمة، نحو أوضاع مرفوضة من هذه الشريعة رفضاً مرتبطاً بعقيدتها. كأن يسمح القانون بزواج بين طائفتين هو في نظر الشريعة الإسلامية (حرام محض) لا شبهة في حرمته أبداً، ويدخل في حال حصوله ضمن مفهوم (الزنى) لا ضمن مفهوم الزواج.

كانت الحكومة الوطنية التي كان يرأسها إذ ذاك السيد جميل مردم واقعة تحت ضغط كبير من السلطات الفرنسية لإصدار هذا القانون، وكانت على وشك إصداره.

تنادى علماء الشام للوقوف بوجه هذا المسعى الحثيث لإصدار القانون وللتصدي لهذا الذي يراد بالأمة من إصداره ولإعلان رفض الأمة له رفضاً مستنداً إلى عقيدة ودين.

وكان الشيخ محمد الأشمر على رأس مظاهرة حاشدة انطلقت من حي الميدان وفيها الشيخ كامل القصاب، والشيخ بهجة البيطار، انضمت إليها جمهرة من الطلاب يقودها الشيخ علي الطنطاوي وجمهرات من طلاب المدارس الأخرى مثل: (وقاية الأبناء) للجمعية الغراء والمدرسة (المحمدية) للشيخ محمد الفقيه المصري و(الأموية) للشيخ محمد سعيد الحافظ.

وعند وصول المظاهرة إلى منطقة (الجزماتية) تعاظمت بانضمام الشيخ حسن حبنكة وزملائه من العلماء وطلبة العلم في (جامع منجك) وأهالي حي الميدان الوسطاني، وكان الهتاف يعلو:



ديننا، ديننا، لا نرضى به بديلا

وما إن وصلت المظاهرة إلى منطقة باب المصلى حتى بلغت الألوف واستقبلها وجهاء الحي أمثال: زكي آغا سكر، وصبحي آغا حباب مرحِّبين بها ومؤيِّدين لأغراضها. إلا أنهم طلبوا من المتظاهرين عدم متابعة السير إلى المدينة خشية الاصطدام مع القوات الفرنسية من جهة، ولأن مطالب المتظاهرين قد تمت الاستجابة لها من الحكومة وقد وقف السيد زكي سكر على كرسي خطيباً ليعلن أن السيد جميل مردم رئيس الوزراء اتصل به وأعلمه بأن الحكومة قد أوقفت قانون الطوائف.

وحتى لا تكون في الأمر حيلة من الفرنسيين، فقد انبرى رجل الوعي الشيخ كامل القصاب طالباً حضور السيد جميل مردم بنفسه ليعلم المتظاهرين أمام العلماء المحتشدين على رأسها برجوع الحكومة عن هذا القانون، وتكلم باقي العلماء بمثل ما تكلم به الشيخ القصاب.

وما هي إلَّا فترة قصيرة حتى وصل السيد جميل مردم، وأعلن ذلك بنفسه أمام جامع (باب المصلى) وتفرقت المظاهرة.

رجع الشيخ محمد الأشمر والشيخ حسن حبنكة إلى الميدان في عربة واحدة، ورجع الشيخ القصاب بعربة عن طريق الشاغور، وعاد الذين احتشدوا في المظاهرة كل في سبيله مشياً على الأقدام لأن (الترام) توقف في ذلك اليوم عن العمل بسبب المظاهرة.

**المثال الثاني: اعتراض الأشمر على رعاية الدولة لحفلات المجون واعتقاله عام ١٩٤٤:**

عام ١٩٤٤ تقرر إقامة حفل راقص في نادي الضباط وعلى الطريقة الغربية السائدة في فرنسا والتي لم تكن معروفة في المجتمع السوري من قبل، حيث يتراقص النساء والرجال معاً وبشكل مختلط تحت أنغام



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموسيقى الصاخبة، وتحت تأثير المشروبات المسكرة التي تدار كؤوسها بين الحاضرين في مثل هذه الحفلات مما يتيح المجال واسعاً لتفشي ظواهر أخرى ترفضها أخلاق الناس في مجتمع تسوده الأخلاق العربية في غيرتها على العرض واتّسامِهَا بالنخوة والأسس الإسلامية في تنظيم المجتمع والتي تقوم على تحريم مثل هذا الاختلاط بما يجري فيه من أجواء غير مباحة بين رجال ونساء لا تربط بينهم رابطة إلا الرغبة بالانعتاق من قيم اجتماعية كريمة، وأخلاق إسلامية سامية تصون المجتمع من الانزلاق إلى ما يخرج به عن سماته وينأي به عن القويم من أخلاقه وأعرافه وعاداته.

ولم يكن لمجتمع دمشق أن تستباح - بهذا الشكل - حرماته، ذلك أن مراقصة دمشقية دمشقياً من أبناء دينها وجلدتها في حفل عام يختلط فيه الرجال والنساء، يعد أمراً منكراً، فما بالك بفرنسي يخاصرها ويعاصرها على إيقاع موسيقى هادئة حيناً، وأخرى صاخبة حتى إذا ما تداخلت الأنفاس بالأنفاس وأضاعت الخمرة كل حذر من خطر، ثارت الرغبة وما كان لها أن تثور، وخبت الرهبة وما كان لها أن تخبو أبداً، فإذا بالناس - بعد صحوهم - غير الناس. فقد تَحَطّم حاجز الحرام وانهدم جدار العيب وارتفع عالياً عذر التحرر من كل عرف وعادة والانفلات من كل التزام بحرمات دين وشريعة.

وكان بدهياً أن يهب وجهاء دمشق وأهل الرأي فيها يتقدّمهم علماء الإسلام، غيرة على كريم أخلاق بلدهم، وصيانة لدين السواد الأعظم من أمتهم. ليحولوا دون هذا الخطر قبل حدوثه وليمنعوا مخطط إفساد - تصر فرنسا على البدء بإشاعته في بلد مثل دمشق - قبل أن يشتعل فتيله وتوقد ناره.

لم تتراجع السلطة الفرنسية عن تصميمها على إقامة الحفل ذلك أنه



ضمن مخططها الذي ما استعمرت البلاد إلا لتحقيقه. وهي لا تأبه بفتنة قد تقع ودماء قد تسفك، فلربما كان ذلك كله من ضمن المخطط وغرضاً من أغراضه.

توافدت وجوه البلد وعلماؤه إلى دار الأشمر ليتدارسوا الأمر معه لما يعرفونه من حميته لدينه وغيرته على أخلاق أمته، ولم يكن الأشمر ليقصِّر في أمر كهذا، أو ليتخلى عن قيادة تحرك شعبي لمنع مثل هذا الحفل الذي يصدم مشاعر الأمة ويمس حرمة من حرماتها. فأوعز بعقد اجتماع شعبي كبير في جامع تنكز الذي يتوسط شارع جمال باشا - النصر حالياً - فإذا بالناس يتوافدون إليه ألوفاً شباباً مسلماً متحمِّساً خلف علماء هم أعلام دمشق وذَوُو الكلمة المسموعة فيها.

هال الأمر الحكومة السورية الوطنية التي وجدت نفسها وقد وضعت بين حجري رحى، حجر الأمة بجماهيرها الشعبية وعلمائها وزعمائها يتقدمهم الشيخ محمد الأشمر لمنع الحفل.

وحجر السلطة الفرنسية التي رأت في مثل هذا التحرك الجماهيري كسراً لهيبتها وتحدِّياً لها وللمؤسسة العسكرية التي تسيطر عليها، ذلك أن هذا الحفل المشؤوم سيجري في نادي الضباط وهو أحد مظاهر السلطة العسكرية لفرنسا في دمشق.

وقد كان على هذه الحكومة أن تجد لهذه الأزمة مخرجاً يتّسم بالحكمة بحيث تتخلص من ضغط الشارع الذي يقوده في تحركه الشيخ محمد الأشمر مع مجموعة العلماء، كما تتخلّص من ضغط السلطات الفرنسية التي كانت تراقب الوضع وتحاول العبث بالخيوط لإحداث فتنة.

أوفدت الحكومة التي كان يرأسها السيد سعد الله الجابري وزير



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الداخلية السيد لطفي الحفار يرافقه مدير الأمن العام السيد أحمد اللحام لاستطلاع الأمر في المستوى الشعبي، حيث قاما بزيارة الشيخ محمد الأشمر الذي ألحَّ على طلبه في منع الحفل، فتمت الاستجابة لذلك ومنع الحفل فتحقق للجماهير الشعبية الملتفة حول الشيخ محمد الأشمر، وعلماء دمشق ووجهائها مطلبهم الذي تحركوا بسببه.

ومن جهة ثانية ـ وبضغط من السلطة الفرنسية وربما برضى من رئيس الوزراء السيد سعد الله الجابري، الذي كان يلمس في هذا التحرك أصابع للجمعية الغراء التي لم يكن على وفاق معها ـ فإن الحكومة اتَّخذت قراراً باعتقال الشيخ محمد الأشمر ونفيه إلى جزيرة أرواد ساعية من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف:

**الهدف الأول:** إظهار هيبتها أمام الناس، والظهور بأنها هي السلطة التي تقرر، وأنه لا بد من تنفيذ القانون على أي كان.

**الهدف الثاني:** امتصاص ضغط السلطة الفرنسية واحتوائه ووضعه في حدوده الدنيا.

**الهدف الثالث:** محاولة الحد من زعامة الشيخ الأشمر الذي أصبح في مركز ربما يشكل حالة ضاغطة على الحكومة من خلال الالتفاف الشعبي حوله.

**الهدف الرابع:** توجيه رسالة إلى الجمعية الغراء التي كان رئيس الوزراء يظن بأنها كانت وراء هذه الحركة منذ بدايتها، وذلك لأسباب تعود إلى فتور العلاقة بينه وبين هذه الجمعية التي كان لها ـ إذ ذاك ـ تأثير كبير على مستوى حركة التعليم الإسلامي ـ بأن الحكومة قادرة على التحرك ضد أي مساس بهيبتها. وكان مرد الظن بالجمعية الغراء هو أن أحد أعضائها الشيخ أحمد الصابوني كان من الناشطين في إثارة الناس



بخطبه التي ألقاها حول هذا الموضوع في جامع الدقاق بالميدان، وكذلك في جامع منجك في الميدان كان كجامع الدقاق مكاناً لاحتشاد الجماهير والاستماع إلى خطب الشيخ حسن حبنكة في الموضوع نفسه.

ولعل من المفيد أن أقرر هنا أنني كنت ممن شهدوا ذلك الحشد واستمعوا إلى الخطب في جامع منجك وكنت لم أتجاوز العاشرة من عمري بعد.

وقد شكل ذلك الحشد في جامع منجك أول وعْي لي بالقضايا العامة وما تزال ذاكرتي تحتفظ بصورة الشيخ أحمد الصابوني بقصر قامته وسرعة حركته[١].

ولتنفيذ قرار الاعتقال حضر إلى دار الشيخ محمد الأشمر لفيف من سبعة ضباط منهم عزت الساطي وأديب الكلزلي وشريف وانلي ورفيق العظمة.

وكان حشد من الشباب المتحمّس والمسلح موجوداً داخل الدار وخارجها ينتظرون إشارة من الأشمر ليفعلوا ما يريد، لكنه آثر الروية والحكمة والتعامل مع الحدث بما يناسبه.

استقبل الأشمر الضباط السبعة بكل ود وهدوء وأدخلهم إلى المضافة حيث بلَّغوه تحيات السيد رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس مجلس الوزراء سعد الله الجابري، وأنهما يرغبان إليه أن يفسر الموضوع على أنه نزهة في جزيرة أرواد ضيفاً على رئيس الجمهورية وليس اعتقالاً، كما أبلغوه على لسان السيدين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء أن في ذلك إطفاءً لفتنة يقف وراءها الفرنسيون بهدف عرقلة الجهود المبذولة للتوصل إلى ممارسة الاستقلال بشكل كامل.

---

(١) الحديث للمحامي الأستاذ محمد صياح المعراوي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان على الشيخ محمد الأشمر أن يختار بين أمرين: فإما أن يذعن لقرار (الاعتقال - النزهة) فيعطي للحكومة فرصة التحرر من ضغط السلطة الفرنسية، وإجهاض سعي هذه السلطة لإشعال الفتنة، وفي ذلك دعم لها على طريق تحقيق الاستقلال الكامل، أو أن يختار التمرُّد على هذا القرار وخوض غمار معركة مع الحكومة الوطنية تتيح للفرنسيين من الذرائع لعرقلة مساعي الاستقلال ما تتيح.

وكان طبعياً أن يختار الشيخ محمد الأشمر الإذعان لتنفيذ القرار ذلك أن ما أراده من الانتصار لدين الأمة وأخلاقها قد تحقق له بمنع الاحتفال. وقد كان تحركه الذي أدَّى إلى هذه النتيجة تحركاً لله. أما موضوع الاعتقال فهو موضوع خاص وهو لا يريد الخلط بين ما لله وما لنفسه. لذلك توجَّه إلى الشباب المحتشدين داخل الدار وخارجها ليقول لهم:

(إن العمل الذي كان لله قد انتهى وتم منع الاحتفال، ولا أرغب أن يصاب أحد من أجلي. فقد كان عملي لله لا لنفسي. فإيَّاكم والتظاهر. وإنني ذاهب إلى دار رئيس الجمهورية شكري القوتلي. وإن ذهابي برغبتي فإيَّاكم والفتنة).

ثم غادر الدار - بعد أن صلى ركعتين - برفقة الضباط المذكورين آنفاً الذين توجهوا به إلى قلعة دمشق حيث استقبله فيها قائد الدرك العام (هرانت بك). وبعد استراحة قصيرة تبادل فيها أحاديث ودِيَّة مع قائد الدرك وبعض الأصدقاء الآخرين، غادر الشيخ محمد الأشمر القلعة متوجِّهاً إلى أرواد يرافقه أحد عناصر الدرك إضافة إلى سائق السيارة الحكومية، وكان الوقت قبل الفجر.

عند وصول السيارة إلى قرب (جسر تورا) - وكان قد حان وقت الفجر - طلب الشيخ الأشمر من السائق الوقوف. حيث نزل وابتعد عن



الطريق العام ليمدَّ عباءته على الأرض ويرفع أذان الفجر وإقامة الصلاة. وبعد تأدية الصلاة وقراءة ورده المعهود عاد إلى السيارة فوجد السائق والمرافق نائمين. فتركهما على حالهما وجلس لوحده يتأمَّل ملكوت الله فيسبِّحه تارة ويقرأ آيات من القرآن الكريم تارة أخرى. حتى إذا ما بزغت الشمس ولامست أشعتها وجْهَيْ المرافق والسائق استيقظا ليجدا الشيخ الأشمر بانتظارهما. فما كان منهما إلا أن بادرا هما الاثنان أيضاً إلى الوضوء والصلاة وبعد ذلك استأنفا السير.

لا بد لنا من وقفة نتأمل فيها هذا المشهد. فمهما يكن أمر الرجل فهو في كل الأحوال مُعتَقل في طريقه من دمشق إلى أرواد، أسير لمرافقه وللسائق الذي يقود السيارة. وهذان الاثنان مسؤولان عنه وعن إيصاله إلى أرواد وتسليمه إلى المسؤولين فيها. فكيف يتأنى لهما السماح له بالنزول من السيارة والابتعاد عن الطريق العام لأداء الصلاة. والأكثر إلحاحاً بالتساؤل هو كيف يناما عنه وعن مراقبته؟

مهما حاول المرء أن يجد تفسيراً لهذه الواقعة فلن يكون أمامه إلا أمر واحد يبرِّرها ويضعها في موضعها الصحيح، ألا وهو أن هذا المجاهد الكبير كان - إلى ما يَتَّصف به من شجاعة وإقدام في ساحة الجهاد في سبيل الله - أميناً في وعده حافظاً لكلمته لا يكذب ولا يخون فهو منذ أن قبل العذر الذي قَدَّمته له الحكومة في أن اعتقاله يطفئ فتنة تسعى فرنسا لإشعالها ويحفظ البلاد والأمة من التعرض لتدخل هذه السلطة الباغية التي كانت ما تزال رابضة على الأرض السورية. فإنه ارتضى طائعاً مختاراً أن يذعن لقرار الاعتقال تفويتاً على العدو لأيِّ فرصة يحاول اقتناصها هذا العدو والتسلُّل من خلالها لتعكير المسعى الوطني في الجلاء والاستقلال.

ولو كان الأشمر غير راض بالاعتقال لتمنَّع في داره عندما حضر



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضباط السبعة إليه يشرحون له الأمر ويعلنون له مبرراته ويتلطفون معه بأن الأمر سيكون بمثابة ضيافة على السيد رئيس الجمهورية ـ صديقه ورفيقه في الجهاد ـ السيد شكري القوتلي، خاصة وأن داره كانت ملأى بالرجال يدافعون عنه ويبذلون في ذلك الغالي والرخيص. لكنه عمل على تهدئتهم وطلب السكون منهم حين قال قولته المشهورة: «الذي كان لله انتهى أما لأنفسنا فنحن لا نريد لأحد أن يصاب أو يقتل».

إنَّها حكمة بليغة من مجاهد في سبيل الله لا يريد على جهاده ثمناً من الدنيا ولذاتها، لذلك فإنه كان ذا حس على مستوى رفيع من الرهف بحيث يميِّز بين ما هو لله وما هو من حظوظ النفس البشرية، فالاعتقال وعدم الاعتقال أمر لم يعد له موضع من الاهتمام كبير بعد أن حقق النصر فيما هو لله بإلغاء الحفل الذي كان السبب في هذه القضية.

تابع السائق والمرافق ومعهما الشيخ محمد الأشمر السير. وعلى مشارف مدينة حمص فوجئ الشيخ بمجموعة من المجاهدين من حمص والقلمون وعلى رأسهم (الشهلا)، المجاهد البطل ـ الذي غلب عليه هذا الاسم بين الناس ـ حيث قامت هذه المجموعة باستقبال الأشمر والإحاطة به، ومحاولة إقناعه بعدم تنفيذ قرار الاعتقال معلنين له استعدادهم لحمايته ومنع الوصول إليه، حتى لو اقتضى الأمر إعلان الثورة من جديد. إلا أنَّه لم يستجب لذلك وأعاد عليهم ما قاله لرفاقه في دمشق: «الذي كان لله انتهى أما لأنفسنا فنحن لا نريد لأحد أن يصاب أو يقتل من أجلنا، والعدو الفرنسي ينتظر هذه الفتنة».

ثم تابع السير حثيثاً إلى طرطوس حيث استقبله نائب طرطوس رياض عبد الرزاق في المجلس النيابي واستضافه في داره.

زار الأشمر في دار النائب المذكور عدد من الناس بينهم شاب كردي دمشقي من آل (ديركي) وآخر من حي الميدان وأعلنا للأشمر أنه



يوجد تحت إمرتهما ستون دركياً من دمشق بين كردي وميداني وبعض أهالي جبل عكار، والزاوية، وحمص، وحماه، وأنهم مستعدُّون للعصيان والثورة كي لا يَتِمَّ الاعتقال، ولكنَّه شكرهم وأحسن إليهم بالكلام شارحاً لهم الأمر بأن رفاقه في الجهاد وعلى رأسهم رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي وحتى رئيس الوزراء سعد الله الجابري، رأوا في تنفيذ قرار الاعتقال أنسب شيء لحقن الدماء والقضاء على فتنة يستفيد منها الفرنسيون ويسعون إليها.

وفي أرواد تم إخلاء غرفة المقدم خليل الورع الخارجة عن مبنى السجن، لتكون إقامة الشيخ الأشمر فيها لمدة ثلاثين يوماً.

وعند انتهاء المدة حضر السيدان شريف وانلي والحاج أديب خير وآخرون حيث اصطحبوا الشيخ في طريق العودة إلى دمشق. لكن الأشمر آثر أن لا يعود إلى دمشق مباشرة حيث قام بجولة بدأها بمدينة (القنيطرة) حيث استقبله شباب حي الميدان العاملين فيها وأقاموا له حفلة غذاء، ثم غادرها إلى (خربة الغزالة) برفقة الضابط شريف وانلي أيضاً حيث جرى له استقبال كبير اشترك فيه أهالي حي الميدان وأهالي حوران، وقد وفدت إلى خربة الغزالة مجموعات كبيرة من أهالي القرى المجاورة للسلام على الشيخ الأشمر. وكل قرية محملة ـ حسب العادة والعرف ـ بالغنم والبرغل وما تيسر من الهدايا المختلفة.

وكان في استقبال هذه الوفود وتقديم الطعام لها ثلة من أبناء حي الميدان العاملين في (خربة الغزالة) أمثال السادة: غالب زباد، وغالب شعلان، ومسلم زباد، وأبو شاكر عطايا، وحسني الحلاق، ومحمد سعيد دقماق، وصلاح أكتع ومحمد سعيد البردان، ومجموعة من آل المزيك والقدة والمهايني وأبو رشيد، وآل البعل وغيرهم.

كما وفد إليه في (خربة الغزالة) أهالي حي الميدان في عدد كبير



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من السيارات كما أتاه من جبل العرب بنو معروف وعلى رأسهم يوسف وصياح الأطرش.

وقد تهيبت الحكومة من أن تتطور مظاهر الحفاوة بالأشمر على هذا الشكل الكبير إلى ما لا تحمد عقباه، فطلبت من شيخ اللجاه السيد طلال أبو سليمان الملقَّب (أبو سعدو) دعوة الأشمر إلى بلده باعتباره من أصدقائه القدامى، وفعلاً فقد استضاف الأشمر في بلده حيث حضر عدد من المسؤولين وهنَّأوا الشيخ بالسلامة وقدموا له الاعتذار، واتفق الجميع على طي هذه الصفحة لمصلحة الأمة والوطن. وعاد الأشمر من بعد ذلك إلى داره في حي الميدان زعيماً وجيهاً قائداً، له من المكانة ما لم يتهيّأ لذي منصب وسلطان.





## المرحلة السادسة ـ الجائزة

## (الماركسية تسعى إلى شيخ)

يقف الدارس لقصة جهاد الشيخ محمد الأشمر أمام حدث شغل وما يزال الكثيرين من الباحثين وخاصة منهم من ينظر إليه بإعجاب ومحبة.

ذلك الحدث هو زيارة الشيخ محمد الأشمر إلى الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ومنحه من بعد ذلك جائزة ستالين للسلام.

إن ترشيح إنسان لنيل هذه الجائزة أمر ليس غريباً من حيث المبدأ ما توفرت فيه الشروط المطلوبة لاستحقاقها في نظام منح هذه الجائزة.

وشروط كل جائزة إنما توضع لتحقيق أمور ترتبط بغايات وأهداف وعقائد و- في كثير من الأحيان ـ سياسات المؤسسة المانحة.

وعلى سبيل المثال، فإنه لا يمكن منح جائزة مثل جائزة الملك فيصل إلى باحث ماركسي مثلاً، ذلك أن مثل هذه الجائزة يفترض أنها إنما وُضِعَتْ في الأساس للتَّشجيع على تقديم أبحاث تثري العمل الإسلامي والفكر الإسلامي بما يقدمه للناس على أنه رسالة الله عزّ وجلّ إلى البشر كافة، لإقامة مجتمعات مؤمنة نظيفة يسودها العدل والسلام، فكيف يمكن منحها لكاتب أو باحث ينكر أي مصدر إلهي لمثل هذه الرسالة بل ويعتبرها حدثاً تاريخياً لا يمكن تناوله بالدراسة إلا بمقاييس البحث التاريخي وفق المعايير الديالكتيكية المعتمدة في فلسفة (ماركس ـ لينين) التي تقدِّم بدائل لإقامة المجتمعات وتنظيمها تختلف جذرياً عن الأسس التي يقدِّمها الإسلام في هذا المجال؟

ومثل هذا تماماً فإن جائزة ستالين للسلام يفترض أنها إنما وُضِعَتْ في الأساس للتشجيع على تقديم أبحاث وأفعال ومواقف تدعم وجهة النظر الماركسية سواء في مجال التعامل مع المادة، أو في مجال التعامل مع الحوادث في سيرورتها التاريخية. ومن خلال الحث على تغذية الإيمان بحتمية الثورة على الإقطاع والرأسمالية لإقامة البديل الاشتراكي تمهيداً للوصول إلى الشيوعيَّة في نهاية المطاف من خلال الإيمان المطلق بصراع الطبقات، هذا الصراع الذي تفرضه حالة التناقض بين مصالح الفقراء والأغنياء، وبين العمال المنتجين بجهدهم، وأرباب العمل مالكي وسائل الإنتاج الآلية الذين لا يُقَدِّمُون جهداً وإنما يقدِّمون مالاً يشترون به جهد العامل وحاجته. ناهيك بعد ذلك عن دعم التوجهات السياسية للاتحاد السوفييتي ـ الذي كان موجوداً إذ ذاك ـ وتأييدها باعتبار أن هذا الاتحاد يرمز إلى حالة التقدم بالماركسية من مرحلة النظرية إلى مرحلة التنفيذ.

وقد كان طبيعياً أن تمنح هذه الجائزة ـ جائزة ستالين ـ لمن تتوفَّر فيه صفات وتعرف عنه أفكار وأفعال ومواقف تعبر بشكل أو بآخر عن هذه الأهداف المرجوة من منحها على الشكل الذي أسلفناه. فهل الشيخ محمد الأشمر هو كذلك.

لقد نشأ الأشمر واكتسب معارفه الفكرية من عِدَّة مصادر، كان من أوثقها وأوضحها المصادر التالية:

**المصدر الأول:** هو الشيخ أمين الزملكاني في جامع حي الأكراد حيث أخضع الأشمر إلى عزلة لمدة أربعين يوماً، مددها أربعين أخرى، تلقى فيها أصول الممارسة الصوفيَّة على الطريقة النقشبندية.

**المصدر الثاني:** هو الشيخ عبد القادر شموط في مسجد باب المصلى في حي الميدان التحتاني، حيث تلقى على يديه العلوم الشَّرعية



من فقه وعقيدة وتفسير، وكان زميله في ذلك الشيخ حسن حبنكه الميداني حيث كان هذان الطالبان للعلم يقيمان في غرفتين متجاورتين من غرف هذا المسجد.

**المصدر الثالث:** هو الشيخ بدر الدين الحسني محدث الشام في مسجد بني أميَّة الكبير، وفي دار الحديث في العصرونية حيث تلقى على يديه حديث الرسول ﷺ.

فإذا أضفنا إلى كل ذلك أن الشيخ الأشمر نشأ وترعرع في بيئة اجتماعية محافظة على التَمَسُّك بأهداب دينها الإسلام في جميع مناحي الحياة، وفي حي تكثر فيه المساجد يؤمُّها أبناء الحي بشكل كثيف يؤدُّون فيها فريضة الصلاة ويتداولون فيها بأمور دينهم: يتجلى لنا بوضوح أن الشيخ محمد الأشمر أبعد ما يكون من أن يتم ترشيحه لنيل جائزة ستالين للسلام.

لكن الترشيح حصل والجائزة منحت له، فكيف كان ذلك وما الدافع إليه؟

تختلف الروايات قليلاً في توثيق البداية. من أين انطلقت ومن الذي أطلقها؟.

على أن هذا الاختلاف ليس فيه ما يُؤثِّر في نفي الواقعة أو إثباتها، فالوقائع ثابتة في حصولها. إلا أن الاختلاف يتَّضح في:

١ ـ رواية تبدأ في منزل العلامة الكبير الشيخ بهجة البيطار بمسعى روسي،

٢ ـ ورواية تبدأ في كازية المهايني في نهاية حي الميدان بمسعى إنكليزي.

والذي تطمئن له النفس أن الروايتين صحيحتان إلا أن الترتيب هو المختلف.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن الاطمئنان إلى أن البداية كانت مع الشيخ بهجة البيطار بمسعى روسي، وفي منزله، فلما فشل المسعى بدأ مسعى آخر مع الشيخ محمد الأشمر عبر ساعٍ إنكليزي.

يروي السيد محمد بن الشيخ محمد الأشمر أن الرأي بادئ ذي بدء كان متَّجهاً نحو ترشيح العلامة الكبير الشيخ بهجة البيطار، حيث يُرْوَى عن أحد أفراد عائلته أن موظَّفاً في السفارة السوفيتية حضر إلى دار الشيخ بهجة في حي الميدان وطلب إليه الموافقة على انضمامه إلى لجنة (أنصار السلام) والسَّفر إلى موسكو لزيارة المسلمين في الاتحاد السوفييتي والإطِّلاع على أحوالهم كما تحدث معه حول جائزة السلام والمنحة المادية. إلا أن الشيخ بهجة استطاع أن يعتذر عن عدم الموافقة بأسلوب حكيم - عرف به - حيث توجه إلى الموظف القادم من السفارة السوفيتية بإبداء عدم الرغبة، وبأن ثمة من هو أصلح منه لمثل هذه الجائزة ويتمتع بمزايا شعبية، وهو المجاهد الشيخ محمد الأشمر فهو مسلم مؤمن وهو زعيم ثورة ضد الاستعمار، وقد استوضح موظف السفارة المذكور كثيراً عن الأشمر.

وقد التقى الشيخان البيطار والأشمر بعد ذلك عدّة مرات في غرفة الشيخ بهجة في جامع الدقاق، حيث إنه إمام وخطيب الجامع المذكور. وكان الاثنان يلتقيان كثيراً قبل ذلك للتباحث وتبادل الآراء في شتى الأمور والمناسبات.

وفي أول لقاء بين الاثنين بعد زيارة موظف السفارة للشيخ البيطار أعلم البيطار الشيخ الأشمر بما جرى حول هذا الموضوع.

بعد رفض الشيخ بهجة البيطار لمسعى موظف السفارة السوفيتية، واقتراحه اسم الأشمر باعتباره الأصلح لذلك، لكونه زعيماً شعبياً وقائداً لثورة ضد الاستعمار الفرنسي بدأت مساعٍ من نوع آخر للوصول إلى الشيخ الأشمر.



الذي يميِّز هذه المساعي الجديدة ويلفت النظر إليها بنوع من الاستغراب والدهشة هو أن الذي قام بها هو مدير شركة (شل) هو المستر كوك وهو بريطاني الجنسيَّة وليس من رعايا الاتحاد السوفييتي.

لماذا يقوم مدير شركة من (شركات البترول) العالمية الكبرى، ومن رعايا (دولة رأسمالية) كبرى هي بريطانيا - عُرفتْ بماضيها (الاستعماري) الذي امتدَّ في شتى أنحاء العالم - بمساع حثيثة لصالح لجنة (أنصار السلام) ذات الوجه الماركسي، ولإقناع زعيم شعبي مؤمن ومجاهد ثائر ضد الاستعمار بالانضمام إلى هذه اللجنة وقبول الترشيح لجائزة (ستالين) رئيس (الدولة الاشتراكية) الأكبر في العالم والتي بينها وبين بريطانيا من التباعد والصراع إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ما يعرفه القاصي والداني، هذا الصراع الذي كان السِّمة الأساسية فيما أطلق عليه مصطلح (الحرب الباردة)؟

وللإجابة على هذا التساؤل فإن المرء يقف أمام نتيجة واحدة هي أنه إما أن يكون المستر (كوك) مدير شركة شل على صلة بأجهزة مُعَيَّنة في الاتحاد السوفييتي ويعمل لصالحها، أو أن تكون (لجنة أنصار السلام) - من خلال بعض أعضائها وليس كلهم بالضرورة - على صلة بأجهزة معينة في بريطانيا. والتثبت من أي الاحتمالين عسير لافتقاره إلى ما يرجحه.

وعلى أية حال ومهما تكن خلفيات الأمور. فإن مساعي المستر (كوك) مدير (شل) بدأت - كما يروي السيد محمد الأشمر بن الشيخ محمد الأشمر - في محطة البنزين التي يملكها السيد رشاد المهايني في نهاية شارع كورنيش الميدان في منطقة (بوابة الله).

كان الشيخ محمَّد الأشمر يجلس أصيل كل يوم إلى بعض إخوانه - فارس قريعية، وأبو فهد البسطاطي، وحيدر الحايك، وأبو فهد ظبيان



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغيرهم ـ في الحديقة الملحقة بمحطة البنزين هذه يتبادلون مختلف الأحاديث.

كانت مكاتب شركة (شل) تقع على مقربة من مكان جلوس الأشمر ورفاقه، وقد لاحظ مستر (كوك) ـ أثناء مروره أمام المحطة كل يوم في غدوه إلى شركة (شل) ورواحه منها ـ تَكَرُّرَ هذه الجلسة يومياً في حديقة محطة البنزين مما دفعه إلى سؤال صاحبها السيد رشاد المهايني عن ذلك، وعندما أعلمه بأن الجالسين هم الشيخ محمد الأشمر ورفاقه طلب إليه تعريفه بهم وتقديمه إليهم، فاستجاب صاحب المحطة لهذا الطلب.

في أول لقاء للمستر (كوك) مع الأشمر ورفاقه في المحطة المذكورة أظهر مدير شركة (شل) حرارة ملحوظة في تحيته لهم عَبَّرت عن اهتمام مقصود بالشيخ الأشمر حتى أن المرء ليكاد ـ لو أطلق لخياله العنان ـ أن يظن بأن قضية الجلوس يومياً في حديقة محطة البنزين المذكورة ودعوة الشيخ محمد الأشمر إليها ربما لم تكن عفوية أبداً وربما كانت مهيئة بشكل أو بآخر ـ دون علم الأشمر ورفاقه ـ ليبدو اللقاء والتعارف مع مستر (كوك) وكأنه مصادفة غير متوقعة.

تكررت زيارات مستر (كوك) للشيخ محمد الأشمر، ولدى افتتاح السيد فارس قريعية محطة بنزين في (غباغب) ـ على الطريق العام بين دمشق ودرعا وأقرب بلدة إلى دمشق من قرى محافظة حوران ـ فإن هذه المحطة شهدت أكثر من لقاء بين مستر (كوك) والشيخ محمد الأشمر، حيث قدم مستر (كوك) للأشمر بعض الكتب عن أحوال المسلمين في الاتحاد السوفييتي والصين وشجعه على القيام بزيارة إلى هاتين الدولتين للاطلاع على أحوال المسلمين فيهما عن كثب.

وفي نفس الوقت فإن ثمة اتصالات موازية جرت من جانب (لجنة أنصار السلام) ساهم فيها السيد موفق عرار ـ وهو تاجر حبوب في خربة



الغزالة ومن أهالي حي الميدان ـ وصديقه رئيس قسم الدرك في قرية الغزالة السيد عبد المجيد قوطرش والسيد بكري قوطرش وهما ابنا عم الأمين العام للحزب الشيوعي السوري السيد خالد قوطرش المعروف باسم (خالد بكداش).

نتيجةً لكل ذلك أصبح تردد السادة المحامي مصطفى أمين وأحمد أباظة والمحامي نصوح الغفري والمهندس مراد القوتلي على مضافة الشيخ محمد الأشمر أمراً مألوفاً.

تمَّت دعوة الأشمر لزيارة الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي وراح الأشمر يهيئ نفسه ويُعِدُّ العدة لها، وقد تحدث بهذا الخصوص مع المفكر القومي العربي الأستاذ ممدوح رحمون، ورغب إليه مرافقته في هذه الرحلة، إلا أن الأستاذ ممدوح اعتذر عن عدم تلبية هذا الطلب.

وأثناء زيارة قام بها الأشمر إلى بيروت قبل السفر إلى الصين والاتحاد السوفييتي ـ وكان ينزل في فندق الأهرام في شارع فوش الذي كان يؤمه زائرو بيروت من أهالي الميدان ـ فإنه فوجئ بموظف في السفارة السوفيتية يقوم بزيارته في هذا الفندق ليعلمه بأن هنالك منحة مالية ستقدم له من خلال منحه جائزة ستالين للسلام، وبعد حديث مطول بين الرجلين فإن الأشمر طلب من الموظف المذكور الانتظار حتى يعود إلى دمشق ويدرس الموضوع ثم يعطي رده على ذلك.

ويروي السيد محمد الأشمر نجل الشيخ محمد الأشمر؛ أن والده لدى وصوله إلى دمشق عائداً من بيروت بادر لتوه إلى الذهاب لمنزل الشيخ بهجة البيطار ونقل إليه حديث موظف السفارة السوفيتية الذي زاره في فندق الأهرام في بيروت مبدياً امتعاضه وميله إلى رفض الزيارة التي كان يعد نفسه إليها؛ إلا أن الرأي استقر ـ بعد بحث مطول وتقليب الأمر من جميع وجوهه ـ على أن هذه المنحة هي منحة دولة لا منحة

شخص وأنها من لوازم الجائزة نفسها، كما أن الشيخ بهجة أشار على الأشمر أن يكون تقليد الجائزة في حفل يقام في دمشق وليس في موسكو، وقد حصل له ذلك حيث تم تقليده الجائزة في حفل كبير أقيم في سينما الفردوس بدمشق بعد عودته من زيارة الصين والاتحاد السوفييتي.

أثناء الرحلة التي استمرت ستة أشهر، ثلاثة في الصين ومثلها في الاتحاد السوفييتي كان الشيخ الأشمر موضع حفاوة ظاهرة، حيث رافقه في الصين رئيس إحدى الولايات المسلمة السيد برهان الدين الشهيدي حيث كان في خدمته في حله وترحاله يذهب معه حيث يريد ويشاء، فزار كثيراً من المدن والأماكن المختلفة اطَّلع فيها على أحوال المسلمين هناك وأخذ عن حالتهم فكرة شاملة، ثم غادر الصين إلى الاتحاد السوفييتي إلا أنه لدى هبوط الطائرة في أحد المطارات في سيبريا أصيب الشيخ الأشمر بنوبة قلبية حادة فنقل إلى مستشفى في موسكو حيث تَمَّت معالجته والعناية به، وبعد شفائه من هذه الأزمة الصحية العارضة قام الشيخ الأشمر بجولات في بعض المدن السوفيتية ـ اطَّلع فيها كما اطلع في الصين ـ على أحوال المسلمين وكَوَّن عنهم فكرة كتلك التي كونها عن مسلمي الصين، ثم عاد إلى دمشق بعد غياب استمر زهاء ستة أشهر حيث استقبل فيها استقبالاً حافلاً اشتركت فيه الوفود الشعبية من أحياء دمشق وخاصة حي الميدان، وكذلك من قِبَلِ لجنة أنصار السلام وبعض قيادات الحزب الشيوعي السوري.

إثر عودة الشيخ الأشمر إلى دمشق من رحلته إلى الصين والاتحاد السوفييتي بدأت الاستعدادات لاستقبال وفد الاتحاد السوفييتي لتسليمه جائزة (ستالين العالمية للسلام بين الشعوب) وقد تقرَّر أن تقام الحفلة في سينما الفردوس بدمشق يوم السبت في ١٧/٣/١٩٥٥.

قدم الوفد السوفييتي وكان من أبرز الوجوه فيه الشيخ ضياء الدين



برهان والكاتب الكبير تيخونوف والمستعرب الأكاديمي تسيرتيلي وهو دارس وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية والعربية ورئيس دائرة اللغة العربية في القسم الشرقي من جامعة تفليس.

ولدى وصول الوفد السوفييتي إلى دمشق فإنه قام بزيارة القصر الجمهوري وتسجيل أسماء أعضائه في سجل التشريفات، ثم قصد بعد ذلك إلى بيت المجاهد الشيخ محمد الأشمر في حي الميدان حيث كان أهالي الحي في استقباله وعلى رأسهم الشيخ الأشمر نفسه.

وفي هذا اللقاء الأول في بيت الأشمر بحي الميدان ألقى الكاتب والشاعر السوفييتي تيخونوف كلمة عبّر فيها عن مشاعر الشعب السوفييتي نحو الشعب السوري وعن تمنياته الطيبة للشيخ الأشمر كما تكلم كل من الشيخ ضياء الدين برهان والمستعرب تسيرتيلي باللغة العربية الفصحى وعبرا عن عواطفهما تجاه الشعب السوري والشيخ الأشمر، وقد تكلم الشيخ الأشمر شاكراً للوفد زيارته الكريمة كما تكلم السيد نوري الحكيم نائب دمشق السابق عن حي الميدان في دمشق شاكراً أيضاً هذه الزيارة لحي الميدان المجاهد.

وفي يوم السبت ١٧/٣/١٩٥٥ التأم جمع الناس في الاحتفال بتسليم الجائزة للشيخ الأشمر في صالة سينما الفردوس بحضور جماهير شعبية كبيرة وعدد من الشخصيات الرسمية والشعبية البارزة حيث قام الشيخ ضياء الدين برهان بتقليد الشيخ محمد الأشمر وِسَامَ السلام، كما ألقى الكاتب والشاعر تيخونوف في هذا الاحتفال كلمة بالنيابة عن لجنة (جائزة ستالين العالمية للسلام) رد عليها المحتفى به الشيخ الأشمر بكلمة مناسبة[1].

(١) يمكن الرجوع إلى نص الكلمتين في الملحق الذي جمعت فيه الكلمات وبرقيات التهنئة الخاصة بهذه المناسبة وذلك في الصفحة (٢١١) وما بعدها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد انتهاء الحفل وتسليم الجائزة قام الوفد السوفييتي بعدة زيارات لبعض الأماكن ولبعض الشخصيات الهامة، وقد شملت هذه الزيارات سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية الدكتور أبو اليسر عابدين حيث تم في هذه الزيارة إلقاء عدة كلمات من قِبَلِ أعضاء الوفد مثل الكاتب تيخونوف والشيخ ضياء الدين برهان والمستعرب تسيرتيلي وقد عقب عليه الأديب الدمشقي الأستاذ حمدي عبيد، ثم تكلم سماحة المفتي شاكراً للوفد قدومه إلى سورية.

كما قام الوفد بزيارة لموقع ضريح الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع السوري في حكومة الملك فيصل الذي استشهد أثناء تصديه للقوات الفرنسية التي زحفت من لبنان باتجاه دمشق للقضاء على الحكم العربي فيها وبسط سلطة الاستعمار الفرنسي عليها.

كما قام بزيارة المجلس النيابي حيث تم استقبال هذا الوفد من قبل نائب رئيس المجلس السيد رفيق بشور وحضور السادة النواب عبد الصمد الفتيح وعبد اللطيف اليونس وراتب الحسامي، وقد جرى في هذا اللقاء حديث ودي بين الشاعر تيخونوف وهؤلاء النواب وتبودلت الآراء عن أهمية نضال الشعوب العربية ضد الاستعمار والصهيونية ومساعدة الاتحاد السوفييتي في ذلك وأهمية نضال الشعوب من أجل السلم والتعاون الدوليين.

كما خصص الوفد وقتاً كافياً لزيارة الجامعة السورية حيث استقبله رئيسها الدكتور أحمد السمان وجرى تبادل الأحاديث حول تطور الجامعة وعن اللغة العربية واستعمال اللغة الفصحى في التدريس الجامعي.

وأثناء هذه الزيارة قدم المستعرب تسيرتيلي هدية نفيسة من الكتب المطبوعة في جورجيا عن اللغة العربية وعن اللهجات في آسيا الوسطى وعن النقود العربية التي وجدت هناك، وإثر تسليم الجائزة ومغادرة الوفد



السوفييتي لسورية توالى سيل البرقيات إلى الشيخ محمد الأشمر بالتهنئة وكان أبرزها برقية مفتي آسيا الوسطى وكازاخستان عضو اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلام سماحة الشيخ إيشان باباخان بن عبد المجيد خان، وكذلك برقية وكيله ضياء الدين باباخان، كما وردت برقية مفتي سيبيريا والقسم الأوروبي في الاتحاد السوفييتي شاكر خليل الدين.

وتنتهي الحكاية، حكاية جائزة ستالين.

والشيخ الأشمر، يصبح عضواً في (لجنة أنصار السلام).

فماذا بعد؟

من استفاد من الآخر؟ الحزب الشيوعي السوري أم الشيخ الأشمر أم قضية السلام ذاتها؟

أما عن قضية السلام فإن الأشمر كما كان ثائراً ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا وضد الاستعمار الإنكليزي في فلسطين فإنه كان في نفس الوقت ـ وقت الثورة ثم بعدها ـ داعية سلام، وهو إذا كان يقاتل الفرنسيين والإنكليز فإنما كان يفعل ذلك دفاعاً عن أمن أمته وسلامتها في دينها ومعتقدها وأرضها ضد من احتلوا الأرض وامتهنوا الدين والعقيدة، فعمت المظالم واضطرب حبل الأمن والهدوء، وما كان لاستعادة ذلك كله من سبيل إلا الثورة المسلحة التي لم تكن غاية مقصودة لذاتها وإنما كانت وسيلة لاستعادة الأمن والأمان والسلامة والسلام للدين والأمة والوطن، وبهذا فإن قضية السلام لم تكسب (داعية سلام جديد) بمنح هذه الجائزة للشيخ الأشمر، كما أنها لم تكن لتخسر شيئاً لو أنها لم تمنحه هذه الجائزة، فالرجل رجل سلام بالجائزة وبدونها.

وأما عن الشيخ الأشمر ـ كزعيم شعبي وثائر مجاهد ـ فإن ما



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كسبه من صداقة بعض الرموز الشيوعية في دمشق لا يعادل ما ترتب على ذلك من تساؤلات في الأوساط الأخرى التي كانت ترى في الشيخ محمد الأشمر مسلماً مؤمناً مجاهداً في سبيل الله نشأ في المساجد وتخرّج على أيدي علماء الإسلام وانخرط في الثورة كامتداد لهم، تساؤلات كانت في بعض الأحيان تلقى بعضاً من ظلال الامتعاض دون أن تصل إلى مستوىً من الشك والريبة.

أما الشيوعيون في سوريا - وفي دمشق خاصة - فقد كانوا المستفيدين من ذلك بشكل ظاهر وملموس، فقد اخترقوا ساحة كانت مغلقة بالنسبة إليهم ودخلوا مجتمعاً لم يكن لهم فيه وجود ظاهر محسوس، فأصبحوا من رواد المضافة - مضافة الأشمر - التي يلتقي فيها كل يوم وجوه حي الميدان وذوو الحاجة وطالبو المساعدة في شتى القضايا ومختلف المشاكل وألوان الخلافات ناهيك عن تبادل الأراء - على المستوى الشعبي - في كل قضايا الأمة سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية واقتراح الحلول لها بل والسعي لتنفيذ ما يستطاع من الحلول المناسبة، حتى ليمكن تشبيه المضافة هذه بأنها كانت برلماناً حقيقياً يعبِّر عن وجه المجتمع الدمشقي بشكل عام ومجتمع حي الميدان بشكل خاص أصدق تعبير. وهل يسعى الشيوعيون وغير الشيوعيين في أي مجتمع كان إلى أكثر من أن يكون لهم حضور بارز في مثل هذا المكان؟

ولئن أصبحت مضافة الأشمر بعد منحه جائزة ستالين مزاراً يتردد إليه رموز الحركة الشيوعية وأعضاؤها الناشطون فإن ذلك لم يكن الوضع الوحيد الذي كان الشيوعيون يطمحون للاستفادة منه بل إنهم كانوا يعدون العدة للاستفادة من شعبية الشيخ الأشمر وتأثيره في مجتمع حي الميدان لتقديم دعم انتخابي في أي انتخابات تجري في البلاد بحيث تنال أصوات فئات من المواطنين لم تكن تمنحهم أصواتها من قبل.



وربما كان الشيخ محمد الأشمر - وهو الشيخ المسلم الذي نذر نفسه للجهاد في سبيل الله - يأمل بأن يؤثر في الحركة الشيوعية في سوريا أو في بعض قادتها لتعديل مواقفهم من الدِّين بما يقربهم من المجتمع الذي يبتعد عنهم لعدة أسباب، من أبرزها موقفهم السلبي من الدين عقيدة وممارسة. ولا أدل على ذلك مما رواه السيد خالد بكداش نفسه[(١)].

يقول السيد خالد بكداش:

«. . . كذلك أيدنا محمد الأشمر في الانتخابات، وجمعت في حي الميدان أصواتاً لا بأس بها، ومحمد الأشمر كان من أبطال الثورة السورية، كان ضد الاستعمار، ومع نشاط الشيوعيين في سبيل الفقراء، وفيما بعد صار محمد الأشمر رئيساً لجمعية الصداقة السورية - السوفيتية، وحاز على جائزة ستالين للسلام، وهي الجائزة التي أصبح اسمها جائزة لينين.

كان محمد الأشمر يتعاطف مع الاتحاد السوفييتي، وهو مبسوط من سلطة العمال والفلاحين على أساس أنها معنا وتؤيدنا، ومن هنا تعززت الصداقة بيني وبينه.

وعند قيام الانتخابات أرسلت بعض الرفاق للسلام عليه. فجاء من بيته في الميدان وزارني في بيتي في ركن الدين.

حدثته عن الوطن وعن الانتخابات، فطلب مني **أن أصلي الجمعة**.

قال لي: **أريد منك أن تنزل معي يوم الجمعة إلى الصلاة في الجامع الأموي**.

فقلت له: لا يا أستاذ محمد، **أنا لم أدخل المسجد قبلاً، والآن**

---

(١) خالد بكداش يتكلم، إعداد وحوار عماد نداف، ص٣٥.

**تريدني أن أدخل إليه؟** نحن على أبواب الانتخابات. سيقولون عني: **هذا رجل منافق**، ويمكن أن تضرني بذلك انتخابياً أكثر مما لو لم أنزل.

فقال محمد الأشمر: والله معك حق يا ابني.

هذه القصة حكيتها لماوتسي تونغ عندما التقيت معه في بكين في الخمسينيات فقال لي: **لماذا لم تذهب إلى الجامع؟ كان يجب أن تذهب**».

من هذا الحديث للسيد خالد بكداش عن علاقة الشيوعيين بالشيخ الأشمر وعن تأييد الأشمر له في الانتخابات يتضح صدق الرجل ويتضح أنه كان صادقاً مع نفسه وفياً لمبادئه ومعتقداته، فهو:

لم يدخل المسجد قبلاً... وإذا دخله الآن على أبواب الانتخابات سيقولون عنه: هذا رجل منافق... إلا أن الرجل جمع في حي الميدان أصواتاً لا بأس بها.

وما كانت هذه الأصوات لتأتيه لولا المضافة التي اخترقها الشيوعيون بجائزة ستالين التي منحها الاتحاد السوفييتي للشيخ محمد الأشمر سيد هذه المضافة فاخترقوا من خلالها ما كان عسيراً عليهم في مجتمع حي الميدان.

الذي يلفت النظر في هذه الحادثة التي رواها السيد خالد بكداش هو لَوْمُ ماوتسي تونغ له على عدم ذهابه إلى الجامع ورأيه بأنه كان على خالد بكداش أن يستجيب لطلب الأشمر ويذهب معه لأداء الصلاة في مسجد بني أمية.

ترى هل كان ماوتسي تونغ يرتضي لخالد بكداش أن يمارس النفاق؟

أم هل كان السيد خالد بكداش أقل وفاء للماركسية عندما رفض النفاق بالذهاب إلى المسجد الأموي؟

إنه أمر ملفت للنظر حقاً، وعِلْمُه عند منظري الفكر الماركسي لا عند غيرهم.





# مُلحق
# كلمات ورسائل وبرقيات وصُوَر

## كلمة الشيخ محمد الأشمر

**في حفل افتتاح نادي الإخوان المسلمين الرياضي في الميدان، ألقاها نيابة عنه وبحضوره الأستاذ زهير الشاويش**

وكان هذا الحفل هو الأكبر في النشاط الرياضي بدمشق، وقد حضره رئيس مجلس الوزراء الدكتور معروف الدواليبي، وألقى فيه كلمة الحكومة، كما ألقى الدكتور الشيخ مصطفى السباعي كلمة الجماعة.

وكان ذلك بحضور العدد الكبير من الوزراء والنواب والعلماء وأهل الجهاد ومندوب عن قيادة الجيش السوري، والفعاليات التجارية، وجماهير أهل الميدان.

وكان عريف الحفل الأستاذ محمد بن لطفي الصباغ، الذي قال:

«نحتفل في هذا اليوم الرياضي الكبير بافتتاح نادي الإخوان المسلمين الرياضي تحت رعاية المجاهد الأكبر فضيلة الشيخ محمد الأشمر، الذي تفضل واستجاب لنا، وإننا لنثني على الشيخ الأشمر إماماً في الجهاد، وفي مقاتلة المستعمرين.

ثم أعلن تقديم الأستاذ زهير الشاويش لإلقاء كلمة راعي الحفل الشيخ محمد الأشمر.



**كلمة الشيخ الأشمر:**

الحمد لله الذي رفع راية أهل الجهاد في سبيل الله فوق كل راية، وشرّفها بأن جعل سيدنا ونبينا محمداً ﷺ إمام المجاهدين، منذ مطلع

الدعوة إلى يوم الدين، وتبعه في ذلك أصحابه الكرام ﵃، ومن سار على دربهم من أهل العلم، والعمل، والعبادة، تقبّل الله منهم عملهم، ورحمهم أجمعين.

وبعد:

فقد طلب إليَّ إخواني وأولادي في شعبة الميدان: أن أرعى هذا الحفل الكريم، فقبلت ذلك، رغم أنني لا أحب الظهور، ولا أشهد أي احتفال، وكان ذلك مني لأنني عرفت هؤلاء الشباب متديِّنين مؤمنين عاملين للإسلام الصحيح بإخلاص.

وقد وجدت منهم المقاومة للاستعمار الفرنسي طوال وجوده عندنا حتى سنة ١٩٤٥، كما شاهدت منهم بطولات رائعة في مقاومة الاستعمار الصهيوني، وتصديهم للحكم الإنكليزي في فلسطين وما زالوا مرابطين في سبيل الله، وحمدت لهم كل مواقفهم، بارك الله فيهم، وزادهم من فضله وكرمه.

كما وجدت عندهم الرأفة والرحمة للناس جميعاً، وأعرف ما بذلوا للفقراء من معونات تقدم لهم في رمضان، والأعياد، وفي أيام الشتاء، وعند كل نكبة.

وكل هذا لا يأتي إلا من قلوب مشبعة بالإيمان، فهم بذلك كانوا من المؤمنين الأقوياء.

ورأيت منهم العناية بالقوة والرياضة المحتشمة، وسيدنا رسول الله ﷺ يقول:

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما



شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»(١). وإنني وجدت فيهم الرجال الأقوياء الأشداء الصابرين المتبعين لقول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وأنا لم أجدهم إلا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، مراكزهم في المساجد، وقلوبهم معلقة بها، بل لقد حولوا بيوتهم إلى مساجد لما كان فيها من إقامة الذِّكر، وقيام الليل فهم بفضل الله رهبان الليل، وفرسان النهار، ولا نسمع منهم سوى الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة.

وإنني أدعو الله لهم بالتوفيق، وأن يسدد خطاهم إلى ما فيه الخير، للبلاد والعباد، والله ولي التوفيق.



(١) هو حديث صحيح رواه سيدنا أبو هريرة، وأخرجه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، وانظر «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني رقم ٦٦٥٠ ترتيب زهير الشاويش.

## الكلمات المتبادلة

## أثناء زيارة الوفد السوفياتي للأشمر

الشيخ ضياء الدين يحمل تحية مسلمي الاتحاد السوفياتي إلى مسلمي سوريا وإلى العرب جميعاً.

ذكرنا في عددنا الماضي نبأ وصول الوفد السوفياتي إلى دمشق لتقديم جائزة ستالين العالمية لتعزيز السلام، إلى فضيلة الشيخ محمد الأشمر.

وقد علمنا أن أعضاء الوفد زاروا صباح أمس القصر الجمهوري وسجلوا أسماءهم في سجل التشريفات.

ثم قصد الوفد إلى بيت المجاهد الأشمر في الميدان حيث كان في استقباله أهالي الحي وعلى رأسهم الشيخ محمد الأشمر.

وهناك ألقى الكاتب والشاعر تيخونوف كلمة عبّر فيها عن مشاعر الشعب السوفياتي نحو الشعب السوري وعن تمنياته الطيبة للشيخ الأشمر ومما قال:

إننا جئنا في فصل الربيع، ومع أن دمشق مدينة قديمة ولكنها كالربيع في ازدهار مستمر وشبابها الصاعد يتفتح كالزهر ويتطلّع إلى المستقبل.

وقد شكره الشيخ الأشمر في كلمة طيبة، ثم تكلم الأستاذ نوري الحكيم وشكر الوفد، ثم تكلم الشيخ ضياء الدين برهان خان أحد



أعضاء الوفد السوفياتي بالعربية الفصحى، ونقل تحية المسلمين في الاتحاد السوفياتي إلى مسلمي سوريا وإلى العرب جميعاً.

وتكلّم المستشرق تسيرتيلي بالعربية أيضاً عن أهمية زيارته لدمشق.

ثم ودّع الوفد بما استقبل به من حفاوة.

وبعد الظهر استقبل الوفد السوفياتي في فندق سميراميس المهنئين، ومنهم أساتذة في الجامعة وكتّاب وأدباء وشباب من الأحياء. وخلال هذه المقابلات جرت أحاديث عن الأدب العربي واللغة العربية وعن الشعر الروسي والاستشراق في بلاد الاتحاد السوفياتي.

وفي المساء حضر الوفد حفلة أقيمت في جمعية الفنون الجميلة تخللها بعض الموسيقى والغناء الشرقي.

هذا وستقام حفلة كبرى مساء يوم السبت القادم في ١٧ آذار في صالة سينما الفردوس لتسليم الجائزة إلى فضيلة الشيخ الأشمر.





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## وليمة الأشمر تكريماً للوفد السوفياتي

### الوفد يزور ضريح العظمة ويضع إكليلاً
### زيارات الوفد لمجلس النواب والجامعة وسماحة المفتي

أقام فضيلة الشيخ محمد الأشمر ظهر الأحد وليمة غداء في المطعم الدولي على شرف وفد اللجنة العالمية لجوائز ستالين لقاء توطيد السلم في العالم.

وقد حضر هذه الوليمة دولة رئيس مجلس الوزراء ودولة خالد العظم وصاحبا المعالي وزير الداخلية ووزير المعارف ودولة الدكتور معروف الدواليبي والنواب السّادة راتب الحسامي وسهيل الخوري. وحضر الوليمة سعادة سفير الاتحاد السوفياتي وعدد من موظفي السفارة السوفياتية والسكرتير الأول في المفوضية التشيكوسلوفاكية.

وكان بين الحضور رئيس الجامعة السورية وعدد من أساتذة الجامعة ومن أصحاب الصحف، ورهط كبير من وجهاء حي الميدان منهم السيد نوري الحكيم، كما كان بين المدعوين أعضاء اللجنة الوطنية لأنصار السلم، وممثلون عن وفد الأردن ووفد مدينة حلب ممن قدموا للاشتراك بحفلة تسليم جائزة السلم لفضيلة الأشمر.

وقد رتبت المائدة على الطريقة العربية بألوانها المختارة وسخائها.

وبعد نهاية الوليمة هنّأ المدعوون فضيلة المجاهد الشيخ محمد الأشمر بالجائزة التي نالها.



### زيارة سماحة مفتي الجمهورية:

وكان الوفد السوفياتي قد قام صباح الجمعة بزيارة سماحة مفتي الجمهورية الشيخ أبو اليسر عابدين وألقى الكاتب تيخونوف كلمة كما ألقى الشيخ ضياء الدين بورخان كلمة بالعربية وكذلك المستشرق تسيرتيلي بالعربية أيضاً. وبعدها ألقى السيد حمدي عبيد كلمة رحب بها بالحضور، ثم تكلم سماحة المفتي وشكر الوفد على قدومه إلى سوريا وطلب أن ينقل تحية المسلمين في سوريا إلى مسلمي آسيا الوسطى والاتحاد السوفياتي.

وبعدها جرى حديث ودّي عن المسلمين وعن الاستشراق في الاتحاد السوفياتي وعن الكتب العربية القديمة.

### على ضريح العظمة:

وبعد خروجه من بيت سماحة المفتي قصد الوفد ضريح يوسف العظمة[1] ووضع إكليلاً من الزهور، وبعد الظهر زار الوفد الجامع الأموي وقبر صلاح الدين الأيوبي.

ويوم السبت زار الوفد قصر العظم وشاهد محتوياته الأثرية.

ثم قابل رئيس المجلس النيابي بالوكالة السيد رفيق بشور[2]

---

(١) هو وزير الدفاع في الحكومة العربية أيام الملك فيصل بن الحسين الهاشمي، وضريحه في ميسلون على طريق بيروت وقد قال الشاعر حافظ إبراهيم عند قبره قصيدة مطلعها:

سأذكر ما حييت جدار قبر ... بظاهر جُلَق ركب الرمالا
مقيم ما أقامت ميسلون ... يذكر مصرع الأسد الشبال

(٢) من نواب منطقة صافيا وسط سورية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحضور نائب الرئيس عبد الصمد الفتيح[1] وعبد اللطيف اليونس[2] وراتب الحسامي[3].

وخلال هذه المقابلة جرى حديث وديّ بين الشاعر تيخونوف رئيس الوفد وممثلي المجلس النيابي وتبودلت الآراء عن أهمية نضال الشعوب العربية ضد الاستعمار والصهيونية وعن الدور الذي تلعبه سوريا حالياً في مكافحة الأحلاف الأجنبية والدفاع عن الاستقلال والسيادة، وتطرّق الحديث إلى مساعدة الاتحاد السوفياتي وأهمية نضال الشعوب من أجل السلم والتعاون الدولي.



(١) من نواب دير الزور.
(٢) من نواب اللاذقية.
(٣) من نواب مدينة حمص.



## خطاب تيخونوف

### رئيس لجنة الدفاع عن السلم في الاتحاد السوفياتي

أيها الصديق العزيز صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأشمر الكريم!
يسرّني جداً أن أنقل إليكم بالنيابة عن لجنة جائزة ستالين العالمية للسلم، أفضل التحيات وأطيب التمنيات القلبية بمناسبة منح فضيلتكم جائزة ستالين العالمية «لقاء توطيد السلام بين الشعوب».

كما أن بودّي أن أرحّب بكم أجمل الترحيب باسم اللجنة السوفياتية للدفاع عن السلم وباسم جميع السوفياتيين الذين يعتبرون أن منح جائزة السلم لكم هو تقدير سام وعادل لمآثركم البارزة لدى جميع شعوب الكرة الأرضية.

ومما يسرُّني على وجه الخصوص أنني أستطيع أن أسلم إليكم هذه الجائزة السامية التي استحققتموها في عاصمة الشعب السوري المحب للحرية في مدينة دمشق الجميلة والمجيدة التي يسمونها بحق «لؤلؤة الشرق».

فدمشق اشتهرت منذ وقت بعيد بسيوفها الخاصة التي كانت تصنع من الفولاذ الدمشقي المشهور. ويُخيَّل إليّ أن خبرة أبناء الشعب السوري صنعوا أيضاً هذا المعدن النبيل البرّاق حيث لم تستطع كل المشقات والصعوبات التي اعترضت نضالهم من أجل تحرير وطنهم من نير المستعبدين الأجانب أن تحطم إرادتهم أو أن تزعزع بسالتهم.

وإنكم أنتم أيها الشيخ محمد الأشمر العزيز من هؤلاء الأبناء الخيرين.

وقد استحققتم حباً كبيراً، حب الناس البسطاء، بفضل خدمتكم الباسلة للشعب، خدمتكم التي لا مثيل لها، في السنوات الصعبة، سنوات النضال من أجل الحريَّة والاستقلال.

وأنتم أيها الابن البار لشعبكم قدوجدتم أن طريق الصداقة بين الشعوب واتحادها العظيم لدرء خطر الحرب طريق صحيحة، طريق أمن وطمأنينة لجميع الناس ذوي النوايا الطيّبة، الذين يريدون أن يسود السلم الكرة الأرضية كلها.

إن صوتكم الذي كان يدوي عالياً في أيام مقاومة الاستعمار، دوّى كذلك في اجتماعات شعبية كبيرة، وكان يسمع في الاتحاد السوفياتي عندما زرتم الاتحاد السوفياتي. وقد سمعنا كلمات الحقيقة منكم، تلك الكلمات التي ألقيتموها أنتم، أيها الوطني الكبير، والمدافع العزيز عن السلام، تلك الكلمات التي تقول: إن الشعب السوفياتي لا يهدد أحداً وهو يعنى بإنشاء المجتمع الاشتراكي الجديد.

إنني أريد أن أنقل عن طريقكم أيها الشيخ المجاهد محمد الأشمر العزيز تحية الشعب السوفياتي القلبية إلى شعب سوريا الصديق الذي تعبرون أنتم عن أمانيه ومطامحه أحسن تعبير.

إنني أتمنى لكم العمر المديد والصحة الجيدة وأتمنى لكم نجاحات جديدة في النضال من أجل السلم وتوطيد عرى الصداقة بين شعبينا، بين شعوب بلدان الشرق العربي والشعب السوفياتي لما فيه خير السلام في العالم أجمع.

عاشت الصداقة بين الشعب السوفياتي والشعب السوري! عاش السلام في العالم كله!

واسمحوا لي أن أقدم إليكم باسم لجنة جوائز ستالين العالمية، جائزة «توطيد السلام بين الشعوب».

وأرجو السيد الرئيس أن يسمح بتلاوة قرار لجنة جوائز ستالين العالمية.



## خطاب الشيخ محمد الأشمر

### عضو مجلس السلم العالمي

إني أتقدم باسمي وباسم أهالي دمشق وباسم الشعب السوري بالشكر الجزيل إلى أعضاء الوفد السوفياتي السادة الشيخ ضياء الدين خان والكاتب الكبير تيخونوف والأكاديمي المستشرق تسيرتيلي على تحملهم أعباء السفر وعلى حسن ظنّهم بي، وإني أرحب بهم وأرجو لهم مقاماً طيباً طيلة بقائهم في سوريا.

وإني أشكر الاتحاد السوفياتي حكومةً وشعباً على ما لقيته فيه من كرم الضيافة وحسن الوفادة وما تلقيته في مستشفياته من عناية فائقة طيلة مدة مرضي الذي استمر آنذاك أكثر من شهرين كنت أشعر فيها إنني بين أهل وإخوان مما خفَّف عني وطأة الألم وأبعد عني وحشة الغريب.

وإنني أشكر إخواني أنصار السلم، الذين قاموا من جميع شعوب العالم يوحدون جهودهم، ويضمون صفوفهم من أجل الدعوة إلى السلام، من أجل رفاه الإنسان وطمأنينته، من أجل أمنه واستقراره، قاموا لا يبالون بالصعاب ولا يخافون المكاره، يخوضون الدنيا شرقاً وغرباً من أجل قضية السلم ويطالبون بإنقاذ الإنسانية من السلاح الرهيب الذي وضعه العلم بين يديها من السلاح الذري والهيدروجيني نسأل الله تعالى أن يوفق أنصار السلم في مسعاهم ويشد من أزرهم ليحققوا ما فيه خير البلاد والعباد.

وإني أشكر جميع الخطباء الذين أطنبوا في ذكر صفات نسبوها



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليّ، وهي في الحقيقة صفات هذا الشعب الأبيّ الكريم الذي يكافح عن استقلاله ويناضل من أجل وحدته بصبر وجرأة وعزم مما أدهش شعوب العالم وملأ قلوبها وأسماعها بقصة كفاحه وبطولاته.

إنني أعتبر هذه الجائزة التي تقدم إلي اليوم ليست تقديراً شخصياً لي، بل اعتبرها تقديراً لجهاد شعبنا السوري والأمة العربية بأجمعها من أجل حريتها وسيادتها، من أجل خدمة قضية السلام العالمي.

إن الحركات التحرريَّة في الشعوب العربية بدأت في الوقت الحاضر تأخذ شكلاً جدياً بل ثورياً، ولا تستطيع الدول الاستعمارية أن تكبح جماح هذه الحركات أو تقضي عليها لأنها انبثقت من قلب هذه الشعوب وهي وليدة الحاجة والظروف التاريخية التي مرت على هذه الأمة في الماضي والحاضر.

إن وحدة الأمة العربية وتحررها من الاستعمار هي من أولويات القضايا التي تخدم السلم في هذه المنطقة وفي العالم، والتي تساعد على استقرار الإنسانية وإبعاد شبح الحرب.

وإننا لا نفرق بين دعوتنا للسلم وبين العمل لوحدة الأمة العربية وتحررها فهما شيء واحد.

وعلى هذا فإننا نؤيِّد الأقطاب الثلاثة في بيانهم المشترك وإنا معهم في قولهم:

«بأن العمل للسلام وتحقيقه والمحافظة عليه إنما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول على أساس من الاستقلال، والمساواة التامة بينها جميعاً، وعلى احترام حقوق الإنسان، والتزام أحكام ميثاق الأمم المتَّحدة ومبادئه».



وإننا نقول:

إن انتهاج جميع الدول لهذا التعاون الصادق واحترامها لحقوق الإنسان العربي هو في مصلحة هذه الدول وشعوبها كما هو مصلحة الأمة العربية.

إن الشعوب العربية قد بدأت حركاتها التحررية الأصيلة ولن تستطيع أية قوة في العالم أن تحول بينها وبين التحرر والوحدة.

وإننا ندعو جميع الدول والشعوب التي يهمها الأمر إلى المساهمة في مساعدة الشعوب العربية في كفاحها من أجل التحرر والسلم والوحدة، وذلك لخدمة شعوبها من جهة وخدمة قضية السلم العالمي من جهة ثانية.

إن الشعوب العربية الأكثر تطوراً في مدارج الحرية والاستقلال بدأت نضالها في سبيل التصنيع وفي سبيل رفع مستواها الثقافي والمادي.

وإن المساهمة في مساعدة هذه الشعوب وفي نضالها الاقتصادي يساعد إلى حد كبير على استقرار السلم في هذه المنطقة ويؤدي إلى تمتين العلاقات الوديَّة مع كل الدول التي تقوم بشكل جِدِّي في هذا السبيل.

إن أمتنا حملت في الماضي رسالة سلام إلى الإنسانية وهي قادرة على حملها من جديد.





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## مفتي آسيا الوسطى ومفتي سيبيريا يهنئان الشيخ محمد الأشمر بنيله جائزة السلام

**من جريدة «الأخبار» تاريخ ١٩٥٦/١/٢٢م**

بمناسبة منح جائزة السلام العالمية للشيخ محمد الأشمر وجَّه سماحة مفتي آسيا الوسطى وكازاخستان عضو اللجنة السوفياتية للدفاع عن السلام، إيشان بابا خان بن عبد المجيد خان، ووكيله ضياء الدين بابا خان، برقية إلى فضيلة الشيخ الأشمر جاء فيها:

«إنك وأنت المسلم الحقيقي الذي وهب قواه لتوطيد السلام بين الشعوب، ورفع رفاهية الشعب السوري، قد قمت بواجبك أمام الوطن، وأمام الدِّين، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾، ونحن باسم مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان نهنئك من صميم قلوبنا، بمناسبة منحك جائزة ستالين العالمية لقاء توطيد السلام بين الشعوب.

«إننا نحن مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان نقدّر تقديراً سامياً أعمالك الجليلة أمام العالم الإسلامي، منحك الله الصحة والعافية وأمدّك بنجاحات جديدة في النضال ضد النير الاستعماري الأجنبي. آمين».

**برقية مفتي سيبيريا:**

ووجه سماحة مفتي سيبيريا والقسم الأوروبي في الاتحاد السوفياتي شاكر خليل الدين برقية مماثلة جاء فيها ما يلي:



«علمت بسرور بالغ بقرار لجنة جوائز ستالين العالمية عن منحك جائزة ستالين لقاء توطيد السلام بين الشعوب، فباسمي أنا شخصياً وباسم المسلمين أهنّئك أنت المناضل من أجل قضية السلام، بهذه الجائزة، وأتمنى لك النجاح في نشاطك المقبل المثمر الرامي إلى تلافي شعوب العالم أهوال الحرب، التي تعدها الدوائر الحاكمة في بعض الدول. إننا على يقين من أن جميع شعوب العالم على اختلاف أديانها وعقائدها تتراص تحت علم السلام ولا تسمح بنشوب حرب عالمية.

أتمنى لجميع الشعوب أن تعيش في ظل السلام والحب وحسن الجوار. فلتنر أشعة السلام الكرة الأرضية كلها. آمين».





الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## رسائل

### رسالة الشيخ محمد الأشمر إلى الشيخ زهير الشاويش [1]

حضرة ولدنا المحترم محمد زهير الشاويش الأكرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبَعـد:**

وصلتني رسالتكم وما حوته صار معلومنا، وحمدت الباري عزّ وجلّ على وجوده بتمام الصحة والعافية. وبعد نشكركم على هذه الرسالة، ولكن مع ذلك لا شكر على واجب، ونرجو أن تعتذروا لنا من الشيخ عبد الله بن مسند حيث حضر وكنت مريضاً، وما تمكنت من القيام بواجبهم على الوجه الأكمل بسبب مرضي. ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد.

هذا نرجو إهداء سلامي إلى الأستاذ الكبير عبد الحكيم عابدين وإلى الشيخ عبد الله بن مسند وجميع الوجهاء عندكم ومن يلوذ بكم.

وختاماً سلامي إليكم ووفقكم الله لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم، والله يحفظكم. ومن عندنا ولدنا محمد يهديكم السلام ويتمنى لكم الصحة والسعادة.

**١١ ذي القعدة ١٣٧٥هـ**

**الفقير**
**محمد الأشمر**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١). والشيخ عبد الله المسند ـ رحمه الله ـ صهر سمو حاكم قطر الشيخ أحمد ابن الشيخ خليفة آل ثاني.



### رسائل الشهبندر... [1]

هذه الرسالة من الزعيم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بخطه إلى الأستاذ نديم ظبيان والتي أعدّها حول أحوال الثورة السورية سنة ١٩٢٥م.

وفيها عن الشيخ محمد الأشمر شيء يحسن نشره، وهي منقولة من «مجموعة زهير الشاويش التاريخية»[2].

الموجود في الرسالتين هو:

**رسالة ٨ مايو سنة ١٩٢٦م**

**أخي الفاضل السيد نديم:**

لا بد من الاهتمام بمواجهة السيد أمين الحمصي[3]، والإعراب له عن الشكر على اهتمامه، ووصف الوصفة الحاضرة له وصفاً دقيقاً من حيث توزيع العدل على مستحقيه.

لقد جاء إلى الجبل كما تعلمون أُناس من قرية سَقبا[4] فدللناهم

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٢). وقد حلل رموزها الشيخ زهير الشاويش.

(٢) ومجموعة زهير الشاويش التاريخية مؤلفة من عدد من المجلدات. تحوي مذكرات وأوراق أكثر من خمسين عالم ومجاهد.. وقد قدم منها إلى دارة الملك عبد العزيز في السعودية ما يخصه من مراسلات بعد أن حققها لتطبع عندهم. كما قدم للسيد حسان أحمد مريود صور مراسلات أبيه المجاهد أحمد مريود المرسلة إلى الشيخ محمد كامل القصاب، أيام الثورة السورية ١٩٢٥.

(٣) هو سماحة السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

(٤) من قرى الغوطة شرقي دمشق وكان فيها عدد من المجاهدين.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الشرق العربي لشراء العتاد والسلاح، فلما عادوا به وهم في طريقهم إلى الغوطة، سلبهم أهل الشهباء ذلك ولم نستعد القسم الأوفر منه؛ إلّا بمعونة أهل الأرض والسماء، وإن كان المال والخرطوش واللباس لم يعد منه شيء.

ثم إن الصفائح الست المملوءة تمراً[١] لم أتمكّن من الحصول على نصفها؛ إلّا بتداخلي الشخصي، ولولا ذلك لذهبت جميعاً بأمها وأبيها.

ولما سافر وصفي بك[٢] واشتريت له العتاد والسلاح، وجدت من جملة الأسباب التي حملتني على السفر شمالاً أن أذهب وإياه درءاً لخطر السلب المذكور، ولولا ذلك لما وصل بالسلامة.

ثم إن التمر الأخير، ومقدار نيف وألف حزمة[٣] لم يصل إلى الغوطة منه شيء، بل توزعه الناس في... ولا ندري حصة المجاهدين الحقيقيين منه.

وأمس تناولت رسالة من الأخ عز الدين بك الحلبي[٤] وقرأت مثلها بيد سلطان باشا الأطرش[٥] وفيهما كلتيهما النقد المر على هذا التوزيع الذي لم ينل منه حصّته، وهو يحيل ذلك على الأغراض الشخصية وعدم العدل، وإن ذلك سيؤدي إلى الخصام حتماً.

هذا هو الموقف، وإنني قد استطعت تأليف لجنة في الغوطة باسم

(١) التمر رمز وكناية عن الخرطوش.
(٢) هو وصفي بك.
(٣) كناية عن البنادق.
(٤) من زعماء جبل الدروز والذي سمي بعد ذلك جبل العرب.
(٥) القائد العام للثورة.



إعانة المنكوبين في الغوطة وسائر البلاد السورية الشمالية، وقد نوّهت لكم بها سلفاً وأعيد عليكم إنها مؤلفة من السادة الآتية أسماؤهم:

الشيخ محمد عيسى الكردي، **والشيخ محمد القشمر (الأشمر)** من تلاميذ الشيخ بدر الدين المحدث المشهور، ومحمود حمدي بك أخو مصطفى بك وصفي، وشفيق أفندي عمر باشا، والأمير نسيب شهاب، وهؤلاء جميعاً من أهل الثقة المعروفين، ويمثلون المنطقة تمثيلاً حسناً، وقد نالوا استحسان المجلس الوطني بالإجماع.

إن كل مساعدة تذهب إلى الغوطة توزع بواسطتهم، ولا يكون معهم مجال للقيل والقال وما كان تأليفهم، إلّا بفضل الحزم الذي بيّنه لكم الأخ السيد خليل والمساعدة التي لاقيتها من الجميع، أحيوا هذه اللجنة بمساعيكم وأعطوها الشأن الذي تستحقه وهي ستُعنى بمسألة موارد البلاد وستدخلها في دائرة الأنظمة الحديثة، ولكن إهمالها يفت في عضدها، ويمنع حصول الخير المنتظر عن يدها.

أفهموا ذلك الأخ أبا صلاح[١]، واشرحوا حالها لسماحة السيد أمين الحمصي، واستعينوا على ذلك بالأستاذ الحافظ[٢] صديقنا وصديق السيد عبد الستار وبالسيد رشيد الحاج إبراهيم[٣] المعروف في الحلقات الوطنية باستقامته ومروءته.

إنني أطلب منكم النشاط الكافي لتمويل المجاهدين...

**السويداء ٢١ نيسان ١٩٢٦م**



(١) هو السيد حسن الشربجي ـ من رجالات الثورة، ميداني الأصل وكان يقيم في عمان، ثم في دمشق بجوار بيت الشاويش وآل الرحمون في زقاق الموصلي.
(٢) هو القاضي الشيخ الحافظ والد رئيس وزراء لبنان السابق أمين الحافظ.
(٣) من زعماء فلسطين وكان مشاركاً في الثورة السورية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

**حضرة الأخ الفاضل السيد نديم ظبيان المحترم**[١]:

السلام عليكم، وَبَعْد:

فقد عدت أمس من الغوطة بعدما نظمت الأمور بهذه الطاقة بالاشتراك مع الإخوان الذين سافروا معي أيضاً، وقد قلّد القيادة العامة مصطفى وصفي بك باعتراف رؤساء الوصايات في صحبة ديب الشيخ، وأبي عبده سكر، وأبي قاسم الدرخباني، والشيخ محمد حجاز، وأبناء خيّتي، وأبناء دكاش، وابن شعبان، وأبي عمر ديبو، وفوزي بك القاوقجي، وسعيد بك العاص، ونسيب بك البكري، ونزيه بك المؤيد[٢] وسائر الرجال البارزين من ضباط وملكيين[٣]، وكان ذلك نتيجة انتخاب عقدت جلسته من الأعيان المذكورين في قرية عقوبا[٤] على أبواب دمشق.

بعد انتخاب القائد العام، انتخبت لجنة إدارية دائمة للمجلس الوطني المؤلف من المذكورين فنال فيها الأكثرية: فائق العسلي، ونسيب البكري، ومحمود حمدي، وزكي الدروبي وثلاثة غيرهم.

ثم تم انتخاب لجنة يهمني شأنها أكثر من كل اللجان، وأطلقنا عليها اسم لجنة المنكوبين في الغوطة وضواحي دمشق، وهي مؤلفة من: شفيق عمر باشا **والشيخ محمد (القشمر) الأشمر** والشيخ محمد عيسى

(١) انظر الوثيقة رقم (٣).
(٢) كل هؤلاء من قادة الثورة.
(٣) الملكيين يعني غير العسكريين.
(٤) قرية جنوب شرقي دمشق جوار قرية الست زينب (التي كان اسمها الأول راوية)، وقد عمرت الآن وأقيم فيها مدرسة علمية تسمى (الحوزة) لإخواننا الشيعة الاثني عشرية.



الكردي، ومحمود حمدي أخي مصطفى وصفي بك، والأمير نسيب شهاب.

وغايتها قبول الإعانات وتوزيعها في المنطقة الشمالية، وقد صححنا الاسم فيما بعد فأصبح (لجنة إعانة منكوبي الغوطة وسائر البلاد السورية الشمالية) لتكون حصة هذه المنطقة مفروزة، غير ممزوجة بغيرها وخير من إرسال الأموال إلا النذر الذي يغطي معيشة العمال الشخصية والأطباء والمستشفى النقال وإرسال التمر وأوعيته[١]، لأنه هو المطلوب. إننا لسنا بحاجة أبداً إلى الأفراد وإنما حاجتنا إلى التمر وأوعيته. أفهموا هذه القضية أبا صلاح، وإنكم ترتكبون خطأً فادحاً بلقطكم الناس على الطرقات لتتركوهم متشردين في الجبل. وهذه بعثتكم الأخيرة التي اشتريتم لها تمراً وركائز للغ.. . قد فرّ واحد منها بتمرة وركيزته واسمه خليل الضبع، ولولا الحرص أمس لعمل عملته واحد آخر. فانتبهوا إلى ذلك كثيراً وإن ركيزة واحدة ثمرها خير من عشرة أفراد مثل هذين الرجلين لأن العزل في الغوطة كثيرون. أرجو من الآن فصاعداً إذا كنتم بحاجة إلى الخلاص من بعض المتشردين أن لا تسوقوهم إلى مناطق الجهاد لئلا يكونوا عبئاً على البلاد في مثل هذه الأوقات التي تتطلب تخفيف الأحمال جهد الطاقة.

لم تشمر البلاد عن ساعد جدها كما تشمر اليوم، في جمع كلمتها في الشمال، والجنوب اجتماعها في الوقت الحاضر. الكل يتشوقون إلى لقاء الأعداء، وقد امتنع الفرنسيون منذ أسبوعين تقريباً عن مقارعة أبطال الغوطة خشية بأسهم.

وأما في الجبل فإنني وأنا أكتب لكم هذه الرسالة أسمع أصوات

(١) أي البنادق والخرطوش.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البنادق قادمة للدِّفاع عن السويداء، الكل كتلة واحدة فلا خوف من تفريق الكلمة، وقد كثر الفراريون من جيوش الأعداء، وفي رواية قريبة التحقيق أن نحو مئتي عربي قادمون علينا بطريق الحراك والثعلة[1].

البريد مع الأخ السيد شكيب، الناس تستعد للسفر ولا يمكن التفصيل؛ وحسبي أن أقول إن الفرنسيين لم يقطعوا المذاكرات...



(١) قرى بين حوران والجبل.



## رسالة الأمير عبد الله حول المجاهد يوسف أبو درة[1]

### ولكن الإنكليز أخذوه بالحيلة وجرى إعدامه - رحمه الله -

عزيزي الشيخ محمد الأشمر..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

**أما بعد**: فإنني أحمد الله عزّ وجلّ وأصلي على سيدنا محمد وآله النبي الأكمل وأقول:

بأنني تلقيت كتابكم الذي ناب منا بكم في الرجاء عن أبي درة، ولقد علمت بعزمكم على القدوم من أجله والتوثق من وفائه، ولقد أعلمتني الجهة السياسية بأنكم طلبتم جوازاً بالسفر وإنه سوف يقدم لكم ذلك الجواز متى سمحنا بذلك.

فأعلمناهم بأن زيارتكم تسرُّنا، وقد قُدِّمَ إليكم ذلك الجواز «والمؤمِنُ إذا وعد وفى وإذا تعهّد أنجز»، فعلامك تتلكأ علينا عند كل فرصة؟ ووالله ما الذين أنت فيهم بخير منّا والكل في الله إخوان.

والرجل وديعة الله هنا، وأنا أعرف بحقه وحق كل مسلم.

وإنني سأقف هذا الموقف مع كل من يلجأ إليّ ما لم يكن مطلوباً بجريرة توجب إنفاذها علي العهود وكان عهد الله مسؤولاً. وقد وفى النبي ﷺ لمشركي مكة في عهد الحديبية كما تعلمون.

وقد يسّر الله لي أن خصصت أبا درة بمعاملة استثنائية فهو في حرز متين لا يوصل إليه إن شاء الله تعالى، ولكن من يضمن وجهي وكلمتي ويجعلني آمنه على أن لا يفرّ فأصبح بعد ذلك لا أستطيع خدمة غيره والسلام.

**عمان في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ**

(١) انظر الوثيقة رقم (٤).

## رسالة أخرى من الأمير عبد الله إلى الأشمر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأصلّي على نبيّه الكريم وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم إلى يوم الدين.

من عبد الله بن الحسين بن علي إلى حضرة الشيخ الفاضل والمجاهد المناضل محمد الأشمر حفظه الله وبارك له ونفع به.

أما بعد: فقد زارني صباح اليوم محبّنا العزيز النائب المحترم صبري بك الطبّاع وأطلعني على كتاب الشيخ إليه، فلنعم الآمر بالمعروف أنت.

ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وإنّ في كتاب الشيخ من ذلك الهدى لنبراس. فجزاكم الله خيراً عنّا وعن الناس، إن صحّ أن يقال عن بعض الناس إنهم من الناس، ونعوذ بالله من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجِنّة والناس.

أمّا صاحبكم الذي طلبتم رجوعه إلى وطنه فليس بعد إشارتكم إشارة لمشير، فليقدم وله بالخزاعي باشا أسوة، ولا فضل له عليه إلّا أنّ الخزاعي يرانا في كثير من الآونة إنّا البقية الباقية، وقد لجأ إلى حرم الله

(١) انظر الوثيقة رقم (٥).



وعاد طاهراً فقبلناه مطّهراً، ولا بأس إن جاء الآخر بشفاعتكم وكفالتكم على أن لا يدسّ ولا يغشّ ولا يدبّ لنا الخمر فإنّ وراء ذلك ما وراءه إن هو أضمر خلافنا ممّا يجب على مثلنا من حفظ الأمن والسلامة العامّة، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وبحضوره تحت كفالتكم وضمن هديكم فله ذمّة الله ورسوله والخلفاء وذمّة أبي وذمّتي ممّا يخاف ويحاذر وله في بلده منّا الإكرام والكرامة والسلام.

**عمان في ١٨ ربيع الأول ١٣٥٨هـ**
**الموافق ٦ أيار ١٩٣٩م**



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين[1]

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الأشمر حفظه الله..

تلقيت كتابكم المفعم بشعائر الولاء الصادق، والناطق بما تحمله جوانحكم من المودّة الوطيدة، وما خامركم من الأسف لعدم مقابلتكم لولدنا نايف، وإني أشكركم على ذلك كله، وأعرف ما أنتم عليه من النبل والفضل ولكن هي الأحوال التي تقضي بمثل هذا الترتيب الذي لا مندوحة عنه ولا بد منه فجزاكم الله خير الجزاء ووفقنا وإياكم إلى ما فيه مرضاته بمنّه تعالى وكرمه.

**عمان في ٥/١٠/١٩٣٩م**

(١) انظر الوثيقة رقم (٦).



## رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين[1]

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الأشمر حفظه الله..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقد أمرني حضرة صاحب السمو الملكي مولاي المعظم أن أذكركم بدعوة سمّوه لكم حينما كنتم بعمان لتمضية شهر رمضان المبارك فيها.

إن حضرة صاحب السمو مولاي حفظه الله يسرّ جداً فيما إذا حققتم هذه الرغبة السامية بأقرب وقت وتقبلوا مني مزيد الاحترام.

**عمان في ١٢/١٠/١٩٣٩م**

**رئيس الديوان العالي**



(١) انظر الوثيقة رقم (٧).



CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

## رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين[1]

الأستاذ الجليل والمجاهد الكريم الفاضل الشيخ محمد الأشمر حفظه الله تعالى..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وصلني كتابكم المؤرخ ٣ شوّال ١٣٥٨هـ فحمدت لكم تلك الأريحية الكريمة وشكرت لكم تلك العواطف النبيلة حفظكم الله وأبقاكم ذخراً.

لقد تشرفت بعرضه على أنظار حضرة صاحب السمو الملكي مولاي المعظم فأبدى سروره العظيم لما تتمتّعون به من عافية يرجو الله دوامها عليكم وعلى الجميع وقدّر ما فيه من آيات الإخلاص والمودّة حق تقدير.

أما من خصوص استصحابكم لسليمان باشا فإنه حفظه الله يرى أرجاء ذلك الآن لوقت يكون مناسباً.

وأما من جهة تشريفكم أنتم فعلى الرحب والسعة في كل آن وحينما ترغبون وستجدون قلوباً مفعمة بالشوق الجزيل لرؤيتكم أدامكم الله وحفظكم.

وبهذه المناسبة أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق احترامي ومزيد أشواقي.

**عمان ٢٩/١١/١٩٣٩م**

**رئيس الديوان العالي**

(١) انظر الوثيقة رقم (٨).



## رسالة من الأمير عبد الله حول استقلال سورية[1]

حضرة الشيخ المحترم المتفاني في الله ورضاه محمد الأشمر حفظه الله..

سلام الله ورضوانه علينا وعليكم وعلى عباد الله المخلصين.

أما بعد:

فإنه مما لا شك فيه الاعتماد على شخصكم فيما يعود علينا بالخير دنيا وآخرة وقد جاء الوقت الذي ينبغي أن يعمل فيه أبناء الوطن مجتمعين غير متفرقين وقد وضعت فرنسا الحرة وبريطانيا العظمى مستقبل الوطن السوري في يد بنيه، وهذه الأردن سبقت فقالت كلمتها برضى منّا.

اطّلاعكم على فحوى ذلك من نسخة البرقيتين في طيّ هذا الكتاب كفاية وعلى الله الاتكال وعليكم وعلى من معكم الاجتهاد.

والصلاة والسلام على رسول الله.

**عمان في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٦٠هـ**
**الموافق ٢٣ حزيران ١٩٤١م**



(١) انظر الوثيقة رقم (٩).



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## رسالة حسني الزعيم للشيخ الأشمر يستنجد به[1]

حضرة الصديق الغيور والأستاذ الفاضل المجاهد المغوار الشيخ محمد أفندي الأشمر الأفخم..

بعد تقديم واجبات الاحترام والسؤال عن صحتكم الغالية.. أُبدي أني رهين السجن اعتباراً من صباح البارح الأربعاء محاطاً بالمجرمين والقتلة والسفّاكين دون ذنب جنته يداي، غير إني كنت مثال الضابط النزيه المخلص الذي لا تأخذه بالحق لومة لائم.

أخي في أثناء الحرب كنت محاطاً ببعض من الضباط، اتصفوا بالجبن والخداع والمراوغة، سعوا بالهرب والانزواء خوفاً على أرواحهم إلا أني شعرت بمقاصدهم وخوفهم، فعاملتهم كما يجب عليّ كضابط يعرف أهمّية وظيفته بالشدة والصرامة، دونما خوف أو وجل فحقدوا عليّ، وعندما استتب الأمر رجعت إلى دمشق وانزويت في داري مدة أربعة أيام، في نهايتها دعاني الكولونيل (كوله) إليه، فذهبت بصحبة الأمير سعيد وأقسمت له يمين الطاعة والإخلاص وهو بدوره أقسم لي

(١) لقد نشر هذه الرسالة الأستاذ ممدوح رحمون في جريدة «السفير» البيروتية بتاريخ ٢٠٠١/١/١٧ بمعرض ذكرياته عن سجن المزة.
ويحتفظ الأستاذ رحمون بالنسخة الأصلية لهذه الرسالة وبغيرها من الرسائل التي تبادلتها بعض الشخصيات العربية والعالمية مع الشيخ محمد الأشمر.
وقد سلّم هذه الرسائل للأستاذ رحمون السيد محمد محمد الأشمر لتكون بين الوثائق التي يطّلع عليها أبناء الجيل الجديد للاستفادة منها.
وانظر الوثيقة رقم (١٠).



يمين الولاء وأن لا يعتدي عليَّ قطعاً وأمرني بجمع الأسلحة التي كنت وزّعتها على العصابات التي كنت شكّلتها بأمر الجنرال «دنز» غير أن ذلك الأمر كان من الصعوبة بمكان، فمن أين لي أن أجمع السلاح المُوَزَّع على الجنود التي فرَّت إلى يبرود أو جيرود أو النبك أو القطيفة؟؟..

إنكم تقدرون ولا شك حرج موقفي في هذا الأمر، لذلك ذهب الكومندان حسام الدين، والكابتين محمود اللذين خرجا على التقاعد، والكابتين دوخي والليوتنان صفدي بالاتفاق مع ليوتنان إفرنسي إلى الكولونيل كوله ووشوا ضدي وشاية أودت بي إلى السجن، ومما ادّعَوا لديه إني خطر جداً على سلامة الدولة المحتلة وإني أغذّي العصابات التي تقاتل جيشهم وإن العصابات لم تزل تأتمر بأمري ودليلهم أني لم أنفذ الأمر الذي أخذته من (كوله) وهو جمع السلاح فطلبني إليه (كوله) صباح الأربعاء، وعند دخولي لعنده وجّه لي هذا السؤال: لماذا لم تجمعوا السلاح يا حضرة الكولونيل؟ فأجبته بأن ذلك لا يمكنني بالوقت الحاضر، وعند ذلك دخل اثنين من الدرك الإفرنسي مدجَّجِين بالسلاح وطلبا مني سلاحي فلم يسعني إلا الإذعان وتسليم سلاحي، فقادني إلى سجن القلعة بهذه التهمة وعند الظهر أو بعد بقليل جاء أحد رجال الدرك الإفرنسي وقال لي بأني بعد أن كنت متَّهم صرت معدود كأسير حرب وهذا مما دلّني على أن الجنرال لم يعبأ بأقوال الذين حاكوا ضدي هذه المؤامرة الدنيئة وعاد فعدَّني أسير حرب، وعلى كلٍّ استبشرت خيراً وإني الآن لم أزل مضرب عن الطعام إضراباً نهائياً إلى أن تظهر لهم حسن النوايا التي أكنّها في صدري وقلبي النبيل الصادق، فإني في هذه الحالة تكاد نفسي تزهق ويكاد قلبي يفر من محله لأني على ما أعتقد لا أستحق إلا كل إكرام. فأين هذا الاستقلال الذي منحه الجنرال دوكول إلى سوريا ورجالها وخيرة قوادها الأبطال ترزح تحت نير السجن وفي غرفةٍ لا يدخلها النور والشمس إلا من كوة صغيرةٍ في منتصف بابها.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لذلك جئت إليك أيها الأخ المخلص بكتابي هذا أطرق أبواب قلبك النبيل لما أعلمه عنك من غيرةٍ وحميةٍ وشجاعة آملاً منك أن تشكل وفداً من رؤوس الميدان ويذهب هذا الوفد إلى الجنرال وأنت على رأسه وتطلبوا إليه إخلاء سبيلي حالاً وتشهدوا لديه بطيب عنصري وشجاعتي وعدم حنثي باليمين الذي أقسمته إلى الكولونيل كوله، هذا ما آمله منكم وبذلك تثبتوا لي طيب أصلكم وشجاعتكم الأدبيَّة التي أرجو الله أن تجعلكم أحد الرؤوس العاملة في حقل تخليص سوريا من النير الأجنبي. أخي إني سأبقى مضرباً عن الطعام إلى أن يأخذ الله بيدكم ويوفق مسعاكم لخلاصي من ذلك المأزق الحرج الذي أكاد أذهب ضحيةً باردة على مذبح الانتقام الدنيء والمؤامرات والدسائس المنحطة.

ختاماً سدّد الله خطاكم ووفقكم لما فيه الخير وتفضلوا بقبول احتراماتي مقرونة بأعظم تمنياتي واعتباراتي الأخوية الخالصة.

**٢٧ حزيران ١٩٤١م**

**الكولونيل**

**حسن حسني الزعيم**(١)



(١) كانت زيارة حسني الزعيم، رئيس الجمهورية إلى الميدان ـ ودخوله إلى جامع الدقاق، حيث كان إمام الجامع، العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار.

وقد قبّل حسني الزعيم يد الشيخ الأشمر أمام الجمع في ساحة الجامع. (رواية محمد محمد الأشمر).

وفي الصفحة (١٨١) كلمات عن عمل الشيخ الأشمر لفك أسر حسني الزعيم بقلم السيد حامد أبو لبن.

**قلة الوفاء عند حسني الزعيم:**

وبعد أن أتينا على رسالة حسني الزعيم الاستعطافية إلى الشيخ محمد الأشمر، ومداخلته للإفراج عنه، وتقدير حسني الزعيم لذلك. =



= إلا أنه ما لبث أن تنكر للشيخ الأشمر، عندما طلب منه الإفراج عن ابني حي الميدان ممدوح رحمون وأخيه سعيد ورفاقهما الثمانية الذين كانوا معتقلين في سجن «المزّة» العسكري بتهمة القاء القنابل على الكنيس اليهودي بدمشق، وقد أمر الزعيم بإعدامهم جميعاً صباح يوم الرابع عشر من شهر آب ١٩٤٩.

ولكن انقلاب سامي الحناوي قد عاجل الزعيم بإعدامه بنفس الساحة التي كان من المقرر إعدام ممدوح ورفاقه على أرضها، عدا عن الأذى الذي كان من المقرر على العديد من رفاقهم الآخرين الذين تواروا عن الأنظار ومنهم زهير الشاويش.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## رسالة من الشيخ الأشمر[(١)]

**دولة سورية**

**وزارة الداخلية**

**متصرفية لواء حوران**

**ديوان الرسائل[(٢)]**

بناءً على أمر متصرفية حوران العلية المؤرخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٢م رقم ٨٨ شخصاً، نحن الموقعين أدناه أعضاء لجنة حل الخلاف المتكون ما بين عشيرة الرماح من عرب اللجاه وبين أهالي قرية خبب واختلافهم على حدود الأراضي الواقعة في اللجاه المسماة جنين الزبائر، زبيرة. ولدى وصولنا إلى المحجة تخلف أحد الأعضاء السيد إسماعيل بك الحرير... نظراً ... فجمعنا الطرفين المتداعيين وهم طلال أبو سليمان شيخ عرب اللجاه .. وأحمد العلوان من عشيرة الرماح، والخطيب محمد خالد.

ومن أهل خبب أبو دهش قريط غانم الحاتم الخوري بطرس، وبعد الاطّلاع على (القضية) محل ذهابنا توجهنا إلى حق اللجاه في ١٩٣٢/١/٢٧م على أمل أن يلتحقوا بنا أهالي خبب، فانتظرناهم لليوم الثاني الواقع ١٩٣٢/٠١/٢٨م فلم يحضر أحد منهم فأرسلّ تحرير بلزوم

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١١).

(٢) وجدت هذه الرسالة ضمن أوراق الشيخ محمد الأشمر.. وتدل على اهتمامه بحل المشاكل بين الناس وخصوصاً استخلاص أرض العربان من أهالي خبب!



حضورهم بعد أن اتخذت عموم الاحتياطات المانعة لحدوث أي شيء يخل بالأمن، وأثبتت الجنود وتنظّمت الدوريات.

وفي اليوم الثالث الواقع ٢٩ منه حضر أهالي خبب وهم أبو دهش أفندي قريط، وغانم أفندي الحاتم، ووديع أفندي الخوري وتوجهنا عموماً إلى الأراضي المختلف عليها.

وبعد التثبت منها طيلة ذاك النهار وإلى يوم ٣٠ منه عدنا لها أيضاً وقد حضر المدعو عيسى أفندي الفاري من خبب. وداومت اللجنة عملها حتى المساء وفي يوم ٣١ منه أي يوم الأحد صباحاً عدنا إلى الموقع المذكور ووضعت الحدود النهائية وهي الثابتة كما يلي بعد اتفاق الطرفين المتداعين عليها بملء الرضى تقرر:

(إن خربتي الزبائر والزبيرة عائدتين إلى عرب اللجاه والرماح بموجب المادة ٢/٥/ من قرار المتصرفية المؤرخ ١٩٣١/١٢/٠٠م والتي ثبت إلى اللجنة أيضاً تملُّكها من قِبل العربان المذكورين.

ويحدهما من الجهة الشمالية بين العمى المسمى بالحضر الذي هو ملك للعرب أيضاً، وعائد إلى هاتين الخربتين ومنه يبتدئ الحد إلى الشرق مع الوعر الوعر حتى تصل إلى المحل المسمى قصر البرغشة، ومنه إلى الجهة الغربية، يقود الحد من بئر الحضر المسمى الأعمى محاداً للوعر حتى الموقع إلى طلة البلانة، حتى قصر الزبائر إلى موقع الرجم الأسود إلى رسم هربية إلى كوم الرمان، وحدود مجيدل ومن جهة الجنوب طريق النقب على كوم الرمان، حتى حدود سور على أن لا يكون إلى عرب الرماح من شمالي الحد المذكور قطع أراضي زراعية.

أما الأراضي القابلة للزراعة التي أصبحت إلى عرب الرماح هي من قصر البرغشة مبروم الزبائر رجم الأسود رسم هربية حدود مجيدل كرم الرمان إلى حدود سور الذي أصبح الحد الفاصل الثابت.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعليه نظم هذا الضبط حسب الأصول وجرى التوقيع عليه من قِبَل الطرفين المتداعيين والمتفقين عليه الآن، وصدّق من قبلنا أيضاً تحريراً.

**٣١ كانون الثاني ١٩٣١م**

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| شاهد | أعضاء خبب | أعضاء خبب | مختار خبب | شيخ عرب اللجاه |
| محمد خالد | أبو دهش | عيسى الغازي | غانم الحاتم | طلال أبو سليمان |

........................................................................

| | | | |
|---|---|---|---|
| مصدق متصرف حوران | عضو اللجنة كاتب رسائل حوران | عضو اللجنة مندوب حوران | عضو اللجنة قائد درك أزرع |
| توفيق الحيالي | عز الدين سكر | فارس الأحمد | رئيس الديوان |

**توقيع**

**صورة طبق الأصل في ١٩٣٢/١٢/٧م**

❁ ❁ ❁

## رسالة

قد تم الاتفاق فيما بين الفريق الأول عشيرة النعيم.

والفريق الثاني عشيرة الرفاعية على مسألة الحرمة وقد تم الاتفاق على تحليف اليمين على حسن بن محمد الحميد الرفاعي ويحلفه أبوه بعده وقبل الجميع على هذه الفتوة وإن الكفيل على الجميع هو الشيخ محمد الأشمر عن قطع الجرة وهذا المخلاص الذي أعطيناهم هذه القصوة. وللبيان حرر...

**١٩٣٧/٨/١٠**

**رئيس وشيخ عشائر الرولة**

**الأمير نوري الشعلان بن شعلان**



## رسالة من المجاهد حامد أبو لبن إلى الشيخ الأشمر(١)

حضرة الأخ الجليل التقي الوفي العزيز الشيخ محمد الأشمر. حفظه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه **وَبَعْد**،

أهنيكم وأبارك لكم بدخول شهر رمضان شهر الله المعظم وأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم فيه من المقبولين ومن المعتوقين من النار، ثم نتضرع إلى الله ﷻ أن يجعل في أيامه اللطف والفرج للمسلمين.

ثم أيها الأخ العزيز الكريم فبعد رجوعي من زيارتي لكم أول العام وأنا مشغول الفكر عليكم حيث كنتم أيامها منحرفين الصحة، فأرجو من الله تعالى أن تكونوا تعافيتم وتحسّنت صحتكم وإني أسأل الله تعالى أن يحقق ما أقول.

وإن سألتم عنا الحمد الله جميعنا بخير، ونسأل الله تعالى أن يعطيكم كل خير ويحسن لنا الختام جميعاً.

أرجو تبليغ سلامنا إلى من يسأل عنا بطرفكم ومن هنا صاحب السماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني يهديكم السلام ثم ابن شقيقتي محمد سليم أبو لبن يهديكم السلام ثم أولادي وأولاد أخي يهدونكم السلام ويطلبون منكم الدعاء ويرجون من الله اللقاء في الدنيا لشدَّة اشتياقهم لكم وبالختام أهديكم فائق الاحترام.

**٥ رمضان ١٣٧٨هـ**

**الموافق ١٤ آذار ١٩٥٩م**

القاهرة. شارع منشية البكري رقم ١٠

**كاتبه**

**حامد أحمد أبو لبن**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢).

## برقيات

**إلى الشيخ محمد الأشمر../ دمشق**

أشكر لكم تهنئتكم الرقيقة وتمنياتكم الطيبة راجياً الباري تعالى أن يوفقنا لما فيه خير العرب ورفعة شأنهم.

١٩٥٨/٣/٢م

جمال عبد الناصر

❁ ❁ ❁

**برقية من الأمم المتحدة/ نيويورك[١]**

NATIONS UNIES - NEWYORK

**Cheikh Mohammad el-Achmar**
**Comité National des Partisans de la Paix**
**Damas, Syrie**
**le 7 octobre 1957**

Monsieur,

Je suis chargé d'accuser réception de la lettre que vous avez adressée le 24 septembre 1957 au Secrétaire général au sujet de la situation internationale de la Syrie.

Veuillez agréer, Monsieur, l'expression de ma considération distinguée.

**Chef de Section**
**Département des Affaires Politiques**
**et du Conseil de sécurité**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٣).



**أسرة المرحوم الشيخ محمد الأشمر ـ دمشق**

الأمة بأسرها تشعر ولا ريب في فداحة المصاب بفقد المجاهد الصامت الكبير، وإني أشاركم بالصميم في محمل جزء من الحزن العميق على الراحل الغالي.

تغمده المولى بوافر غفرانه، وأسكنه فسيح جنته.

١٩٦٠/٣/٣

خالد العظم/ دمشق

❁ ❁ ❁

**السيد محمد الأشمر/ دمشق ـ ميدان فوقاني**

آلمنا مصابكم. تغمّد الله الفقيد بالرحمة، وألهمكم الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٣م

عبد الحميد السراج/ دمشق

❁ ❁ ❁

**آل الفقيد الشيخ محمد الأشمر/ الميدان ـ دمشق**

تألّمت للخسارة الكبيرة بفقد المجاهد الكبير. تغمّده الله برحمته ورضوانه، وألهمنا وإيّاكم الصبر والسلوان. منعني مرضي من القيام بواجب التعزية..

١٩٦٠/٣/٥م

مصطفى السباعي/ دمشق

❁ ❁ ❁



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آل الأشمر - دمشق

علمت اليوم بنبأ الفاجعة الأليمة والخسارة الكبرى بفقد الراحل العزيز، نشارككم الحزن واللوعة، ونبعث إليكم بالتعازي القلبية.

تغمد الله الفقيد برحمته، وألهمكم الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٥

توفيق الطباع/ عمان

❋ ❋ ❋

محمد الأشمر/ ميدان فوقاني - دمشق

بمزيد اللوعة والأسى، تلقينا نبأ وفاة الفقيد الغالي المجاهد الكبير، والدكم العظيم.

تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهمكم الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٥

عبد الرحمن المجذوب/ الكويت

❋ ❋ ❋

آل الأشمر الكرام/ الميدان - دمشق

أنصار السلم في لبنان يشاركونكم ألم الفاجعة بفقد العلامة المجاهد الكبير الشيخ محمد الأشمر، الوجه الوطني البارز لحركة أنصار السلام في سورية وسائر البلدان العربية، ويشاركنا بذلك جميع الوطنيين العرب، وجميع العاملين في سبيل التحرر الوطني والسلام العالمي، الذين يقدرون نضال الفقيد وجهاده الوطني والإنساني.

إنه خالد في قلوب الجميع خلود آثاره ومواقفه الوطنية المشرفة.

لكم أحر التعازي، وللفقيد الكبير الرحمة السابقة.

الدكتور جورج حنا    أنطوان ثابت    حسين مروة    نخلة مطران بيروت

❋ ❋ ❋



محمد الأشمر/ ميدان - دمشق

ببالغ الأسى والحزن تلقينا النبأ المؤلم. فللفقيد الغالي جنات الخلد، ولكم الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٦

عبد الرزاق وتيسير الشربجي/ عمان

❋ ❋ ❋

آل الأشمر/ ميدان - دمشق

بمزيد الأسى والحزن علمنا بوفاة المجاهد الشيخ محمد.

تغمده الله برحمته، وألهمكم الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٦

راشد الحلبي/ عمان

❋ ❋ ❋

محمد الأشمر/ ميدان - دمشق

نشارككم الأسى بوفاة الوالد المجاهد الكبير.

تغمّده الله برحمته وألهمكم الصبر.

١٩٦٠/٣/٧

خالد الكحيمي/ الكويت

❋ ❋ ❋

آل الأشمر الكرام/ الميدان - دمشق

أقدِّم أخلص التعازي بوفاة المجاهد الكبير الشيخ محمد الأشمر رحمه الله، وأحسن عزاءكم.

١٩٦٠/٣/٨م

أمين الحسيني/ دمشق

❋ ❋ ❋



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

**الشيخ محمد الأشمر ـ دمشق**

نشاطركم بمصابنا بإمام المجاهدين، وركن الاستقلال. الجنة مثواه.

١٩٦٠/٣/٨

حسن اللحام/ السويداء

❁ ❁ ❁

**آل الأشمر/ ميدان ـ دمشق**

نشاركم بمصابكم الأليم، ونطلب من الله بالمجاهد الفقيه الرحمة، ولكم طول البقاء.

١٩٦٠/٣/٨

صالح الخضري/ عمان

❁ ❁ ❁

**السيد الأشمر ـ دمشق**

رحم الله والدك المؤمن الصابر، فقيد الجهاد والخير.

١٩٦٠/٣/٨

محمد علي بدير/ عمان

❁ ❁ ❁

**الشيخ محمد الأشمر/ الميدان ـ دمشق**

تأثرت أعمق التأثر لأنباء فقدان صديق أنصار السلم الشيخ محمد الأشمر، وأرجو قبول أخلص تعازي الحارة وتعازي زملائي في الرئاسة.

ننحني أمام ذكرى الزعيم المخلص لحركة الدفاع عن السلم والاستقلال، المصمم المقدام.

١٩٦٠/٣/٩

برنال/ لندن

❁ ❁ ❁



**محمود وقاسم ويوسف ومحمد الأشمر/ ميدان ـ دمشق**

نشاطركم الأحزان بالزعيم المجاهد. ألهمكم الله الصبر، وأسكنه الجنة.

١٩٦٠/٣/١١

محمد الحرش/ الرياض

❁ ❁ ❁

**محمد الأشمر/ ميدان ـ دمشق**

علمنا بمزيد الأسف نبأ وفاة والدكم، عظم الله أجركم، وأسكن الفقيد الجنة، وألهم الأهل الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/١٥

أحمد أبو قاسم السيد/ مكة

❁ ❁ ❁

**محمود الأشمر وآله/ ميدان ـ دمشق**

اليوم علمنا نبأ الفاجعة الكبرى. حزت قلوبنا.

للفقيد الغالي الرحمة والرضوان، ولكم جميل الصبر والسلوان.

١٩٦٠/٣/٢٠

محمد العوض العبيد وعبد الله العبيد/ بصرى

❁ ❁ ❁



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## رسائل وبرقيات التأبين

### لجنة تأبين المجاهد الكبير الشيخ محمد الأشمر(1)

في هذه الذكرى التي تحتفلون بها بمرور أربعين يوماً على وفاة المجاهد المرحوم الشيخ محمد الأشمر، أبعث إليكم تحيةً صادقة على جهودكم في تكريم رجال الثورة الذين كرّسوا حياتَهم للذودِ عن كرامة هذا الوطن وعن حريتِهِ واستقلاله.

إن تكريمَ الثورةِ في رجالها، هو تكريمٌ للجهاد والتضحية والفداء، وحثٌّ للهمم على البذل، وتقديسٌ للحرية في الأشخاص الذين عملوا لها وسعوا في سبيل تحقيقها.

وإني بهذه المناسبة، لأبعث إلى روح المجاهد الشيخ محمد الأشمر، تحيةً ملؤها التقدير لما قدّمه لأمته ووطنه.

أسكن المولى الفقيدَ الراحل فسيحَ جناته، وجزاه أحسنَ الجزاء.

٣٠/٤/١٩٦٠م

**شكري القوتلي**

(١) انظر الوثيقة رقم (١٤).



## كلمة الأستاذ السباعي

### في رثاء المجاهد الشيخ محمد الأشمر

رحمهما الله

**بسم الله الرحمٰن الرحيم**

ما كاد الفرنسيون يستقرون في البلاد بعد احتلالها حتى شاعت في الأمة روح النقمة على استعمارهم، وطغيانهم، وإفسادهم لشؤون البلاد الاقتصادية والعمرانية والأخلاقية، وهب نفر من الشجعان الأبطال يحملون علم الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في كل مكان من الأرض السورية، وكانت الثورة التي فاجأت فرنسا، وأقضت مضاجعها وطمأنت من كبريائها وقلّلت من هيبتها، ذلك أنها كانت ثورة رجال آمنوا بحق أمّتهم في الحياة الكريمة فوهبوها أرواحهم ودماءهم وباعوا الله نفوسهم ودنياهم بجنة عرضها السموات والأرض. قد هانت عليهم ثرواتهم وأراضيهم وأولادهم وتجارتهم وكل منافع الحياة من متعة ولذة. فكم من أب ودّع أطفاله على أن لا يراهم ولا يروه بعد التحاقه بالثورة، وكم من زوج ودع زوجته على أن لا يلقاها في الحياة، وكم من موظف غادر ديوانه، على أن يستبدل به قاعات محاكم الإعدام التي تنتظره وتنتظر أمثاله من قبل الجلادين الفرنسيين، وكم من رجل غادر بيته وهو يعلم أنه سيكون قاعاً صفصفاً تقذفه الطائرات الفرنسية بقنابلها ومدافعها، وكم من قروي خرج من حقله وهو يعلم أنه سيراه مرتعاً لخيول المستعمرين ملتهباً بنيران قذائفهم ومدافعهم.

هكذا كان كل مجاهد يقوم بالثورة في عام ١٩٢٥ فما بعدها،



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلتحق بصفوفها يعلم المصير الذي ينتظره وينتظر عائلته، ولكن الإيمان حبّب إلى هؤلاء المجاهدين ما سيلقونه من موت وتشريد وفقر، فهم يعملون للأمة كلها لا لأنفسهم ويجاهدون من أجل حياة أكمل وأفضل، وفي سبيل وحدة كبرى تنتظم العرب في مواكب المجد والخلود.

لقد كان من أكرم هؤلاء المجاهدين هو فقيدنا

**الغالي المرحوم الشيخ محمد الأشمر.**

تغمّده الله برحمته ورضوانه، فلقد كان مثالاً للمجاهد الشجاع.

الجريء الذي يقتحم غمار الموت ويهزأ بالأخطار تسعى بين يديه ومن خلفه، كما كان مثالاً للرجل المؤمن التقيّ الذي كان يلقي بالمواعظ على إخوانه المجاهدين متنقلاً من مكان إلى مكان يبث فيهم من روحه المؤمنة القوية كل معاني الثقة بالله وبعدالة الحق الذي خرجوا للدفاع عنه.

كان يبث في مجالسه مع المجاهدين من كلمات الإيمان والنصح ما تشرق به النفوس، وتسمو به الأرواح، ويزيد في حب المجاهدة للشهادة في سبيل الله عزّ وجلّ.

ولقد كان يكفيه من الأمجاد والخلود ما قام به في الثورة السورية من بطولات وتضحيات.

لكن الرجل العظيم سرعان ما يبادر إلى كل أمر عظيم، فما كادت مشكلة فلسطين تتفاقم حتى ذهب إليها مجاهداً صابراً محتسباً راغباً فيما عند الله من أجر عظيم. وما يسجله التاريخ للمجاهدين من ذكر حميد.

ولقد أكرم الله المجاهد الشيخ محمد الأشمر وأكرم إخوانه ورفاقه من أبطال الثورة، أن مدّ الله في حياتهم حتى رأوا بأعينهم أعياد الأمة بجلاء المستعمرين، ثم أعيادهم بالوحدة وأعيادها بالعزة والقوة.



كل الآمال التي كان كثير منهم يظنها أحلاماً فإذا هي بعد ثلاثين سنة حقائق تعيش الأمة في ظلها في جو متواصل من الأعياد والأفراح.

أيها السادة:

لقد كانت الأمة كلها قد أسهمت في الجهاد الذي أدّى إلى هذا الواقع الجميل الذي نعيش فيه، فإن مما لا ينكر أنه كان للمجاهدين من رجال الثورات المسلحة فضل التضحية بدمائهم وأرواحهم وأسرهم ومستقبلهم في وقت كان فيه المستعمر يشدد قبضته على البلاد.

ومن أجل هذا يعيش المجاهدون اليوم بنشوة من لذّة التضحية والفداء الذي قدّموه لأمتهم، وإن لم يُعرف لهم تمام فضلهم، ولم يقم المسؤولون فيما سبق بالواجب نحو أسرهم وأطفالهم ومستقبلهم.

ولكن المجاهدين صبروا على بعض مظاهر النكران للجميل والنسيان للواجب حتى أكرمهم الله وأكرم أمتهم.

تغمّد الله فقيدنا الغالي برحمته ورضوانه وجزى شهداءنا جنة الخلود وحياة الخلود ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وأنا باسم إخواني المجاهدين لأؤكد العهد أن نبقى أوفياء لأمتنا مترقبين الفرصة للدفاع عن جمهوريتنا العربية المتحدة[1] وباقي بلاد العرب بكل ما نملك من جهد وحياة وأموال، والله على ما نقول شهيد.

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

(١) كانت وفاة الشيخ محمد الأشمر رحمه الله في ١٠ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨/٣/٢ أيام الوحدة بين مصر وسورية.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

## كلمة شكر وكلمة مطلب

تُرفع لرئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء ووزارة الأوقاف وأمانة العاصمة وأمانة فرع الحزب بدمشق عن طريق حزب البعث.

١ ـ عطفاً على الندوة التي أقيمت بحي الميدان بتاريخ ٢٤/٢/١٩٦٧م، المنوّه عنها بصحيفة البعث بعددها رقم ١٢٠٩ وما شرح بها من تنوير ضد الاستعمار وشركات البترول الاستعمارية من قِبَل الأستاذ جبر الكفري أمين فرع الحزب والسادة أمين العاصمة والأعضاء المرافقين. وتعبير الإخوة المجتمعين من الأهلين عن سرورهم، وإن تلك التقديرات التي أعطت الأمل للمواطنين في الحياة المزدهرة في قطره السوري حياً كان أو ميتاً.

٢ ـ فبهذه المناسبة نسدي شكرنا للسادة الرؤساء والقادة والأمناء المومأ إليهم على إطلاق يدي وزارة الأوقاف بما بذلت من جهد تجميلي وحسن تصرف بإنشاء جدار ـ سور ـ لتصوين المقبرة الجنوبية في باب مصر، وتنظيم مخطط هندسي تجميلي لهذه المقبرة مع إزالة المدافن الخاصة التي كان بقاؤها مشوهاً لهذا التنظيم الذي سيتم إنجازه في الأيام المقبلة.

٣ ـ وبسبيل الذكرى لما لأرض هذه المقبرة من قدسية طاهرة مروية من دماء شهداء الثورة السورية التي نشبت ضد المستعمرين الإفرنسيين بعام ١٩٢٤م من دحر قوات الحملة المشهورة بوقعة يوم السبت التي يقدر عدد جنودها بألفي جندي زاحفة للغوطة الجنوبية



الشرقية حتى توصلت إلى قرية يلدا وببيلا، فتصدت لها الثوار بقيادة المجاهد البطل الشيخ محمد الأشمر رحمه الله مع نائبه الشهيد خالد نجيب ورفاقهم الثوار بحي الميدان من قرية يلدا حتى الثكنة العسكرية في باب مصر التي أزيلت لتوسيع طريق حوران على جبهة مسافتها تقدّر بخمسة كيلو مترات مع مساندة القطاع الحربي المصفح الذي تمركز معارضاً فاتحاً نيرانه لحماية الجند الإفرنسية مقابل المقبرة ملقياً حمم نيرانه ومدافعه المختلفة لقطع إمدادات الثوار من الأهلين نساء وشيوخاً وأطفالاً، يوصلون الذخائر والمؤن والماء للثوار أثناء المعركة ومن فوق سطح المنازل غير مبالين الموت حباً بتطهير الوطن من المستعمرين.

وكان الثوار بقيادة ذلك المجاهد تدحر القوات وترمي فلولها حتى أدخلتها الثكنة العسكرية المار ذكرها مكبدة العدو ما ينوف على ألف قتيل وجريح، ولولا سدول الظلام لكان الثوار احتلوا الثكنة ودامت هذه المعركة منذ فجر السبت حتى غروب ذلك النهار وسميت حينها بوقعة يوم السبت المشهورة.

وكان صدى هذه الحملة وهذه الوقعة مقلقاً مضاجع الإفرنسيين بباريس حتى الحملة التطهيرية الكبرى لإخراج الثوار من حي الميدان بحرق المنازل وهدمها وحرق الحوانيت الجادة من باب مصلى حتى باب مصر على الجانبين، وكان مركز قيادته (الأشمر ورفاقه) على مسافة نصف كيلومتر من الموقعة ضمن الدور المتوسطة المسماة ـ زقاق نعير ـ منها دار جد ووالد سيادة وزير الأوقاف عابدون الخالية الآن والتي يصعب وصول قوات العدو إليها.

٤ ـ إن أمانة العاصمة لعام ١٩٤٧م على أثر ظهور الكوليرا بقرية محجة حوران واتخاذ وسائل الوقاية والمكافحة، عمدت لإزالة بحيرات جماد الأنهر بدمشق. وكان غربي هذه المقبرة عدة حفر حدثت من



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقوط مرمى المدفعية الثقيلة من قلاع المزة إبان تلك المعركة، وما بعدها تحوّلت تلك الحفر لمستنقعات من مياه الأمطار والأقذار، مع وضع جثث الحيوانات.

وكان يتعذر حينها على أمانة العاصمة تجفيفها فسمحت للأهلين بإنشاء مدافن خاصة مع قبور للخلاص من المستنقعات، ومن جملة المدافن مدفن لأسرة المجاهد الثائر الأشمر، وحيث كان رحمه الله من الثائرين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكان رحمه الله وضعية التقشف فأوصى قبل موته بأن يدفن بين القبور الشعبية المتراصة بعضها.

٥ ـ ولما أتى وفد مؤتمر السلام العالمي منذ بضعة شهور يرافقه رجال القطر والدولة لوضع إكليل الزهور المعنون بشريطة سوداء ـ مؤتمر السلام العالمي ـ مجتازاً آلاف الأميال ليقدم تحيته لجثمان ذلك البطل المجاهد الذي نذر دمه وروحه للثورتين العربيتين السورية بعام ١٩٢٤م والفلسطينية بعام ١٩٣٦م، وعند اقترابهم من قبره البسيط بعد الإدلاء عليه أحنوا رؤوسهم تحيةً وإجلالاً وإكباراً لبطولته.

ولما شاهد الوفد ضريحه البسيط المتراص بين القبور امتعض وبانت على وجوههم علائم الامتعاض وعدم السرور لعدم إقامة ضريح لهذا الثائر يشير لتقدير جهاده ونضاله وقد أشاروا لأن يكون له ضريح غير هذا.

وكان أحد الحاضرين من الأهلين لذو فطنة أجابهم أنه أوصى بأن يدفن بين القبور الشعبية محبة بالشعب وإننا نسعى مع أمانة العاصمة لإنشاء ضريح له بحرش الصنوبر، وكان ذلك مجاملة لإزالة امتعاض الوفد.



٦ ـ فلهذه الأسباب الموجبة ولأسباب إزالة المدافن التي تحولت لباحة تجميلية تجاه الرواق مع نصب تذكاري يرمز لقدسية الجهاد والنضال تختاره، وضعه وتنظيمه مهندسو الأوقاف ليكن مظهراً تقديرياً للأبطال الثوريون المناضلون ولا سيما كان رحمه الله ذو وضعية تقشف مؤثراً على نفسه لمحبة النضال والكفاح مما يعد من أكدح الكادحين.

٧ ـ فإذا أمّت بعدئذ بعض الوفود الثورية من عربية وأجنبية لزيارة ضريح ذلك المناضل يشعرون بتقدير نضاله وجهاده.

٨ ـ تسمية هذه المقبرة باسم مقبرة المجاهدين أو الثوريون، أو المناضلون... حسب ما يرتايه أولي الأمر.

وبهذا يكون قام الشعب السوري والحكومة معاً بلزاماً أدبياً اجتماعياً نضالياً ثورياً في قطرنا السوري، وعاشت الوحدة والحرية والاشتراكية في جميع البلاد العربية.

**٧ ذو الحجة ١٣٨٦هـ**

**١٨ آذار ١٩٦٧م**

**مواطن بحي الميدان الفوقاني**

**محمد غالب عجاج**

سُلّمت النسخة الأصلية الأولى في ١٩٦٧/٣/١٩ الساعة ١٢ ظهراً للأستاذ جبر الكفري في مكتب حزب البعث بدمشق في شارع خالد بن الوليد.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حضرة ولدنا المحترم محمد زهير الشاويش الأكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصلتني رسالتكم وما حوته صار معلومنا ومسرات البارودي وصل على وجودكم بتمام الصحة والعافية وبعد نشكركم على حسن [illegible] ولكن مع ذلك لا تشكروا على واجبنا وجزاه [illegible] الشيخ عبد الله بن سند [illegible] [illegible] وما تمكنت من القيام بواجبهم على الوجه الأكمل بسبب مرضي ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد. هذا [illegible] سلامي إلى الأستاذ الكبير عبد الحكيم عابدين والأخ الشيخ عبد الله بن سند وجميع الإخوان عنكم ومن يلوذ بكم [illegible] سلامي إليكم ووفقكم الله لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم والله يحفظكم ومن عندنا ولدنا محمد يهديكم السلام ويتمنى لكم الصحة والسعادة.

١١ ذي القعدة ١٣٧٥

الفقير

محمد الأشمر

**الوثيقة رقم (١)**

**رسالة من الشيخ محمد الأشمر إلى الشيخ زهير الشاويش**



سان باولو ٨ مايو ٣٦

أخي الفاضل السيد نديم:

لا بد من الاهتمام بمواصلة السيد أفندي الحمصي والإعراب له عن الشكر على إحسانه ووصف الوضعية الحاضرة له وصفاً دقيقاً من حيث توزيع المال على مستحقيه.

لقد جاء إلى الجبل كما تعلمون أناس من قرية [illegible] فذللتهم على الشرطة العربية لشراء العتاد والسلاح فلما عادوا به وهم في طريقهم إلى الغوطة سلبهم أحد الأشقياء ذلك ولم يستفد القسم الأكبر منه إلا بمعونة أهل الأردن [illegible] وإن كان المال [illegible] لم يعطونه شيئاً.

ثم إن المصاريف [illegible] المطلوبة ترى لم أتمكن من الحصول على الصغير الأول إلا بشدة على الشخص ولولا ذلك لذهبت ضيقاً بأمرها وأبيها.

ولما سافر وصفي بك [illegible] اشتريت له العتاد والسلاح وجهزت من جملة الأسباب التي حملتني على السفر شمالاً أن أذهب وإياه درءاً لخطر السلب المذكور ولولا ذلك لما وصل بالسلامة.

ثم إن [illegible] الأخير ومقدار [illegible] والآن [illegible] لم يصل إلى الغوطة منه شيء بل تتوزعه الناس في [illegible] ولا ندري [illegible] المجاهدين الحقيقيين منه، وأمس تناولت رسالة من الأخ عز الدين [illegible] سلطان [illegible] الأطرش [illegible]

**الوثيقة رقم (٢)**

**رسالة الزعيم عبد الرحمن الشهبندر إلى الأستاذ نديم ظبيان**

شوبا ٢١ نيسان ٣٦

حضرة الاخ الفاضل السيد نديم ظبيان المحترم :

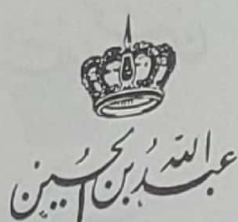
السلام عليكم وبعد فقد عدت امس من الغوطة بعدما نظمت الامور هناك بالاشتراك مع الاخوان الذين ساروا معي ايضاً وجرى انتخاب رؤساء العصابات. تولى القيادة العامة مصطفى وصبحي بك بالاشتراك مع الشيخ حسن دبس والشيخ وابي عبده سكر وابي قاسم الدرجباني والشيخ محمد زعوانيا وخيتي وابناء ... وابن شعبان وابي عمر ديبو وفوزي بك القاوقجي وسعيد بك العاص ونسيب بك البكري وتوفيق المؤيد وسائر الرجال البارزين مع جنبلاط وملكيش وكان ذلك نتيجة انتخاب عقدت جلسته من الاعيان المذكورين في قرية ... على ابواب دمشق.

بعد انتخاب القائد العام انتخبت لجنة ادارية دائمة للمجلس الوطني المؤلف من المذكورين فنال فيها الاكثرية فائقة التغلبي ونسيب البكري ومحمود حمدي وزكي الدروبي وثلاثة غيرهم ثم تم انتخاب لجنة يسمى شأنها الرحمن لكل الثوار والحقنا عليها اسم لجنة المتكونين في الغوطة وضواحي دمشق وهي مؤلفة من شفيق عربيات والشيخ محمد القشير والشيخ محمد عيسى الكردي ومحمود حمدي اخي مصطفى وصبحي بك والامير نسيب شهاب وغايتها قبول الاعانات وتوزيعها في المنطقة الشاملة وقد صحبنا الاكم فيما بعد فاصبح لجنة اعانة المنكوبين في الغوطة وسائر البلاد السورية الشامية لتكون هذه المنطقة متميزة .

الوثيقة رقم (٣)

رسالة من الزعيم عبد الرحمن الشهبندر إلى الأستاذ نديم ظبيان





عمان في ١٤ جمادى الاخرة ١٣٥٨

عزيزي الشيخ محمد الاشمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد الله عز وجل واصلي على سيدنا محمد واله النبي الاكمل واقول ـ

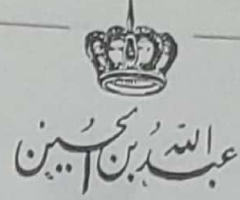
بانني تلقيت كتابكم الذى ناب منا بكم في الرجاء عن ابي درة ولقد علمت بعزمكم على القدوم من اجله والتوثق من وفائه ولقد اعلمتني الجهة السياسية بانكم طلبتم جوازا بالسفر وانه سوف يقدم لكم ذلك الجواز متى سمحنا بذلك فاطمناهم بان زيارتكم تسرنا وقد قدم اليكم ذلك الجواز والمؤمن اذا وعد وفى واذا تعهد انجز فعلامك تتلكاء علينا عند كل فرصة ؟ ووالله ما الذين انت فيهم بخير منا والكل في الله اخوان والرجل وديعة الله هنا وانا اعرف بحقه وحق كل مسلم وانني ساقف هذا الموقف مع كل من يلجاء الي ما لم يكن مطلوبا بجريرة توجب انفاذها علي العهود وكان عهد الله مسئولا وقد وفى النبي صلى الله عليه وسلم لمشركي مكة في عهد الحديبة كما تعلمون وقد يسر الله لي ان خصصت ابا درة بمعاملة استثنائية فهو في حرز متين لا يوصل اليه ان شاء الله تعالى ولكن من يضمن وجهي وكلمتي ويجعلني آمنه على ان لا يفر فاصبح بعد ذلك لا استطيع خدمة غيره والسلام ؟ [signature]

الوثيقة رقم (٤)

رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ الأشمر حول المجاهد يوسف أبو درة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



عمان في ١٨ ربيع الاول ١٣٥٨
الموافق ٦ آيار ١٩٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده واصلي على نبيه الكريم وآله وصحبه اجمعين والتابعين لهم الى يوم الدين

من عبد الله بن الحسين بن علي الى حضرة الشيخ الفاضل والمجاهد المناضل محمد الأشمر حفظه الله وبارك له ونفع به

اما بعد فقد زارني صباح اليوم محبنا العزيز النائب المحترم صبري بك الطباع واطلعني على كتاب الشيخ اليه ، فلنعم الآمر بالمعروف انت ، ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز " لا خير في كثير من نجواهم الآ من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس " وانّ في كتاب الشيخ من ذلك الهدى لنبراس ، فجزاكم الله خيرا عنّا وعن الناس ان صحّ ان يقال عن بعض الناس انهم من الناس ، ونعوذ بالله من شرّ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس ، امّا صاحبكم الذي طلبتم رجوعه الى وطنه فليس بعد اشارتكم اشارة لمشير ، فليقدم وله بالخزاعي باشا اسوة ، ولا فضل له عليه الآ انّ الخزاعي يرانا في كثير من الآونة انّا البقية الباقية وقد لجأ الى حرم الله وعاد طاهرا فقبلناه مطّهرا ، ولا بأس ان جاء الآخر بشفاعتكم وكفالتكم على ان لا يدسّ ولا يغشّ ولا يدبّ لنا الخمر فانّ وراء ذلك ما وراءه ان هو اشمر خلافنا ممّا يجب على مثلنا من حفظ الأمن والسلامة العامّة ، وقد قال الله سبحانه وتعالى " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا او يصلبوا او تقطّع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض " ويحضوره تحت كفالتكم وضمن هديكم فله ذمّة الله ورسوله والخلفاء وذمّة ابي وذمّتي ممّا يخاف ويحاذر وله في بلده منّا الأكرام والكرامة والسلام .

**الوثيقة رقم (٥)**

**رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ محمد الأشمر تتعلق بالأمر بالمعروف**





عمان في ٥/١٠/١١٣٩

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الأشمر حفظه الله

تلقيت كتابكم المفعم بشعائر الولاء الصادق ، والناطق بما تحمله جوانحكم من المودّة الوطيدة ، وما خامركم من الاسف لعدم مقابلتكم لولدنا نايف ، واني اشكركم على ذلك كله ، واعرف ما انتم عليه من النبل والفضل ولكن هي الاحوال التي تقضي بمثل هذا الترتيب الذي لا مندوحة عنه ولا بد منه فجزاكم الله خير الجزاء — ووفقنا واياكم الى ما فيه مرضاته بمنه تعالى وكرمه .

**الوثيقة رقم (٦)**

**رسالة اجتماعية من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ محمد الأشمر**



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقر العالي

رئاسة الديوان

العدد

حضرة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الأشمر

حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لقد أمرني حضرة صاحب السمو الملكي مولاى المعظم أن اذكركم بدعوة سموه لكم حينما كنتم بعمان لتمضية شهر رمضان المبارك فيها . ان حضرة صاحب السمو مولاى حفظه الله يسر جدا فيما اذا حققتم هذه الرغبة السامية باقرب وقت وتقبلوا مني مزيد الاحترام .

رئيس الديوان العالى

عمان فى ١٢/١٠/١١٣٩

الوثيقة رقم (٧)

رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين بدعوة

الشيخ محمد الأشمر لتمضية شهر رمضان المبارك في عمان



المقر العالي

رئاسة الديوان

العدد ٢٦/٢

الاستاذ الجليل والمجاهد الكريم الفاضل الشيخ محمد الاشمر

حفظه الله تعالى

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلني كتابكم المؤرخ ٣ شوال ١٣٥٨ ، فحمدت لكم تلك الاريحية الكريمة وشكرت لكم تلك العواطف النبيلة حفظكم الله وابقاكم ذخرا .

لقد تشرفت بعرضه على انظار حضرة صاحب السمو الملكي مولاى المعظم فابدى سروره العظيم لما تتمتعون به من عافيه يرجو الله دوامها عليكم وعلى الجميع وقدر ما فيه من آيات الاخلاص والمودة حق تقدير .

اما من خصوص استصحابكم لسليمان باشا فانه حفظه الله يرى ارجاء ذلك الآن لوقت يكون مناسبا . واما من جهة تشريفكم انتم فعلى الرحب والسعة في كل آن وحينما ترغبون وستجدون قلوبا مفعمة بالسرور الجزيل لرؤيتكم ادامكم الله وحفظكم .

وبهذه المناسبة ارجو ان تتفضلوا بقبول فائق احترامي ومزيد اشواقي

عمان ٢٩/ ١١/ ١٩٣٩

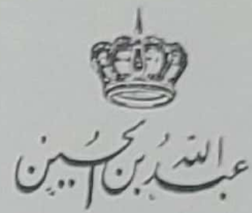
رئيس الديوان العالي

الوثيقة رقم (٨)

رسالة من الأمير عبد الله إلى الشيخ محمد الأشمر حول وساطة كريمة



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner




عمان في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٦٠
الموافق ٢٣ حزيران ١٩٤١

حضرة الشيخ المحترم المتفاني في الله ورضاه محمد الاشمر حفظه الله

سلام الله ورضوانه علينا وعليكم وعلى عباد الله المخلصين اما بعد فانه مما لا شك فيه الاعتماد على شخصكم فيما يعود علينا بالخير دنيا وآخره وقد جاء الوقت الذى ينبغي ان يعمل فيه ابناء الوطن مجتمعين غير متفرقين وقد وضعت فرنسه الحره وبريطانيا العظمى مستقبل الوطن السورى في يد بنيه ، وهذه الاردن سبقت فقالت كلمتها برضى منا .
اطلاعكم على فحوى ذلك من نسخة البرقيتين في طي هذا الكتاب كفايه وعلى الله الاتكال وعليكم وعلى من معكم الاجتهاد والصلاة والسلام على رسول الله . ١/١٠

**الوثيقة رقم (٩)**
**رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ محمد الأشمر**
**حول استقلال سورية**



حضرة الصديق الغيور والاستاذ الفاضل المجاهد المغوار الشيخ محمد الاشمر الافخم
بعد تقديم واجبات الاحترام والسؤال عن صحتكم الغالية. ابدي اني رهين
السجن اعتباراً من صباح الاربعاء محاطاً بالمجرمين والقتلة والسفاكين
دون ذنب جنته يداي غير اني كنت مثال الضابط النزيه المخلص
الذى لا تأخذه بالحق لومة لائم.
اخي في اثناء الحرب كنت محاطاً ببعض من الضباط اتصفوا بالجبن
والخداع والمراوغة سعوا بالهرب والانزواء خوفاً على ارواحهم
الا اني شعرت بمقاصدهم وخوفهم فعاملتهم كما يجب علي
كضابط يعرف الهيبة ووظيفته بالشدة والحزم دون ما خوف
[illegible]

ان تشكل وفداً من رؤوس الميدان ويذهب هذا الوفد الى الجنرال
دانتز على اسرع وقت وتطلبوا اليه اخلاء سبيلي حالاً وتشهدوا لديه
بطيب عنصري وشجاعتي وعدم صحة التهمة الذى اتهمني الى
الكولونيل كوله. هذا ما آمله منكم وبذلك تثبتوا الى طيب اخلاقكم
وشجاعتكم الادبية التي ارجو الله ان يجعلكم احد الرؤوس العاملة
في حقل تخليص سوريا من النير الاجنبي. اخي اني سأبقى مضرباً
عن الطعام الى ان يأخذ الله بيدكم ويدنو ساعة الخلاص من
ذلك المأزق الحرج الذى اكاد اذهب ضحية باردة على مذبح
الانتقام الدنيء والمؤامرات والدسائس المنحطة. ختاماً سدد
الله خطاكم ووفقكم لما فيه الخير وتفضلوا بقبول احترامي
مقروناً بأعظم تمنياتي واعتباراتي الاخوية الخالصة
في ٢٧ حزيران ٩٤١
الكولونيل
حسني الزعيم

**الوثيقة رقم (١٠)**
**رسالة من الكولونيل حسني الزعيم إلى الشيخ محمد الأشمر**



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

... ومنه يبتدئ الحد
... الذي هو ملك للعرب الفضل وعائد الى [illegible] الخشبيه [illegible] الحد من بئر
الشمالية ببير العمى المسمى بالحفر [illegible] ومن الجهة الغربية يعود الحد من بئر
الى الشرق مع الوعر الوعر حتى تل [illegible] المسمى قصر البرغشة حتى قصر [illegible] الى موقع الرجم الاسود الى
الحفر المسمى الدعمى محاذا للوعر حتى الموقع [illegible] البدونه حتى قصر [illegible] ومن جهة الجنوب طريق النقب على كوم الرمان حتى
[illegible] الى كوم الرمان وحدود مجيدل [illegible] الحد المذكور قطع [illegible] اعية [illegible]
حدود [illegible] على ان لا يكون العرب الرماح [illegible] من قصر البرغشة [illegible] الرجم الاسود
القابلة للزراعة التي اصبحت العرب الرماح [illegible] الحدود [illegible] الذي اصبح الحد الفاصل الثابت وعليه
[illegible] حدود مجيدل لرم الرمان الى [illegible] والمتفق عليه
[illegible] من قبل الطرفين المتداعيين [illegible] وجرى التوقيع عليه
نظم هذا الضبط [illegible]
[illegible] من قبلنا الفا [illegible]
٢١ كانون الثاني ١٩٣٩

شاهد محمد [illegible]

اعضاء وجيه
ابو [illegible]

اعضاء وجيه
عيسى الفارزي

مختار وجيه
غانم [illegible]

شيخ عرب [illegible]
[illegible]

عضو اللجنة [illegible]

عضو اللجنة مندوب
[illegible] الاحمد

عضو اللجنة [illegible]

[illegible]
[illegible] الجبالي

[illegible] الديوان
[illegible]

صورة طبق الاصل في ٧/١٢/٣٩

الوثيقة رقم (١١)

صورة مصالحة بإشراف الشيخ محمد الأشمر بين العشائر



بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ الجليل التقي الوفي العزيز الشيخ محمد الاشمر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه وبعد اهنيكم
واباركم لكم بدخول شهر رمضان شهر الله المعظم واسأل الله تعالى ان يجعلنا
واياكم فيه من المقبولين ومن المعتوقين من النار ثم نتضرع الى الله سبحانه
وتعالى ان يجعل في ايامه اللطف والفرج للمسلمين ثم ايها الاخ العزيز الكريم من
بعد رجوعي من زيارتي لكم اول العام وانا مشغول الفكر عليكم حيث كنتم ايامها
منحرفين الصحة فارجوا من الله تعالى ان تكونوا تعافيتم وتحسنت صحتكم
واني اسأل الله تعالى ان يحقق ما اقول وان سألتم عنا الحمد لله جميعنا بخير
ونسأل الله تعالى ان يعطيكم كل خير ويحسن لنا الختام جميعا ارجو تبليغ سلامنا
الى من يسأل عنكم ومن هنا صاحب السماحه مفتي فلسطين السيد محمد امين
الحسيني يهديكم السلام ثم ابن شقيقتي محمد سليم ابو لبن يهديكم السلام ثم اولادي
واولاد اخي يهدونكم السلام ويطلبون منكم الدعاء ويرجون من الله
اللقاء في الدنيا لشدة اشتياقهم لكم وبالختام اهديكم فائق الاحترام

٥ رمضان ١٣٥٩ و ١٤ اذار ٩٤٠

المخلص
حامد محمد
ابو لبن

القاهرة

منشية البكري رقم ١٠
شارع منشية البكري حامد ابو لبن

الوثيقة رقم (١٢)

رسالة من المجاهد حامد أبو لبن إلى الشيخ محمد الأشمر

UNITED NATIONS — NATIONS UNIES
NEW YORK

CABLE ADDRESS · UNATIONS NEWYORK · ADRESSE TELEGRAPHIQUE

PO/100 (10)

Le 7 octobre 1957

Monsieur,

Je suis chargé d'accuser réception de la lettre que vous avez adressée le 24 septembre 1957 au Secrétaire général au sujet de la situation internationale de la Syrie.

Veuillez agréer, Monsieur, l'expression de ma considération distinguée.

Chef de Section
Département des Affaires Politiques
et du Conseil de sécurité

Cheikh Mohammad el-Achmar
Comité National des Partisans de la Paix
Damas, Syrie

**الوثيقة رقم (١٣)**

**برقية من هيئة الأمم المتحدة إلى الشيخ محمد الأشمر**



REPUBLIQUE SYRIENNE
Ministère des Travaux Publics
et des Communications
Direction Générale des P. T. T.

الجمهورية السورية
وزارة الاشغال العامة والمواصلات
المديرية العامة للبريد والبرق والهاتف

| Indications de Réception — اشارات الاخذ | Télégramme d'arrivée | Adresse — العنوان ٢٢٦ |
| --- | --- | --- |
| Bureau Transmetteur — المكتب المرسل<br>Date — التاريخ<br>Heure — الساعة<br>Sign. de l'agent — توقيع الموظف | خاتم التاريخ<br>Timbre à date | الشيخ محمد الأشمر |

| رقم التسلسل No. d'ordre | المصدر Origine | رقم البرقية N° du télég. | عدد الكلمات Nombre de mots | التاريخ Date | الساعة Heure | اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| | ١٥٦ | | | | | |

جمال عبد الناصر

**الوثيقة رقم (١٤)**

**برقية شكر من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الشيخ محمد الأشمر**



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لجنة تأبين المجاهد الكبير الشيخ محمد الأشمر

في هذه الذكرى التي تحتفلون بها بمرور أربعين يوماً على وفاة المجاهد المرحوم الشيخ محمد الأشمر ، أبعث اليكم تحية صادقة على جهودكم في تكريم رجال الثورة الذين كرّسوا حياتهم للذود عن كرامة هذا الوطن وعن حريته واستقلاله .

إن تكريم الثورة في رجالها ، هو تكريم للجهاد والتضحية والفداء وحث للهم على البذل ، وتقديس للحرية في الأشخاص الذين عملوا لها وسعوا في سبيل تحقيقها .

واني بهذه المناسبة ، لأبعث الى روح المجاهد الشيخ محمد الأشمر تحية ملؤها التقدير لما قدّمه لأمته ووطنه .

أسكن المولى الفقيد الراحل فسيح جناته ، وجزاه أحسن الجزاء .

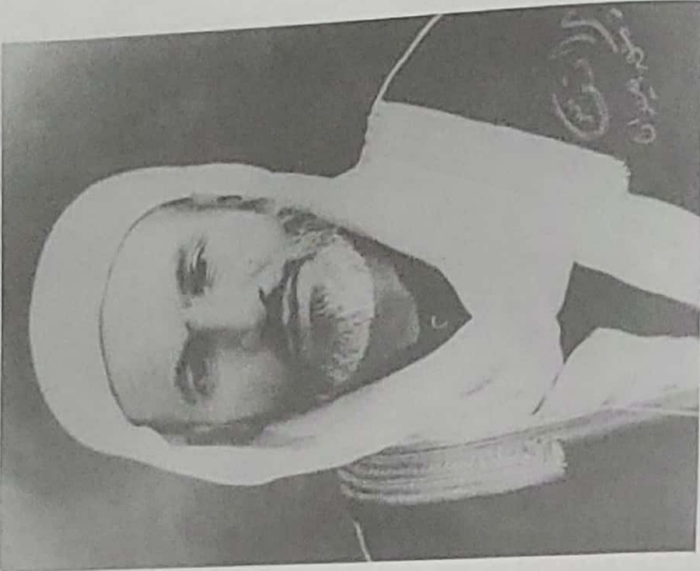
١٩٦٠/٤/٣٠

شكري القوتلي

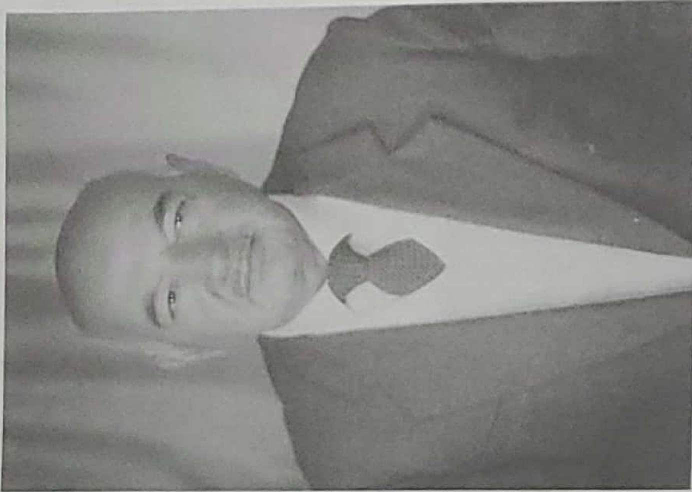
**الوثيقة رقم (١٥)**

**رسالة تابين من الرئيس شكري القوتلي بوفاة الشيخ المجاهد محمد الأشمر**

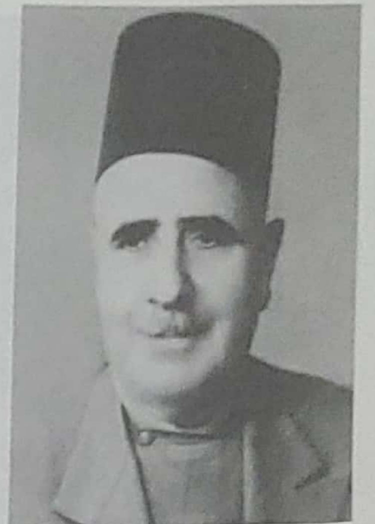




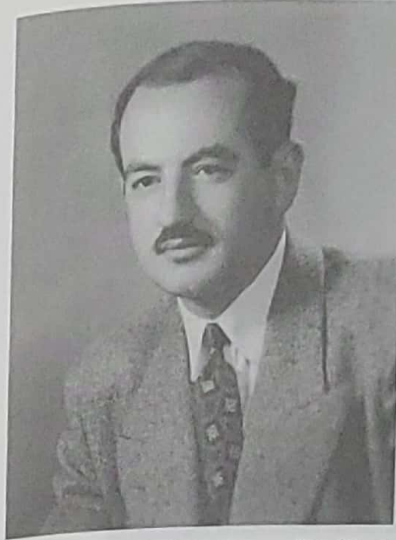
١ ـ الشيخ محمد بن طه الأشمر



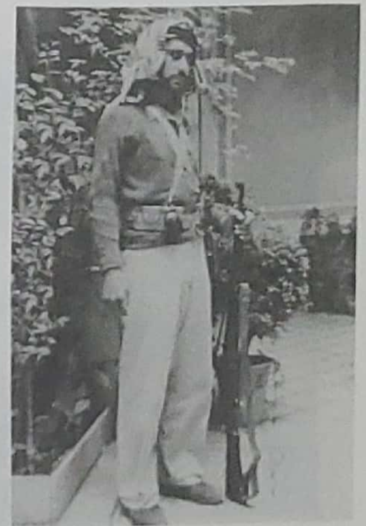
٢ ـ الأستاذ محمد ابن الشيخ محمد الأشمر



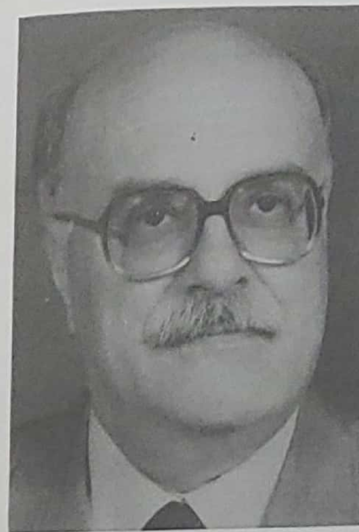
٣ ـ العم أبو صلاح حسن الشربجي



٤ ـ الأستاذ محمد ابن الشيخ محمد الأشمر



٥ ـ الأستاذ زهير الشاويش بلباس الجهاد



٦ ـ الأستاذ ممدوح رحمون





٧ ـ الشيخ محمد الأشمر وعلى يمينه أبو صلاح حسن الشربجي، وخلفه صالح بن عزو عياش، ومجموعة من مجاهدي حي الميدان



٨ ـ الوقوف: عبد الرحمن القطيفاني، أحمد الصبَّاغ، صالح الأخرس، صلاح الدين رجب، أكرم دعدوش، عادل السودان، أديب المهايني، عزة الشاش. الجلوس: رجل من زعماء فلسطين، الشيخ مصطفى الزرقا، أحمد الخطيب من إربد، الشيخ معروف الدواليبي، الأستاذ عبد الحكيم عابدين من مصر، المفتي العام أبو اليسر عابدين، الحاج عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام في الأردن وشخصين من الهيئة العربية العليا في فلسطين



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



٩ ـ الجلوس: الشيخ محمد الأشمر، الأستاذ عبد الحكيم عابدين
الوقوف: محمد عرار، شقيق الشيخ الأشمر، أحمد الخطيب، عبد اللطيف أبو قورة، أبو صلاح عبد الوهاب العرجا



١٠ ـ الشيخ محمد الأشمر مجتمعاً إلى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة





١١ ـ الشيخ محمد الأشمر مع نائب دمشق السابق نوري الحكيم، وفيها ولده محمد الأشمر



١٢ ـ محمد الصبّاغ، زهير الشاويش، نواب صفوي، والد الشيخ زهير الشاويش: مصطفى أحمد الشاويش



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



١٣ - الزعيم الأكبر الشيخ محمد الأشمر وأمين السر العام جميل شاكر الخانجي



١٤ - ممدوح رحمون، ونواب صفوي في منزل آل الشاويش سنة ١٩٥٤م





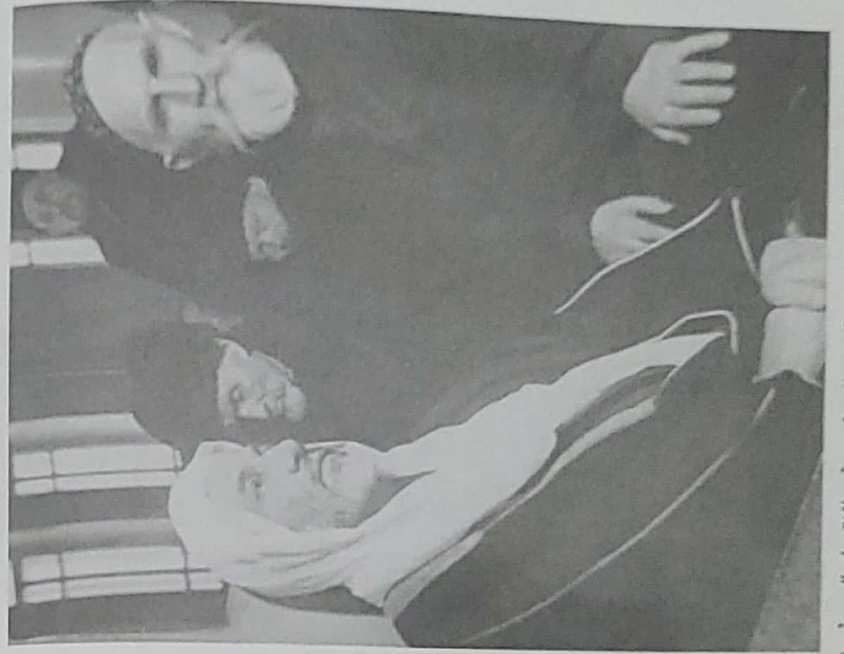
١٥ - معتصم بن نوري الحكيم، نوري الحكيم، الشيخ محمد الأشمر محمد بن محمد الأشمر، محمد عيد كليب



١٦ - الشيخ محمد الأشمر مع الرئيس الديني الإسلامي في الاتحاد السوفييتي



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



١٧ ـ الشيخ محمد الأشمر مع الرؤساء الدينيين في الاتحاد السوفييتي



١٨ ـ صورة عامة للمؤتمر الإسلامي في الاتحاد السوفييتي



## ملحقات كتاب المجاهد الصامت وهي الأشمر والميادنة في الثورة السورية الكبرى

فيما تقدم من ذكريات الشيخ الأشمر، وما كتب عنه الشيء الكثير في هذه الثورة، غير أننا وجدنا من أخبارها ما يرفع رأس حينا (الميدان) في بعض الكتب التي ألفت عن الثورة، فأحببنا جمع بعض ذلك في هذه الملحقات.

مع إيماننا بأن الميدان والميادنة تحملوا العبء الأكبر منذ دخول إنكلترا وفرنسا إلى القطر السوري (بجميع أقسامه)، وبعد نهاية الثورات وحتى يوم الجلاء سنة ١٩٤٦.

ولقد جمعنا نتفاً من بعض الكتب، ونتفاً من أفواه الرجال، بل وحتى من نساء الحي.. وعرضناها (كما هي تقريباً) لتكون لأبنائنا عبرة ليعرف الجيل الجديد ما كانت عليه أعمال آبائه وأجداده، ويسير على هداهم، كما قال شاعرنا:

نبني كما كانت أوائلنا     تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وإننا نأمل من كل من لديه علم موثوق بحادثة من حوادث الثورة السورية ورجالها، وممن عنده شيئاً عن أخبار أهلهم يتعلق بالثورة، أن يزودنا بما يعلم. فلعلنا نستطيع إضافة هذه الحوادث في طبعة قادمة بإذن الله تعالى.

ولقد كان جل اعتمادنا فيما نقدمه عن هذا «المجاهد الصامت» على المصادر التالية:



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ ـ ما كتب عنه وعن الثورة السورية في مذكرات القاوقجي، وسعيد العاص، وأحمد قدري وأمثالهم.

٢ ـ ما كتبه المؤرخون للثورة السورية مثل الأستاذين أدهم آل جندي، وإحسان الهندي وأمثالهم.

٣ ـ ملفات ووثائق في مكتبة وذكريات الشيخ زهير الشاويش، ومكتبة الأستاذ ممدوح وحمون. وأخبار عائلية من الأستاذ صياح المعراوي.

٤ ـ ما ذكره سماعاً عن والده وغيره مما قدمه لنا من وثائق السيد محمد محمد الأشمر نجل المجاهد الشيخ محمد الأشمر.

وقد قام الأستاذ المحامي صياح المعراوي ـ وهو من أبناء حي الميدان بتحقيق الحوادث التي شارك فيها الشيخ الأشمر استناداً إلى المصادر المذكورة آنفاً وصاغها بأسلوبه بدءاً من الصفحات (٤٥) وحتى الصفحة (٢١٠). وعرضها على الأخ محمد الأشمر، وقد تبناها كلها.

**الملحقات هي:**

١ ـ مجموعة مراسلات وصورة كتاب «المجاهد الصامت».

٢ ـ المختار من كلام المجاهد سعيد العاص (من عائلة شهاب) في كتبه.

٣ ـ المختار من كلام السفرجلاني.

٤ ـ مذكرات عبد الرحمٰن الشهبندر.

٥ ـ قطعة من ذكريات المجاهد فوزي القاوقجي.

٦ ـ الرجوع إلى كتاب «وثائق جديدة عن الثورة السورية»، تأليف ظافر القاسمي.

٧ ـ «الثورة العربية الكبرى»، تأليف أمين سعيد.

**قسم التصحيح في المكتب الإسلامي ـ بيروت**



## معتقلو الإفرنسيين كرهائن من أجل إخماد الثورة السورية في سنة ١٩٢٥، الذين ذكرهم الزعيم فخري البارودي في كتابه «أوراق ومذكرات» الجزء ٢ الصفحات ٨١/٨٣

١ ـ الشيخ عبد الغني أفندي الأسطواني[١].
٢ ـ الشيخ حمدي الأسطواني السفرجلاني.
٣ ـ الشيخ سعيد أفندي الحمزاوي. (نقيب الأشراف)
٤ ـ الشيخ قاسم أفندي التل.
٥ ـ السيد سليم قدعة.
٦ ـ السيد أبو شكر الطباع.
٧ ـ السيد أبو أنيس الصباغ. (ميداني)
٨ ـ السيد كمال حبَّاب. (ميداني)
٩ ـ السيد ممدوح حبَّاب. (ميداني)
١٠ ـ السيد أبو صياح حبَّاب. (ميداني)
١١ ـ السيد حسن حبَّاب. (ميداني)
١٢ ـ السيد رضا حبَّاب. (ميدني)
١٣ ـ نسيب بك الحمزاوي.
١٤ ـ محمود بك الحمزاوي.
١٥ ـ أيمن بك الحشتيمي.
١٦ ـ فخري بك البارودي. (القنوات)
١٧ ـ عادل بك حتاحت. (ميداني)
١٨ ـ الأمير بهجت الشهابي.
١٩ ـ زكي بك الركابي.
٢٠ ـ رأفت بك الركابي.
٢١ ـ السيد مهدي المرتضى. (الخراب)

---

(١) وإننا نشاهد منهم تسعة عشر ميدانياً، وقد أصلحنا بعض الأسماء المغلوطة، وإننا نعلم أن غيرهم عدد كثير قد اعتقل من قبل فرنسا أيام الثورة.

٢٢ ـ السيد صالح الحفار.
٢٣ ـ السيد أبو سعدو عبده آغا النوري. (ميداني)
٢٤ ـ السيد أبو ياسين محمود رحمون. (ميداني)
٢٥ ـ السيد إبراهيم المهايني. (ميداني)
٢٦ ـ السيد أبو عزت حتاحت. (ميداني)
٢٧ ـ السيد مكي حتاحت. (ميداني)
٢٨ ـ السيد أبو توفيق الحكم. (ميداني)
٢٩ ـ السيد أبو فياض الشملي. (ميداني)
٣٠ ـ السيد أبو طالب بيضون. (الخراب)
٣١ ـ السيد محيي الدين النحلاوي.
٣٢ ـ السيد أبو هشام اللحام.
٣٣ ـ السيد حسين صندوق. (الخراب)
٣٤ ـ السيد عبد الله شموط. (ميداني)
٣٥ ـ السيد عارف الطواشي. (باب السريجة)
٣٦ ـ السيد أديب الصفدي. (الشاغور)
٣٧ ـ السيد أبو حبيب الشويري. (القصاع)
٣٨ ـ السيد جريس عفلق. (ميداني)
٣٩ ـ السيد حسن الرز.
٤٠ ـ السيد أبو أنيس المعلم.
٤١ ـ السيد عبد الرحمن القصار. (قبر عاتكة)
٤٢ ـ السيد سليمان القصار. (ميداني)
٤٣ ـ الشيخ عبد الرزاق. (باب السريجة)
٤٤ ـ السيد منير الصعيدي. (قصر حجاج ـ ميداني)
٤٥ ـ السيد أبو منير الصعيدي. (قصر حجج ـ ميداني)



# فهرس المراجع

- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية**، أحمد الشقيري، دار النهار للنشر، بيروت.
- **الإسلام وحركات التحرر العربية**، د. شوقي أبو خليل، دار الرشيد، دمشق.
- **أوراق من دفتر الوطن**، سامي جمعة، دار طلاس للنشر، دمشق.
- **بهجة المحافل وبغية الأماثل**، عماد الدين العامري، المكتب الإسلامي.
- **تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي**، أدهم آل جندي، مطبعة الاتحاد بدمشق.
- **صفحة من الأيام الحمراء**، سعيد العاص، المطبعة الوطنية، عمّان.
- **ظلام السجن**، محمد علي الطاهر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- **كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨**، الرائد إحسان الهندي، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في الجيش العربي السوري.
- **لورنس الحقيقة والأكذوبة**، صبحي العمري، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن.
- **مذكرات فوزي القاوقجي**، إعداد د. خيرية قاسمية، دار القدس، بيروت.
- **مذكرات الملك عبد الله (حقبة من تاريخ الأردن)**، الدار المتحدة للنشر، بيروت.
- **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، د. أحمد قدري، منشورات وزارة الثقافة السورية.
- **مراسلات الملك عبد العزيز مع علماء عصره**، جمع الشيخ زهير الشاويش. المكتب الإسلامي
- **الملحوظات على الموسوعة الفلسطينية**، الشيخ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- **النقد والبيان في رد أوهام خزيران**، عز الدين القسّام، محمد كامل القصَّب، تحقيق زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي.



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# فهرس الموضوعات


الموضوع — الصفحة

**كلمات التقديم** ........ ٥
كلمة آل الأشمر، بقلم: محمد بن محمد الأشمر ........ ٧
مواقف مع الشيخ الأشمر، من ذكريات زهير الشاويش ........ ١٠
إصلاحه بين الناس ........ ١٧
تواضعه وعدم الكلام عن نفسه ........ ٢١
الأشمر ثائر من بلادي، بقلم: ممدوح رحمون ........ ٢٣
صفحة من تاريخ الشام؛ الشيخ محمد الأشمر، بقلم: الدكتور محمد مأمون المهايني ........ ٢٨
**قصة الثورة والثائر من البداية حتى النهاية** ........ ٤٥
مدخل إلى فهم الثورة السورية عام ١٩٢٥ ........ ٤٧
أولاً: نمو التوجه القومي الطوراني، أواخر العهد العثماني ........ ٤٩
ثانياً: خداع إنكلترا وفرنسا للعرب، ومؤامرة (سايكس ـ بيكو) و(وعد بلفور) ........ ٥٧
ثالثاً: الإحباط الذي أصاب السوريين إثر معركة ميسلون ........ ٦٢
الثورة السورية الكبرى بين العفوية والتخطيط ........ ٦٦
حياة الشيخ محمد الأشمر ........ ٧١
المرحلة الأولى: الإعداد التربوي وتكوين الشخصية ........ ٧١
١ ـ أسرته، ومولده، وشبابه ........ ٧١
٢ ـ بدء اشتراكه في العمل الثوري ........ ٧٥
٣ ـ شخصية محمد الأشمر ........ ٨٠
المرحلة الثانية: في قلب المعارك ........ ٨٥
١ ـ معركة فك الحصار عن ثوار الجبل في المسيفرة في ١٧/٩/١٩٢٥ ........ ٨٥





الموضوع — الصفحة

٢ ـ معركة بلدا في ٥/١٢/١٩٢٥ ........ ٨٨
٣ ـ معركة بستان باكير في ٦/١٢/١٩٢٥ ........ ٨٩
٤ ـ معركة بستان البندقة في ٣/١/١٩٢٦ ........ ٩١
٥ ـ معركة مئذنة الشحم في ٢٤/١/١٩٢٦ ........ ٩١
٦ ـ معركة جسر تورا في ٢٨/٢/١٩٢٦ و٢٦/٤/١٩٢٦ ........ ٩٥
٧ ـ معركة حي الميدان في ٧/٥/١٩٢٦ ........ ١٠١
٨ ـ الهجوم على (المصفح) عبر دكوك زقاق الشربجي ........ ١٠٥
٩ ـ معركة مرج السلطان في ٢٥/٥/١٩٢٦ ........ ١٠٧
١٠ ـ حرب التطويق وتعدد المعارك وتداخلها من ١٦/٧ لغاية ١٠/٨/١٩٢٦ ........ ١١١
أ ـ معركة كفر بطنا ........ ١١٦
ب ـ معركة عقربا في ٢٣ ـ ٢٥/٧/١٩٢٦ ........ ١٢١
جـ ـ معركة القدم في ١٠/٨/١٩٢٦ ........ ١٢٣
د ـ معركة باب الجابية في ٢٣/٨/١٩٢٦ ........ ١٢٤
هـ ـ ضرب قطار حوران في ٢٥/٨/١٩٢٦ ........ ١٢٥
المرحلة الثالثة: بين الثورتين ........ ١٢٩
أولاً: الشيخ محمد الأشمر في الأردن ........ ١٣٠
ثانياً: الشيخ محمد الأشمر بعد عودته إلى دمشق ........ ١٣٢
المرحلة الرابعة: في فلسطين ........ ١٣٦
أولاً: لمحة عن ثورة العام ١٩٣٥ ........ ١٣٦
ثانياً: بدء ثورة ١٩٣٦ ........ ١٤٠
ثالثاً: أصداء الثورة لدى المجاهدين السوريين ........ ١٤٢
رابعاً: أمثلة من المعارك التي خاضها الأشمر في فلسطين ........ ١٤٩
١ ـ معركة بلعا ........ ١٤٩
٢ ـ معركة جبع ........ ١٥٢
٣ ـ معركة بيت مرين ........ ١٥٢
خامساً: إنهاء الثورة وانسحاب المجاهدين ........ ١٥٢




الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادساً: بين الأمس واليوم ........ ١٥٤
المرحلة الخامسة: المضافة، تاريخ مجتمع وذاكرة حي ........ ١٥٩
أولاً: ممارسة السلطة الشعبية أثناء العدوان عليها عام ١٩٤٥ .... ١٦١
ثانياً: مساعي إصلاح ذات البين ........ ١٧٠
١ ـ مقتل أحد أبناء عائلة رمضان في جبل الدروز ........ ١٧٠
٢ ـ خلاف عائلتي (قره) و(دلول) ........ ١٧١
٣ ـ مقتل أحد أبناء حوران بيد صديق حميم للسيد جميل مردم ........ ١٧٢
ثالثاً: مساعي الأشمر بشأن بعض المسجونين أو الملاحقين ........ ١٧٥
١ ـ السعي للإفراج عن حسني الزعيم من سجون لبنان ........ ١٧٦
٢ ـ السعي لإنقاذ المجاهد الفلسطيني يوسف أبو درة ........ ١٨٢
رابعاً: تصدي الشيخ محمد الأشمر لكل ما يمس الأوضاع الإسلامية للأمة ........ ١٨٥
١ ـ قانون الطوائف ........ ١٨٥
٢ ـ اعتراض الأشمر على رعاية الدولة لحفلات المجون واعتقاله عام ١٩٤٤ ........ ١٨٧
المرحلة السادسة: الجائزة (الماركسية تسعى إلى الشيخ) ........ ١٩٧
**ملحق كلمات ورسائل وبرقيات وصور** ........ ٢١١
كلمة الشيخ الأشمر في حفل افتتاح النادي الرياضي في الميدان، ألقاها نيابة عنه وبحضوره الأستاذ زهير الشاويش ........ ٢١٣
الكلمات المتبادلة أثناء زيارة الوفد السوفياتي للأشمر ........ ٢١٦
وليمة الأشمر تكريماً للوفد السوفياتي ........ ٢١٨
خطاب تيخونوف رئيس لجنة الدفاع عن السلم في الاتحاد السوفياتي ........ ٢٢١
خطاب الشيخ محمد الأشمر عضو مجلس السلم العالمي ........ ٢٢٣
مفتي آسيا الوسطى ومفتي سيبيريا يهنئان الشيخ محمد الأشمر بنيله جائزة السلام ........ ٢٢٦







**الرسائل** ........ ٢٢٨
رسالة الشيخ محمد الأشمر إلى الشيخ زهير الشاويش ........ ٢٢٨
رسائل الشهبندر إلى الأخ نديم ظبيان ........ ٢٢٩
رسالة الأمير عبد الله بن الحسين حول المجاهد يوسف أبو درة ........ ٢٣٥
رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ الأشمر تتعلق حول الأمر بالمعروف ........ ٢٣٦
رسالة اجتماعية من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ الأشمر ........ ٢٣٨
رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ الأشمر لتمضية شهر رمضان بعمان ........ ٢٣٩
رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين إلى الشيخ الأشمر حول وساطة كريمة ........ ٢٤٠
رسالة من الأمير عبد الله بن الحسين حول استقلال سورية ........ ٢٤١
رسالة الزعيم حسني الزعيم للشيخ الأشمر يستنجد به ........ ٢٤٢
رسالة من الشيخ الأشمر حول مصالحة بين العشائر ........ ٢٤٦
رسالة من المجاهد حامد أبو لبن إلى الشيخ الأشمر ........ ٢٤٩
**البرقيات** ........ ٢٥٠
برقية شكر من الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٥٨/٣/٢ ........ ٢٥٠
برقية من هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٧ ........ ٢٥٠
**برقيات التعزية** ........ ٢٥١
برقية من خالد العظم/ دمشق ........ ٢٥١
برقية من عبد الحميد السراج ........ ٢٥١
برقية من الأستاذ مصطفى السباعي ........ ٢٥١
برقية من توفيق الطباع/ عمان ........ ٢٥٢
برقية من عبد الرحمن المجذوب/ الكويت ........ ٢٥٢
برقية من أنصار السلم في لبنان ........ ٢٥٢
برقية من عبد الرزاق وتيسير الشربجي/ عمان ........ ٢٥٣
برقية من راشد الحلبي/ عمان ........ ٢٥٣




الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


برقية من خالد الكحيمي/ الكويت .......... ٢٥٣
برقية من أمين الحسيني/ دمشق .......... ٢٥٣
برقية من حسن اللحام/ السويداء .......... ٢٥٤
برقية من صالح الخضري/ عمان .......... ٢٥٤
برقية من محمد علي بدير/ عمان .......... ٢٥٤
برقية من برنال/ لندن .......... ٢٥٤
برقية من محمد الحرش/ الرياض .......... ٢٥٥
برقية من أحمد أبو قاسم السيد/ مكة .......... ٢٥٥
برقية من محمد العوض العبيد وعبد الله العبيد/ بصرى .......... ٢٥٥
**كلمات التأبين** .......... ٢٥٦
رسالة تأبين من الرئيس شكري القوتلي .......... ٢٥٦
كلمة الأستاذ مصطفى السباعي في رثاء الشيخ محمد الأشمر .......... ٢٥٧
كلمة شكر وكلمة مطلب من المواطن محمد غالب عجاج .......... ٢٦٠
**صور الوثائق** .......... ٢٦٤
الصور الفوتوغرافية .......... ٢٧٩
ملحقات كتاب المجاهد الصامت، وهي: الأشمر والميادنة في الثورة السورية الكبرى .......... ٢٨٧
معتقلوا الإفرنسيين كرهائن من أجل إخماد الثورة السورية في سنة ١٩٢٥ .......... ٢٨٩
* **فهرس المراجع** .......... ٢٩١
* **فهرس الموضوعات** .......... ٢٩٢




الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner